موسوعة

علي بن أبي طالب

حكم - مواعظ - خطب - وصايا - رسائل

كتب وعهود - سيرة حياته

شرح وتحقيق

فاطمة محمود الجوابرة

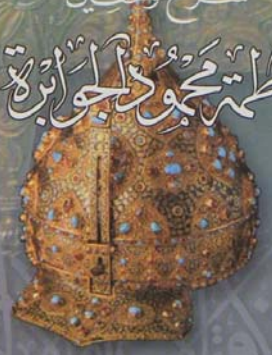

www. darsafa. com

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

صدق الله العظيم

موسوعة علي بن أبي طالب

موسوعة

علي بن أبي طالب

حكم - مواعظ - خطب - وصايا - رسائل -

كتب وعهود - سيرة حياته

شرح وتحقيق

فاطمة محمود الجوابرة

الطبعة الأولى

2003م - 1423هـ

دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان

مكتبة الروضة الحيدرية

الرقم ٩٩٧٦

التاريخ ٢٠٠٥/٩/٣٠

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2003/4/631)

239.5
فاطمة الجوابرة
موسوعة علي بن أبي طالب / تحقيق فاطمة محمود الجوابرة. ـ عمان: دار صفاء، 2003.
( ) ص
ر . أ (2003/4/631)
الواصفات : /السيرة النبوية// التراجم // الإسلام /
* – تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

حقوق الطبع محفوظة للناشر

Copyright ©
All rights reserves

الطبعة الأولى
2003 م – 1423 هـ

دار صفاء للنشر والتوزيع
عمان – شارع السلط – مجمع الفحيص التجاري – هاتف وفاكس4612190
ص.ب 922762 عمان – الاردن
DAR SAFA Publishing - Distributing
Telefax: 4612190 P.O.Box: 922762 Amman - Jordan
http://www.darsafa.com
E-mail :safa@darsafa.com

ردمك 1 - ISBN - 9957 - 24 - 095

النجف الاشرف

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	7
سيرة حياته	9
الخطب والوصايا	35
الشعر	59
الكتب و العهود	67
الحكم والتوقيعات	103
الجدل والحوار	121
الرسائل	141
المواعظ	167

المقدمة

وختمت الخلافة الراشدة بعلي بن أبي طالب الذي لقي ربه شهيدا. وكانت حياته منذ طفولته سجلا حافلا بالمفاخر الزاهية: فهو من أوائل المسلمين إسلاما، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق وبيعه الرضوان، وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خلفه على أهله، وله في الجميع بلاء عظيم وأثر حسن، وأعطاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اللواء في مواطن كثيرة بيده: منها يوم بدر، ولما قتل مصعب بن عمير في أحد، وكان اللواء بيده دفعه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى علي، وآخاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرتين: فإن رسول الله أخرى بين المهاجرين، ثم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، وقال لعلي في كل واحدة منها: أنت أخي في الدنيا والآخرة[1].

ولا عجب في كل أولئك، فقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعلم الناس به، فهو الذي رباه على عينه، إذ أخذه من أبيه وهو صغير في سنة نزل فيها بقريش قحط شديد، وأخذ حمزة جعفرا، وأخذ العباس طالبا، ليكفوا أباهم مؤنتهم، ويخففوا عنه ثقلهم، وأبقى أبو طالب لنفسه عقيلا لميله إليه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اخترت من اختار الله لي عليكم عليا.

وتبقى لعلي الهداية الأولى في التوحيد الإسلامي والقضاء الإسلامي، والفقه الإسلامي، وعلم النحو العربي، وفن الكتابة العربية مما يجوز لنا أن نسميه موسوعة المعارف الإسلامية كلها في الصدر الأول من الإسلام .

وتبقى له مع هذا فرائد الحكمة التي تسجل له في ثقافة الأمم عامة، كما تسجل له في ثقافة الأمة الإسلامية على تباين العصور.

---

(1) أسد الغابة 91/4.

وفي كتاب نهج البلاغة فيض من آيات التوحيد والحكمة الإلهية تتسع به دراسة كل مشتغل بالعقائد وأصول التأليه، وحكمة الوحيد.

أما القضاء والفقه فالمشهور عنه أنه كان أقضى أهل زمانه وأعلمهم بالفقه والشريعة، فلم يكن بينهم من هو أقضى منه وأفقه وأقدر على إخراج الأحكام من القرآن والحديث والعرف المأثور ، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول كلما استعظم مسألة من مسائل القضاء المستعصية "قضية ولا أبا حسن لها"؛ لأنه كان في هذه المسائل يجاوز التفسير إلى التشريع كلما وجب الاجتهاد بالرأي الصائب والقياس الصحيح.

وفي أخباره ما يدل على علمه بأدوات الفقه، كعلمه بنصوصه وأحكامه، ومن هذه الأدوات علم الحساب الذي كانت معرفته به أكبر من معرفة فقيه يتصرف في معضلات المواريث؛ لأنه كان سريع الفطنة إلى حيله التي كانت تعد في ذلك الزمن ألغازا تكد في حلها العقول.

ويقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: "كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة على بن أبي طالب".

وقال سعيد بن المسيب: "ما كان أحد من الناس يقول: سلوني غير على بن أبي طالب".

وسئل عطاء "أكان في أصحاب محمد أعلم من على؟ قال لا: والله لا أعلمه".

وقال ابن عباس "لقد أعطى علي تسعة أعشار العلم، وايم الله، لقد شاركهم في الجزء العاشر".

ويقول سعيد بن المسيب: "كان عمر يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن".

وقال ابن عباس: "إذا ثبت لنا الشيء عن على لم نعدل عنه إلى غيره".

وكانت قدرته في إنشاء الخطب والرسائل الطوال قدرة لا تباري، وقد بلغ حد من قدرة الإقناع والتأثير والاستمالة لم يبلغه أحد فهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء ووالد سيدا شباب أهل الجنة .

سيرة حياته

سيرة حياته

علي ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف.

وقيل إن اسمه الذي اختارته له أمه حيدرة باسم أبيها أسد، والحيدرة هو الأسد. ثم غيره أبوه فسماه علياً وبه عرف واشتهر بعد ذلك.

وكان علي أصغر أبناء أبويه، وأكبر منه جعفر وعقيل وطالب، وبين كل منهم وأخيه عشر سنين.

قيل إن عقيلاً كان أحب هؤلاء الإخوة إلى أبيه، فلما أصاب القحط قريشاً وأهاب رسول الله عليه السلام بعميه حمزة والعباس أن يحملوا ثقل أبي طالب في تلك الأزمة جاءوه وسألوه أن يدفع إليهم ولده لكيفوه أمرهم، فقال: دعو لي عقيلاً وخذوا من شئتم. فأخذ العباس طالباً وأخذ حمزة جعفراً، وأخذ النبي عليه السلام علياً كما هو مشهور، فعوضه إيثار النبي بالحب عن إيثار أبيه.

من أوصاف علي في طفولته أنه كان طفلاً مبكر النماء سابقاً لأنداده في الفهم والقدرة، لأنه أدرك في السادسة أو السابعة من عمره شيئاً من الدعوة النبوية.

ونشأ رضي الله عنه رجلاً مكين البنيان في الشباب والكهولة، حافظاً لتكوينه المكين حتى ناهز الستين.

قال واصفوه في تمام الرجولة إنه كان رضي الله عنه ربعة أميل إلى القصر، آدم - أي أسمر - شديد الأدمة، أصلع مبيض الرأس واللحية طويلها، ثقيل العينين في دعج وسعة، حسن الوجه واضح البشاشة، أغيد كأنما عنقه إبريق فضة، عريض المنكبين لهما مشاش كمشاش السبع الضاوي لا يتبين عضده من ساعده قد أدمجت إدماجاً وكان أبجر - أي كبير البطن - يميل إلى السمنة في غير إفراط، ضخم عضلة الساق دقيق مستدقها، ضخم عضلة الذراع دقيق مستدقها، شئن الكفين، يتكفأ في مشيته على نحو يقارب مشية النبي، ويقدم في الحرب فيقدم مهرولاً لا يلوي على شيء.

وتدل أخباره – كما تدل صفاته– على قوة جسدية بالغة في المكانة والصلابة على العوارض والآفات، فربما رفع الفارس بيده فجلد به الأرض غير جاهد ولا حافل، ويمسك بذراع الرجل فكأنه أمسك بنفسه فلا يستطيع أن يتنفس، واشتهر عنه أنه لم يصارع أحداً إلا صرعه، ولم يبارز أحداً إلا قتله، وقد يزحزح الحجر الضخم لا يزحزحه رجال، ويحمل الباب الكبير يعي بقلبه الأشداء، ويصيح الصيحة فتنخلع لها قلوب الشجعان.

ومن مكانة تركيبه رضي الله عنه أنه كان لا يبالي الحر والبرد، ولا يحفل الطوارئ الجوية في صيف ولا شتاء، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف، وسئل في ذلك فقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلي وأنا أرمد العين يوم خيبر فقلت: يا رسول الله، إني أرمد العين. فقال: اللهم أذهب عنه الحر والبرد، فما وجدت حراً ولا برداً منذ يومئذ».

ولا يفهم من هذا أنه رضوان الله عليه كان معدوم الحس بالحر والبرد بالغاً ما بلغت بهما القساوة والإيذاء، فقد كان يرعد للبرد إذا اشتد ولم يتخذ له عدة من دثار يقيه، قال هارون بن عنترة عن أبيه: دخلت على علي بالخورنق وهو فصل شتاء وعليه خلق قطيفة وهو يرعد فيه فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً وأنت تفعل هذا بنفسك؟ فقال: والله ما أرزأكم شيئاً، وما هي إلا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة.

فليس هو انعدام حس بحر الصيف وبرد الشتاء، إنما هي مناعة قوية خصّت بها بنيته، لم يخص بها معظم الناس.

واجترأ وهو فتى ناشئ على عمرو بن ودّ فارس الجزيرة العربية، الذي كان يقوم بألف رجل عند أصحابه وعند أعدائه، وكانت وقعة الخندق، فخرج عمرو مقنعاً في الحديد ينادي جيش المسلمين: من يبارز؟ فصاح علي: أنا له يا نبي الله، قال النبي وبه إشفاق عليه: إنه عمرو، اجلس، ثم عاد عمرو ينادي: ألا رجل يبرز؟ وجعل يؤنبهم قائلاً: أين جنتكم التي زعمتم أنكم داخلوها إن قتلتم؟ أفلا تبرزون إلي رجلاً؟ فقام علي مرة بعد مرة وهو يقول: أنا له يا رسول الله، ورسول الله يقول له مرة بعد مرة:

اجلس، إنه عمرو، وهو يجيبه: وإن كان عمراً، حتى أذن له، فمشى إليه فرحاً بهذا الإذن الممنوع كأنه الإذن بالخلاص، ثم نظر إليه عمرو فاستصغره وأنف أن يناجزه وأقبل يسأله: من أنت؟ قال: ولم يزد: أنا علي. قال: ابن عبدمناف؟ قال: ابن أبي طالب، فأقبل عمرو عليه يقول: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسنّ، وإني أكره أن أهرق دمك، فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهرق دمك، فغضب عمرو وأهوى إليه بسيف كان كما قال واصفوه كأنه شعلة نار، واستقبل علي الضربة بدرقته فقدها السيف وأصاب رأسه، ثم ضربه علي على حبل عاتقه فسقط ونهض، وسقط ونهض، وثار الغبار، فما انجلى إلا عن عمرو صريعاً وعلي يجأر بالتكبير.

فكانت أخت عمرو بن ودّ تقول على سبل التأسي بعد موته:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله بكيته أبداً ما دمت في الأبد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى أبوه بيضة البلد

ومن تورعه عن البغي، مع قوته البالغة وشجاعته النادرة، أنه لم يبدأ أحداً قط بقتال وله مندوحة عنه، وكان يقول لابنه الحسن: لا تدعون إلى مبارزة فإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي إليها باغ والباغي مصروع».

وعلم أن جنود الخوارج يفارقون عسكره ليحاربوه، وقيل له إنهم خارجون عليك، فبادرهم قبل أن يبادروك، فقال: «لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون».

وكذلك فعل قبل وقعة الجمل، وقبل وقعة صفين، وقبل كل وقعة صغرت أو كبرت ووضح فيها عداء العدو أو غمض: يدعوهم إلى السلم وينهى رجاله عن المبادأة بالشر، فما رفع يده بالسيف قط إلا وقد بسطها قبل ذلك للسلام.

كان يعظ قوماً فبهرت عظته بعض الخوارج الذين يكفرونه، فصاح معجباً إعجاب الكاره الذي لا يملك بغضه ولا إعجابه: قاتله الله كافراً ما أفقهه، فوثب أتباعه ليقتلوه فنهاهم عنه وهو يقول: إنما هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب.

وعلى ما كان بينه وبين معاوية وجنوده من اللدة في العداء لم يكن ينازلهم ولا يأخذ من ثاراته وثارات أصحابه عندهم إلا بمقدار ما استحقوه في موقف الساعة: فاتفق في يوم صفين أن خرج من أصحاب معاوية رجل يسمى كريز بن الصباح

الحميري فصاح بين الصفين: من يبارز؟ فخرج إليه رجل من أصحاب علي فقتله ووقف عليه ونادى: من يبارز؟ فخرج إليه آخر فقتله وألقاه على الأول، ثم نادى: من يبارز؟ فخرج إليه الثالث فصنع به صنيعه بصاحبيه، ثم نادى رابعة: من يبارز؟ فأحجم الناس ورجع من كان في الصف الأول إلى الصف الذي يليه، وخاف علي أن يشيع الرعب بين صفوفه، فخرج إلى الرجل المدلل بشجاعته وبأسه فصرعه، ثم نادى نداءه حتى أتم ثلاثة صنع بهم صنيعه بأصحابه، ثم قال مسمعاً الصفوف: يا أيها الناس، إن الله عز وجل يقول: الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص، ولو لم تبدأونا ما بدأناكم، ثم رجع إلى مكانه.

أما مروءته في هذا الباب، فكانت أندر بين ذوي المروءة من شجاعته بين الشجعان، فأبى على جنده وهم ناقمون أن يقتلوا مدّبراً أو يجهزوا على جريح أو يكشفوا ستراً أو يأخذوا مالاً. وصلى في وقعة الجمل على القتلى من أصحابه ومن أعدائه على السواء، وظفر بعبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وهم ألد أعدائه والمؤلبين عليه فعفا عنهم ولم يتعقبهم بسوء، وظفر بعمرو بن العاص وهو أخطر عليه من جيش ذي عدة، فأعرض عنه وتركه ينجو بحياته حين كشف عن سوأته اتقاء لضربته، وحال جند معاوية بينه وبين الماء في معركة صفين وهم يقولون له: ولا قطرة حتى تموت عطشاً، فلما حمل عليهم وأجلاهم عنه سوغ لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده، وزار السيدة عائشة بعد وقعة الجمل فصاحت به صفية أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمت أولادي فلم يرد عليها شيئاً، ثم خرج فأعادت عليه ما استقبلته به فسكت ولم يرد عليها. قال رجل أغضبه مقالها: يا أمير المؤمنين، أتسكت عن هذه المرأة وهو تقول ما تسمع؟ فانتهره وهو يقول: ويحك، إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات، أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟ وإنه لفي طريقه إذ أخبره بعض أتباعه عن رجلين ينالان من عائشة فأمر بجلدهما مائة جلدة، ثم ودع السيدة عائشة أكرم وداع، وسار في ركابها أميالاً وأرسل معها من يخدمها ويحف بها، قيل إنه أرسل معها عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عممهن بالعمائم وقلدهن السيوف، فلما كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به وتأففت وقالت: هتك ستري برجاله وجنده الذين وكلهم بي، فلما وصلت

إلى المدينة ألقى النساء عمائمهن وقلن لها: إنما نحن نسوة.

فنهى أهله وصحبه أن يمثلوا بقاتله أوأن يقتلوا أحداً غيره، ورثى طلحة الذي خلع بيعته وجمع الجموع لحربه رثاء محزون يفيض كلامه بالألم والمودة، وأوصى أتباعه ألا يقاتلوا الخوارج الذين شقوا صفوفه وأفسدوا عليه أمره.

وطفق ابن العاص ينعته بين أهل الشام بالهزل والدعابة ويأمر بسبه على المنابر حتى وجب رده وإدحاض زعمه. فقال رضي الله عنه في بعض خطبه: عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن فيّ دعابة وأني امرؤ تلعابه: أعانس - أمازح الناس- وأماس - أغازل النساء-، لقد قال باطلاً ونطق آثماً، أما وشر القول الكذب أنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيبخل، ويخون العهد ويقطع الآل - الرحم-، فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو ما لم تأخذ السيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القوم سبته، أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، إنه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه أتية - العطية- ويرضخ له على ترك الدين رضيخة - العطية مع قلة-.

كذلك كان يجبه معاوية وغيره بنظائر هذه الكلمات حين يجترئون عليه بما ينض من حقه ويقدح في دعوته.

ولقد كانت للإمام علي رضي الله عنه شواغل أخرى غير الفروسية جري في مجراها حيناً وتبدو غريبة عنها حيناً آخر في عرف بعض الناقدين، ومنها التفقه والنزاع إلى التصوف واستنباط حقائق الأشياء.

ولد علي بن أبي طالب في داخل الكعبة، وكرم الله وجهه عن السجود لأصنامها.

واختلفوا في سنه حين إسلامه من السابعة إلى السادسة عشرة، ولعله أسلم في نحو العاشرة لأنه كان يناهزها عند إعلان الدعوة المحمدية، وكان النبي عليه الصلاة والسلام يتبعد في بيته عبادة الإسلام قبل الدعوة بفترة غير قصيرة، وليس ما يمنع علياً أن يألف تلك العبادة في طفولته الباكرة.

هجم الثوار على باب الخليفة - عثمان بن عفان- فمنعهم الحسن بن علي

وابن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص وطائفة من أبناء الصحابة.

واجتلدوا فمنعهم عثمان وقال لهم: أنتم في حل من نصرتي، وفتح الباب ليمنع الجُلاد حوله، ثم قام رجل من أسلم يناشد عثمان أن يعتزل، فرماه كثير ابن الصلت الكندي بسهم فقتله، فجن جنون الثوار يطلبون القاتل من عثمان وعثمان يأبى أن يسلمه ويقول لهم: «لم أكن لأقتل رجلاً نصرني وأنتم تريدون قتلي» وعز على الثوار أن يدخلوا من الباب الذي كان قد أغلق بعد فتحه فاقتحموا الدار من الدور التي حولها، وأقدموا على فعلتهم النكراء بقتل الخليفة.

ونقل الخبر إلى المسجد وفيه علي جالس في نحو عشرة من المصلين فراعه منظر القادم وسأله: ويحك ما وراءك؟ قال والله قد فرغ من الرجل، فصاح به: تباً لكم آخر الدهر، وأسرع إلى دار الخليفة المقتول، فلطم الحسن وضرب الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبدالله بن الزبير وجعل يسأل ولديه، كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ فأجاب طلحة: «لا تضرب يا أبا الحسن ولا تشتم ولا تلعن، لو دفع مروان ما قتل».

بقيت المدينة خمسة أيام بعد مقتل عثمان وأميرها الغافقي بن حرب يلتمسون من يجيبهم إلى القيام بالأمر، والمصريون يلحون على عليّ وهو يهرب إلى البساتين، ويطلب الكوفيون الزبير فلا يجدونه، والبصريون يطلبون طلحة فلا يجيبهم، فقالوا فيما بينهم: لا نولي أحداً من هؤلاء الثلاثة، فمضوا إلى سعد بن أبي وقاص فقالوا: إنك من أهل الشورى، فلم يقبل منهم، ثم راحوا إلى ابن عمر فأبى عليهم، فحاروا في أمرهم، ثم قالوا: إن نحن رجعنا إلى أمصارنا بقتل عثمان من غير إمرة اختلف الناس في أمرهم ولم نسَّلم، فرجعوا إلى علي فألحوا عليه، وأخذ الأشتر بيده فبايعه وبايعه الناس، وكلهم يقول: لا يصلح لها إلا علي، فلما كان يوم الجمعة وصعد علي المنبر بايعه من لم يبايعه بالأمس وكان أول من باعيه طلحة بيده الشلاء، فقال قائل: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم الزبير، ثم قال الزبير: إنما باعيت علياً واللج على عنقي والسلام.

فمن اللحظة الأولى أخذ في تجنيد قوى الخلافة الدينية التي لا قوة له بغيرها فعزل الولاة الذين استباحوا الغنائم المحظورة وتمرغوا بالدنيا وطمعوا وأطمعوا رعاياهم في بيت مال المسلمين، وأثاروا على عثمان سخط السواد وسخط الفقهاء المتحرجين والحفاظ الغيورين على فضائل الدين.

ورد القطائع التي وزعها بطانة عثمان بين المقربين وذوي الرحم، فصرفتها عن وجوهها التي جعلت لها من إصلاح المرافق وإغاثة المفتقرين إليها على شرعة الإنصاف والمساواة.

ورجع إلى خطة أبي بكر وعمر في تجنيب الصحابة الطامحين إلى الإمارة فتنة الولايات مخافة عليهم من غوايتها وإبعاداً لهم من دسائس الشيع والعصبيات، فلما طالبه طلحة والزبير بولاية العراق واليمن قال لهما: «بل تبقيان معي لآنس بكما، وسأل ابن عباس: ما ترى؟ فأشار بتولية الزبير البصرة وتولية طلحة الكوفة، قال علي: ويحك، إن العراقيين بهما الرجال والأموال، ومتى تملكا رقاب الناس يستميلان السفينة بالطمع، ويضربان الضعيف بالبلاء، ويقويان على القوي بالسلطان، ولو كنت مستعملاً أحداً لضره أو نفعه لاستعملت معاوية على الشام، ولولا ما ظهر من حرصهما على الولاية لكان لي فيهما رأي.

وعلم أن قريشاً لا ينصرونه فنقل العاصمة من المدينة إلى الكوفة، لأن قريشاً كانوا هاشميين وهم لا يتفقون على بيعته وقد تركه أقربهم إليه ورحل إلى معاوية طمعاً في رفده، أو كانوا أمويين وهم حزب معاوية وأهل عشيرته وبيته، أو من تيم وهم حزب طلحة، أو من عدي وهم يؤثرون عبدالله بن عمر بن الخطاب، أو من قبائل أخرى وهم كما قال: «وقد هربوا إلى الأثرة» فإذا أقام بينهم فهو مقيم بين أناس لا ينقطع لهم طلب ولا يضمن لهم ولاء.

ولم تمض أيام معدودة على مبايعة الخليفة الجديد حتى انتظمت صفوف الحجاز كله له أو عليه، فكان معه جميع الشاكين لأسباب دينية أو دنيوية، وكان عليه جميع الولاة الذين انتفعوا في عهد عثمان، وجميع الطامعين في الانتفاع بالولاية والأموال العامة وحالت الخلافة الجديدة بينهم وبين ما طمعوا فيه. وعلى رأس هؤلاء طلحة

والزبير.

فحشدوا جموعهم إلى البصرة وصحبتهم السيدة عائشة لأنها كانت ترغب في خلافة طلحة. لقيها ابن عباس على مقربة من المدينة وهو أمير على الحج من قبل عثمان ولما يزال قائماً بالخلافة، فقالت له: يا ابن عباس، أنشد الله فإنك قد أعطيت لساناً ازعيلا - أي ماضيا- أن تخذل عن هذا الرجل - تعني عثمان- وأن تشكك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت ورفعت لهم المنار، وتحلبوا من البلدان لأمر قد جم، وقد رأيت طلحة بن عبيدالله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يَلِ يسر بسيرة ابن عمه أبي بكر رضي الله عنه، فأجابها ابن عباس: يا أمه لو حدث ما فزع الناس إلا إلى صاحبنا - أي علي- فقالت: إيها عنك، إني لست أريد مكابرتك ولا مجادلتك.

فلما بويع علي في المدينة لم تكن من أنصاره ولا مع الباقين على الحيدة بينه وبين خصومه، فخرجت إلى البصرة مع المطالبين بثأر عثمان، وكانت هناك وقعة الجمل سميت بهذا الاسم لاحتدام القتال فيها حول جملها وهودجها، فانتصر علي وقتل الزبير ومات طلحة بجرح أصابه في المعركة وحسم القتال بالصلح بين الفريقين في الحجاز والعراق.

على أن هذا النصر العاجل لم يخل من آفة تكدره وتنذره بالمخاوف التي يوشك أن يلقاها علي في حربه لخصومه الباقين بعد موت طلحة والزبير، وأقواهم معاوية بن ابي سفيان صاحب الشام.

فقد كان علي يميل - كدأبه- إلى مفاتحة الخارجين عليه في المهادنة أو المصالحة، وكان معه جماعة السبأية - أتباع عبدالله بن سبأ- وهم أخلص الناس له وأغيرهم عليه، ولفرط غيرتهم ولددهم في عدواتهم لم يقنعوا بما دون القضاء على خصومه، ولم يقبلوا التوسط في الصلح دون الغلبة التي لا هوادة فيها. فدهموا القوم وأوقدوا جوة الحرب قبل أن يفرغ علي من حديث المهادنة والتقريب بينه وبين أصدقائه الذين خرجوا عليه.

وكان ذلك في وقعة صفين.

كتب إلى معاوية بعد وقعة الجمل وقد سبقته كتب كثيرة من المدينة:

سلام عليك، أما بعد فإن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بويعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان لك لله رضى وإن خرج عن أمرهم ردوه إلى ما خرج عنه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً. وإن طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتهما، وكان نقضهما كردهما، فجاهدتهما بعدما أعذرت إليهما، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون، فادخل فيما أدخل فيه المسلمون فإن أحب الأمور إلي قبولك العافية، وقد أكثرت في قتلة عثمان، فإن رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمت القوم إلي حملتك وإياهم على كتاب الله. وأما تلك التي تريدها - يعني الخلافة- فهي خد الضبي عن اللبن، ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، واعلم أنك من الطلقاء - أطلق معاوية وأبوه من الأسر يوم فتح مكة- الذين لا تحل لهم الخلافة ولا يدخلون في الشورى، وقد بعثت إليك ابن عبد الله وهو من أهل الإيمان والهجرة فبايعه ولا قوة إلا بالله.

فرد عليه معاوية بما يلي:

«سلام عليك أما بعد، فلعمري لو بايعك الذين ذكرت وأنت بريء من دم عثمان لكنت كأبي بكر وعمر وعثمان. ولكنك أغريت بدم عثمان وخذلت الأنصار، فأطاعك الجاهل وقوي بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان فإن فعلت كانت شورى. وإنما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم، فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام، ولعمري ما حجتك على أهل الشام كحجتك على طلحة الزبير، إن كانا بايعاك فلم أبايعك أنا، فأما فضلك في الإسلام وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلست أدفعه».

ومن ردّ معاوية هذا، تبدو النية الواضحة في فتح أبواب الخلاف، واحداً بعد واحد، كلما أغلق باب منها بقي من ورائه باب مفتوح لا ينتهي الخلاف بإغلاقه.

فتسليم قتلة عثمان لا يكفي لأن علياً نفسه كان متهماً بالإغراء والتخذيل، وبراءة علي من هذه التهمة لا تكفي لأن المرجع بعد ذلك إلى الشورى والنظر في البيعة من جديد.

وزحف علي من الكوفة إلى صفين، ووجد جيش معاوية على الماء، فنحاه عنه بعد أن أبى عليه معاوية أن ينحيه بغير قتال.

وبدأت العثرات من ثم في كل خطوة يخطوها للسلام أو للقتال، فلا يتحفز فريق من أنصاره للحرب حتى يثنيه فريق آخر يحرمها، ولا يقول بوجوبها تحاجز القوم نيفاً وثمانين فزعة، وتصاولوا في وقعات شتى غامرت بها طائفة من هنا وطائفة من هناك وقلما اشتبك فيها الجيشان في وقعة جامعة حتى كانت وقعة الهرير، وحاقت الهزيمة بجيش معاوية وقيل إنه همّ بالفرار، وإذا بالمصاحف ترفع على الحراب من قبل جيش الشام، وإذا بالعثرة الكبرى التي لا خطوة بعدها في طريق فلاح، فإن علياً نظر حوله فإذا بجيشه يوشك أن يقتتل فيما بينه نزعاً على القتال أو إلقاء السلاح، وإن معاوية لفي غنى عن كفاح قوم لا يتفقون على كفاحه، فله منهم سيوف مشروعة لنصره شاءوا أو لم يشاءوا وسيكفونه مؤونة الحرب حتى يتفقوا بينهم على حربه.

ولو كانت آفة الطاعة في جيش علي مقصورة على اجتهاد القراء والحفاظ، وتعجل الغلاة والمتمردين لكان في ذلك وحده ما يكفي لإفساد التدبير واضطراب القتال. وتعذر القتال على أصوله. إذ لا يستغني القائد في ميدان الحرب ولا في ميدان السياسة عن الكتمان والمفاجأة وتحويل الخطط على حسب الطوارق والمناسبات، فإذا كان في كل عمل من أعماله عرضة لاجتهاد أصحاب الفتاوى، وكان أصحاب الفتاوى يفترقون عشرين وجهة في كل حركة من حركات الجيش، فليست له خطة تنفذ، وليس عجيباً بعد ذلك أن ينهزم في ميدان القتال شر هزيمة يبتلى بها مقاتل، بل العجيب أن يتماسك فترة من الزمن وإن قصرت أمام جيش يفوقه في العدد ويرجع في أمره إلى قيادة موحدة ونية مجتمعة ومشيئة مطاعة.

ولكن الآفة مع هذا لم تكن كلها في اجتهاد الحفاظ وتعجل الغلاة بل كان في الجيش أناس يخونون عهده ويشغبون عليه ويبدو من أعمالهم أنهم مسخرون لعدوه

كارهون لانتصاره، فإن لم يكونوا كذلك فالأمر الذي لا شك فيهم أنهم كانوا يعملون وهم عامدون وغير عامدين شر ما يعمله الخائن الخبيث الذي يتحين الفرص للعناد والشقاق وإفشاء الخلل والخذلان في أحرج الأوقات.

وأدهى من ذلك أنه لم يكن قادراً على زجرهم والتنكل بهم، لأن الجيش الذي يوجد فيه من يحرم حرب العدو لن يعدم أناساً يحرمون حرب النصير المقيم على ظاهر الطاعة وليس لك بينة قاطعة عليه.

ومثل ذلك ما يغني عن أمثال كثيرة، وهو مثل الأشعث بن قيس أكبر سادات كندة وأخلقهم أن ينصر حزباً على حزب لو خلصت نيته وبرئت شيمته من التقلب والغدر بأصحابه.

طمح هذا الرجل إلى الملك بعد موت النبي عليه السلام، فدعا قومه أن يتوجوه وحارب المسلمين مع المرتدين حتى حوصر في حصنه أياماً ويئس من الغلبة فاستسلم على أن يصان دمه ودم عشرة من أخصائه، ثم فتح الحصن فقتل كل من فيه ونجا بالعشرة الذين اختارهم إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقبل توبته وزوجه أخته أم فروة، فلما نشبت الفتنة بين علي ومعاوية كان هو من حزب علي يتطلع للفرصة السانحة.

ثم زحف علي رضي الله عنه إلى صفين فكان الأشعث أول المندفعين إلى القتال حين سد أهل الشام طريق الماء، وجاء علياً يقول: يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا سيوفنا؟ ولي الزحف إليه فوالله لا أرجع أو أموت.

ولكنه عاد إلى المسالمة بعد أن وضح النصر في ليلة الهرير فخطب في قومه من كندة قائلاً:

«قد رأيتم يا معشر المسلمين ما قد كان في يومكم هذا الماضي، وما قد فني فيه من العرب، فوالله لقد بلغت من السن ما شاء الله أن أبلغ فما رأيت مثل هذا اليوم قط، ألا فليبلغ الشاهد الغائب أنا إن تواقفنا غداً إنه لفنيت العرب وضيعت الحرمات، أما والله ما أقول هذه المقالة خوفاً من الحرب ولكني رجل مسن أخاف على النساء والذراري غداً إذا فنينا».

ثم ذهب إلى علي رضي الله عنه بعد رفع المصاحف فقال له: «ما أرى الناس إلا

قد رضوا وسرهم أن يجيبوا القوم إلى ما دعوهم إليه من حكم القرآن، فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد فنظرت ما يسأل».

ولقي معاوية فسأله: «يا معاوية لأي شيء رفعتم هذه المصاحف؟»

قال: «لنرجع نحن وأنتم إلى أمر الله عز وجل في كتابه، تبعثون منكم رجلاً ترضون به ونبعث منا رجلاً نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه».

فقال الأشعث: هذا الحق

وعاد إلى علي ينادي بالتحكيم ويختار له هو وأنصاره رجلاً ينوب عن علي، وعلي لا يرضاه.

وكان أنصار التحكيم قد تكاثروا واجترأوا على أمير المؤمنين، فلم يبالوا أن يجبوه بالقول السيء منذرين متوعدين:

«يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذا دعيت له، وإلا ندفعك برمتك إلى القوم أو نفعل بك كما فعلنا بابن عفان، إنه عرض علينا أن نعمل بما في كتاب الله عز وجل فقبلناه والله لتفعلنها أو لنفعلنها بك».

وألحوا عليه أن يردّ قائده الأشتر النخعي من ساحة الحرب، وإلا اعتزلوه أو قتلوه، فقبل التحكيم وهو كاره.

واختار أهل الشام عمرو بن العاص، فقال الأشعث: فإنا رضينا بأبي موسى الأشعري.

قال علي: إنه ليس لي بثقة، قد فارقني وخذل الناس عني، ثم هرب مني حتى آمّنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس نوليه ذلك.

قالوا: لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء، ليس إلى أحد منكما بأدنى من الآخر.

قال: فإني أجعل الأشتر.

قال الأشعث وهو ينفس على الأشتر مكانته وبلاءه من قبل: وهل سعر

الأرض غير الأشتر؟ أو قال: وهل نحن إلا في حكم الأشتر؟

فلما رأى إصرارهم وقلة أنصاره على رأيه بينهم قال: فقد أبيتم إلا أبا موسى؟

قالوا: نعم.

قال: فاصنعوا ما بدا لكم.

قال علي يصف قسمته من الأنصار وقسمته من النوازل والعثرات: «لو أحبني جبل لتهافت».

وقال يصف أنصاره: «أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يوهي الصم الصلاب وفعلكم يطمع فيكم الأعداء، ما عزت دعوة من دعاءكم ولا استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل دفاع الدين المطول أي دار بعد داركم تمنعون؟ ومع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فقد فاز والله بالسهم الأخيب، ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق - السهم المكسور- ناصل - العاري من النصل-، أصبحت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم، ولا أوعد العدو بكم، ما بالكم؟ ما دواؤكم؟ ما طبكم؟ القوم رجال أمثالكم، قوالاً بغير علم؟ وغفلة من غير ورع؟ وطمعاً في غير حق؟».

فإنه لم يفرغ من التحيكم الذي أذعن له وهو كاره حتى فوجئ بطائفة أخرى من أنصاره يرمونه بالكفر لأنه قبل ذلك التحكيم، وزعموه قبولاً للتحكيم في كلام الله وفي دماء المسلمين، وهو عندهم كفر بواح، أولئك هم الخوارج الذين حاربوه بالسلاح وكانوا يحرمون عليه حرب معاوية قبل ذاك.

ثم اجتمع الحكمان بدومة الجندل التي وقع عليها الاختيار لتكون وسطاً بين العراق والشام، ولم يكن قرار الحكمين خافياً على من عرفوا أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص، فإن أبا موسى لم يكتم قط أن السلامة في اجتناب الفريقين والقعود عن القتال، فليس أيسر من إقناعه بخلع صاحبه وخلع معاوية على السواء، ثم يرجع الرأي إلى عمرو بن العاص في إقرار هذا الخلع أو الاحتيال فيه بالحيلة التي ترضيه.

إلا أن الدهاة من العرب كانوا يتوقعون من عمرو بن العاص أن يحتال لنفسه

حتى يفرغ وسعه قبل أن يحتال لصاحبه الذي أنابه عنه.

ومن هؤلاء الدهاة المغيرة بن شعبة الذي اعتزل الفريقين من مطلع الفتنة إلى يوم التحكيم، فلما اجتمع الحكمان على أنها الجولة الأخيرة في الصراع خرج من عزلته ودنا ليستطلع الأمور، فلقي أبا موسى وعمرو بن العاص ثم ذهب إلى معاوية وهو منشغل البال بطول الاجتماع بين الحكمين واضطراب الظنون فيما وراء هذا الإبطال المريب، فقال له وهو يرى اشتغال باله: قد أتيتك بخبر الرجلين.

قال معاوية: وما خبرهما؟

قال المغيرة: إني خلوت بأبي موسى لأبلو ما عنده فقلت: ما تقول فيمن اعتزل عن هذا وجلس في بيته كراهيته للدماء؟ فقال: أولئك خيار الناس خفت ظهورهم من دماء إخوانهم وبطونهم من أموالهم، فخرجت من عنده وأتيت عمرو بن العاص فقلت: يا أبا عبدالله ما تقول فيمن اعتزل هذه الحروب؟ فقال: أولئك شرار الناس لم يعرفوا حقاً ولم ينكروا باطلاً.

ثم عقب المغيرة قائلاً: أنا أحسب أبا موسى خالعاً صاحبه وجاعلها لرجل لم يشهد، وأحسب هواه في عبدالله بن عمر بن الخطاب، وأما عمرو بن العاص فهو صاحبك الذي عرفته، وأحسبه سيطلبها لنفسه أو لابنه عبدالله، ولا أراه يظن أنك أحق بهذا الأمر منه.

وقد أحسن المغيرة حزره نقل الحرف بالحرف في تقدير نية الرجلين فإنهما ما اجتمعا هنيهة حتى أقبل أبو موسى على عمرو يقول له: يا عمرو هل لك فيما فيه صلاح الأمة ورضا الله؟

قال: وما هو؟

قال: نولي عبدالله بن عمر فإنه لم يدخل نفسه في شيء من هذه الحروب. فراغ عمرو قليلاً يحاول أن يلقي في روع صاحبه أنه يريد معاوية، ثم عاد يسأله: فما يمنعك من ابني عبدالله مع فضله وصلاحه وقديم هجرته وصحبته؟

فأوشك أبو موسى أن يجيبه لولا أنه قال: إن ابنك رجل صدق ولكنك غمسته في هذه الحروب غمساً.

وتكرر بينهما هذا القول وأشباهه في كل لقاء، بعد كل جدال، حتى وقر في خلد الأشعري أن خلع الزعيمين أمر لا مناص منه ولا اتفاق بينهما على غيره، فتواعدا إلى يوم يعلنان فيه هذا القرار.

وتقدم أبو موسى فقال بعد تمهيد: «يا أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لأمرها ولا ألم لشعثها من أمر قد أجمع رأيي ورأي عمرو عليه، وهو أن نخلع علياً ومعاوية، ونستقبل الأمة بها الأمر فيولوا منهم من أحبوا عليهم، وإني قد خلعت علياً ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً».

وتلاه عمرو فقال بعد تمهيد: «إن هذا قال ما سمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية، فإنه ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه، والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه».

فغضب أبو موسى وصاح به: مالك لا وفقك الله غدرت وفجرت، إنما مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث.

فابتسم عمرو وهو يقول: إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً».

وبما أن اجتماع الحكمين لم يفض إلى اتفاق بين الحكمين، فقد عاد الخلاف إلى ما كان عليه.

إلا أنه استشرى واحتدم بعد قصة الحكمين بما زاد عليه من فتنة الخوارج المنكرين للتحكيم.

فقد اجتمعوا وأبرموا فيما بينهم: «إن هذين الحكمين قد حكما بغير ما أنزل الله وقد كفر إخواننا حين رضوا بهما وحكموا الرجال في دينهم ونحن على الشخوص من بين أظهرهم، وقد أصبحنا والحمد له ونحن على الحق من بين هذا الخلق».

وخرجوا وعلي يأبى قتالهم حتى يأس من توبتهم، فآثر أن يلقاهم مناقشاً قبل أن يلقاهم مقاتلاً، واقترح عليهم أن يخرجوا إليه رجلاً منهم يرضونه يسأله ويجيب ويتوب إن لزمته الحجة ويتوبوا إن لزمتهم، فأخرجوا إليه إمامهم عبدالله بن الكواء.

قال علي: ما الذي نقمتم علي بعد رضاكم بولايتي وجهادكم معي وطاعتكم لي فهلا برئتم مني يوم الجمل؟

قال ابن الكواء: لم يكن هناك تحكيم.

قال علي: يا ابن الكواء، ويحك، أنا أهدى أم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

قال ابن الكواء: بل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال علي: فما سمعت قول الله عز وجل: «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم» أكان الله يشك أنهم الكاذبون.

قال: إن ذلك احتجاج عليهم، وأنت شككت في نفسك حين رضيت بالحكمين فنحن أحرى أن نشك فيك.

قال: وإن الله تعالى يقول: «فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه».

قال ابن الكواء: ذلك أيضاً احتجاج منه عليهم، ثم قال بعد كلام طويل من قبيل كلامه هذا «إنك صادق في جميع قولك غير أنك كفرت حين حكمت الحكمين».

قال علي: ويحك يا ابن الكواء، إني إنما حكمت أبا موسى وحكم معاوية عمرو.

قال ابن الكواء: فإن أبا موسى كان كافراً.

قال علي: متى كفر؟ أحين بعثته أم حين حكم؟

قال ابن الكواء: بل حين حكم.

قال علي: أفلا ترى أني بعثته مسلماً فكفر في قولك بعد أن بعثته، أرأيت لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً من المسلمين إلى أناس كافرين ليدعوهم إلى الله فدعاهم إلى غيره هل كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك شيء؟ (وقد حدث ها في عهد النبي عليه الصلاة والسلام، إذ أوفد تهاراً الرحال ليدعو قوم مسلمة بالعودة إلى الإسلام، إلا أنه انقلب بين قوم مسيلمة مبشراً بدينه).

قال: لا.

قال: ويحك، فما كان عليّ إن ضل أبو موسى؟ أفيحل لكم بضلالة أبي موسى

أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم فتعترضوا بها الناس؟

فعلم الخوارج أن صاحبهم ليس بندّ لعلي في مجال نقاش، فكفّوه عن الكلام كأنهم آمنوا بصدق علي في حجته وقصده، لولا أنهم قوم قهرتهم لجاجة العناد، فمردوا على الشقاق، وأصروا على تكفير علي وأصحابه وأن يعاملوهم في الحرب والسلم معاملة الكفار.

واستبقى علي هذا كله بقية للسلم والمراجعة. فرفع في الساحة راية ضم إليها ألفي رجل ونادى: من التجأ إلى هذه الراية فهو آمن.

ثم قال لأصحابه: لا تبدأوهم بالقتال حتى يبدأوكم، فصاح الخوارج صيحتهم: لا حكم إلا لله وإن كره المشركون، وهجموا هجمة رجل واحد، وتلقاهم علي وأصحابه لقاء من نفذ صبره ووغر صدره، فما هي إلا ساعة حتى قتل معظم الخوارج وبقي منهم نحو أربعمائة أصيبوا بجراح وعجزوا عن القتال، فأمر بهم علي فحملوا إلى عشائرهم لينظروا من فيه رمق فيدركوه بعلاج.

وأراد المسير إلى الشام ليلقى بها جيش معاوية.

فتصدى له الأشعث بن قيس مرة أخرى كما تصدى له في كل فرصة سانحة للغلبة، وقال له على مسمع الناس: يا أمير المؤمنين نفدت نبالنا وكلت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا، فارجع بنا إلى مقرنا لنستعد بأحسن عدتنا، ولعل أمير المؤمنين يزيد في عدتنا عدة من هلك منها، فإنه أوفى لنا على عدونا.

وتسلل الجند من معسكرهم، ولاذ من لاذ بالمدن القريبة منهم، وأيقن علي أن القوم مارقون من يده، ولا طاعة له عليهم إذا دعاهم بعدها لقتال.

أما معاوية فقد علا نجمه بين قومه، وأعانه طلاب المنافع عامدين، وأعانه الخوارج غير عامدين، فحاربوا علياً ولم يحاربوه، وطلبوا التوبة من عليّ ولم يطلبوها منه، واستمر هو في إنفاذ البعوث والسرايا كل موضع آنس منه غرة وظن بزعمائه موجدة أو سآمة.

فلم تنقض سنتان حتى كانت معه مصر والمدينة ومكة، وبقي علي في أرض الكوفة يائساً منعزلاً عن الناس يتمنى الموت كما قال في بعض خطبه، ويوجس شراً

من أقرب المقربين إليه، وانتهى بقبول المهادنة بينه وبين معاوية، على أن تكون له العراق ولمعاوية الشام، ويكفّا السيف عن هذه الأمة، فلا نزاع ولا قتال.

اجتمع عبدالرحمن بن ملجم والبرك بن عبدالله وعمرو بن بكر التميمي وهم من غلاة الخوارج الموتورين، فتذاكروا القتلى من رفاقهم وتذاكروا القتلى من المسلمين عامة، وألقوا وزر هذه الدماء كلها على ثلاثة من الكفار أو أئمة الضلالة في رأيهم - وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص.

فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب.

وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان.

وقال عمر بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص.

وكان ابن ملجم يحب فتاة من تيم الرباب قتل أبوها وأخوها وبعض أقربائها في معركة الخوارج، وكانت توصف بالجمال الفائق والشكيمة القوية، وتدين بمذهب قومها فوق ما في جوانحها من لوعة الحزن على ذويها فلما خطبها ملجم لم ترض به زوجاً إلا أن يشفي لوعتها. قال: وما يشفيك؟ قلت: ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وقتل علي بن أبي طالب.

قال: أما قتل علي فلا أراك ذكرته لي وأنت تريدينني، قالت: بل التمس غرته، فإذا أصبت شفيت نفسك ونفسي ويهنأك العيش معي وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وزينتها وزينة أهلها.

وخرج الثلاثة متواعدين إلى ليلة واحدة يقتل كل منهم صاحبه في ذلك الموعد.

فأما عمرو بن العاص فقد اشتكى بطنه تلك الليلة فلم يخرج من بيته وأمر خارجة بن حذافة صاحب شرطته أن يصلي بالناس. فضربه عمرو بن بكر وهو يحسبه عمراً فقتله. فقال عمرو: أردتني وأراد الله خارجة، وأمر بقتله.

وأما معاوية فضربه البرك بن عبدالله وقد خرج الغداة للصلاة فوقعت على إليته، وقيل أن الطعنة مسمومة لا يشفيها إلا الكي بالنار أو شراب يمنع النسل، فجزع معاوية من النار ورضي انقطاع النسل وهو يقول: في يزيد وعبدالله ما تقر به

عيني، وأمر بالرجل فقتل لحينه.

وأما علي فضربه ابن ملجم في جبينه بسيف مسموم وهو خارج للصلاة فمات بعد أيام وهو يحذر أولياء دمه من المثلة ويقول لهم: «يا بني عبدالمطلب لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قتل أمير المؤمنين، قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن أحد إلا قاتلي».

انظر يا حسن؟ إن أنا مت من ضربته هذه فضربه ضربة بضربة، ولا تمثل بالرجل فأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إياكم والمثلة ولو أنها بالكلب العقور».

جيء إلى عمر بن الخطاب بامرأة زانية يشتبه في حملها، فاستفتى الإمام فأفتى بوجوب الإبقاء عليها حتى تضع جنينها، وقال له: «إن كان لك سلطان عليها فلا سلطان لك على ما في بطنها».

وانتزع امرأة من أيدي الموكلين بإقامة الحد عليها. وسأله عمر فقال: أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المبتلى حتى يعقل؟ قال بلى: قال: فهذه مبتلاة بني فلان، فلعله أتاها وهو بها، قال عمر: لا أدري. قال: وأنا لا أدري، فترك رجمها للشك في عقلها.

وأتى عمر بامرأة أجهدها العطش فمرت على راع فاستقته فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها، ففعلت، فشاور الناس في رجمها، فقال علي: هذه مضطرة إلى ذلك، فخلّ سبيلها.

إلا أنه قد حاد عن هذه السنة في أمر واحد خالفه فيه بعض فقهاء عصره ومنهم ابن عمه عبدالله بن عباس.

وذلك هو إحراقه الروافض الذين عبدوه ووصفوه بصفات إلهية، وأبوا أن يتوبوا عن ضلالتهم مرة بعد مرة، وقيل إنهم أصروا على عنادهم وهم يحرقون، فاتخذوا من تعذيبه لهم بالنار دليلاً على أنه هو الإله المعبود، إذ لا يعذب بالنار إلا الله.

وقد أحرق الذين ألهوه ونهى عن قتال الخوارج الذين حكموا بفكره، إلا أن

يفسدوا في الأرض أو يبدأوا بالعدوان على بـري»، وفي هـذا الإنصـاف بـين مؤيديـه ومكفريه شفاعة من تلك الصرامة في العقاب.

ومن ما نقله الطبري عن بعض الأسانيد حيث قال:

«رأيت علياً عليه السلام خارجاً من همدان فرأى فتيين يقتتلان ففـرق بينـهما، ثم مضى فسمع صوتاً: يا غوثاً بالله، فخرج يحضر نحوه حتى سمعـت خفـق نعلـه وهـو يقول: أتاك الغوث، فإذا رجل يلازم رجلاً فقال: يا أمير المؤمنين، بعت هذا ثوباً بتسـعة دراهم وشرطت عليه أن لا يعطيني مغموزاً ولا مقطوعاً فأتيته بهذه الدراهم ليبدلها لي فأبى فلزمته فلطمني، فقال: أبدله، ثم قال: بينتك على اللطمة، فأتاه بالبينة. قال: دونك فاقتص قال: إني قد عفوت يا أمير المؤمنين إنما أردت أن أحتاط في حقـك، ثـم ضـرب الرجل تسع درات، وقال: هذا حق السلطان.

وجاءت قضية الإرث، وخلاصـة هـذه القضيـة أن فاطمـة والعبـاس رضـي الله عنهما طلبا ميراثهما في أرض فدك وسهم خيبر فذكر لهما الصديق حديث النـبي عـن إرث الأنبياء، ونصه في روايته: «نحن معاشر الأنبياء، لا نورث، ما تركنـاه فـهو صدقـة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال».

فغضبت فاطمة ولم تكلمه حتى ماتت، ودفنها علي ليلاً ولم يؤذن بـها أبـا بكـر وقيل إن علياً تخلف عن البيعة ستة أشهر إلى ما بعد وفاتها، ثم أرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد، وتلقاه وعنده بنو هاشم فقال: إنه لم يمنعنا من أن نبـايعك يـا أبا بكر إنكار لفضيلتك، ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك، ولكنا كنا نرى أن لنـا في هذا الأمر حقاً فاستبددتم به علينا».

لقد أسرع عبيدالله بن عمر إلى الهرمزان فقتله انتقاماً لأبيه ولم ينتظر حكم ولي الأمر فيـه ولا أن تقـوم البينـة القاطعـة عليـه، فلمـا اسـتفتى في هـذه القضيـة أفتـى بالقصاص منه، ولم يغير رأيه حين تغير رأي عثمان فأعفاه من جريرة عملـه، لأنـه هـو الرأي الذي استمده من حكم الشريعة كما اعتقـده وتحـرّاه، وبـهذا الـرأي دان قاتلـه عبدالرحمن بن ملجم، فأوصى وكرر الوصاية ألا يقتلوا أحداً غيره لمظنة المشاركة بينـه وبين رفقائه في التآمر عليه.

فما حارب علي عدواً له سابقة مودة به إلا أن يذكره بتلك السـابقة ويسـتنجد بالصداقة الأولى فيه على العداوة الحاضرة.

ومن ذلك موقفه مع الزبير وطلحـة في وقعـة الجمـل وهمـا ملحـان في حربـه وإنكار بيعته.

فخرج حاسراً لا يحتمي بدرع ولا سلاح، ونادى: يا زبير، اخرج إلي، فخرج إليـه شاكاً في السلاح، وسمعت السيدة عائشة فصاحت: واحرباه إذ كان خصم علي مقضيـاً عليه بالموت كائناً ما كان حظه من الشجاعة والخبرة بالنضال.

فلما تقابل علي والزبير اعتنقا، وعاد علـي يسـأله: ويحـك يـا زبـير مـا الـذي أخرجك؟

قال: دم عثمان.

قال: قتل الله أولادنا بدم عثمان.

وجعل يذكره عهود رسول الله، ومنها مقالة النبي صلى الله عليـه وسـلم: «والله ستقاتله وأنت له ظالم».

فاستغفر الزبير وقال: لو ذكرتها ما خرجت.

ولما وقف علي على جثة طلحة بكى أحر بكاء، وجعل يمسح التراب عن وجهه وهو يقول: «عزيز علي أن أراك أبا محمد مجندلاً تحت نجوم السماء، وتمنى لو قبضـه الله قبل هذا اليوم بعشرين سنة.

عاش مع فاطمة رضي الله عنها لا يقرن بها زوجة أخرى حتى ماتت بعد مـوت النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، وهي رعاية لها ورعايـة لمقـام أبيـها، فقـد كـان النبي عليه السلام كما جاء في الأثر يغار لبناته غيرة شديدة، وروى عنه أنـه قـال وهـو على المنبر مرة: «إن بني هاشم بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحـوا ابنتـهم علـي بـن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن إلا أن يريد علي بن أبـي طـالب أن يطلـق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنها بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها.

وربما كان من وفائه لها غضبه لغضبها، فأحجم عن مبايعة أبي بكر إلى مـا بعـد

وفاتها على بعض الروايات، وهجره كما هجرته مدة حياتها، وقد ولدت له أشهر أبنائه وبناته الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم وزينب وماتت ولم تبلغ الثلاثين.

وتزوج بعدها تسع نساء رزق منهن أبناء وبنات يختلف في عددهم المؤرخون، ويؤخذ من إحصائهم في الرياض النضرة، للمحب الطبري أنه كان رضي الله عنه وافر الحظ من الذرية، بقي منهم بعده كثيرون.

لما توجه طلحة والزبير نحو العراق ومعهما السيدة عائشة رضي الله عنها، جاءه ابنه الحسن بعد صلاة الصبح فقال الحسن له: «قد أمرتك فعصيتني فتقتل غداً بمعصية لا ناصر لك فيها» فسأله: «وما الذي أمرتني فعصيتك» قال: «أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل ألا تبايع حتى يأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك فأبيت، ثم أمرتك حين فعل هذان الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يدي غيرك، فعصيتني في ذلك كله».

فلم يأنف أن يساجله الرأي ليقنعه وجعل يقول له: «أي بني، أما قولك لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك لا تبايع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، وأما قولك: اجلس في بتيك فكيف لي بما قد لزمني، ومن تريدني، أتريد أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها ويقال دباب دباب، ليست هنا حتى يحل عرقوباها ثم تخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه، فكف عنك أي بني.

وكان رضي الله عنه يزهيه أن يحيط به أبناؤه في محافل الروع ومشاهد المعارك، فيخرج إليها وهم حافون به عن يمينه وشماله، ومنهم من يحمل اللواء بين يديه.

واشتهر بالعطف على صغارهم كما اشتهر بمودة كبارهم، فكان أحب شيء إليه أن يداعبهم أو يرى من يداعبونهم، وكانت له طفلة ذكية ولدتها له زوجة من بني كلب يخرج بها إلى المسجد ويسره أن يسألها أصحابه: من أخوالك؟ فتجيب: وه، وه محاكاة لعواء الكلاب.

وكان يقول: «إن للوالد على الولد حقاً، وإن للولد على الوالد حقاً فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كل شيء إلا معصية الله سبحانه، وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن».

ومن إحسان التسمية أنه هم بتسمية ابنه حرباً لأنه يرشحه للجهاد وهو أشرف صناعاته، لولا أن رسول الله سماه الحسن، وهو أحسن فجرى على هذا الاختيار في تسمية أخويه الحسين والمحسن، وأتم حق أبنائه في إحسان أسمائهم فاختار لهم أسماء النبي وأسلافه من الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان.

أما معيشته في بيته بين زوجاته وأبنائه فمعيشة الزهد والكفاف، وأوجز ما يقال فيها أنه كان يتفق له أن يطحن لنفسه، وأن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته، وأن يلبس الرداء الذي يرعد فيه، وأن أحداً من رعاياه لم يمت عن نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه وهو خليفة المسلمين.

الخطب والوصايا

أول خطبة في المدينة(*)

دواء الأمة:

حمد لله وأثنى عليه وصلى على نبيّه - عليه الصلاة والسلام - ثم قال: أيها الناس، كتاب الله وسنة نبيكم - صلى الله عليه وسلم - أما بعد، فلا يدعين مدعٍ إلا على نفسه، شغل من الجنة والنار أمامه. ساع نجا وطالب يرجو، ومقصر في النار ثلاثة، واثنان ملك طار بجناحيه، ونبي أخذ الله بيديه، لا سادس هلك من اقتحم، وردى من هوى[1] اليمين والشمال مضلة، والوسطى الجادة[2]. منهج عليه أم الكتاب[3] والسنة وآثار النبوة. إن الله داوى هذه الأمة بداوءين: السوط والسيف، لا هوادة عند الإمام فيهما. استتروا ببيوتكم، وأصلحوا فيما بينكم، فالموت من ورائكم. من أبدى صفحته[4] للحق هلك. قد كانت أمور لم تكونوا فيها محمودين. أما إني لو أشاء أن أقول لقلت. عفا الله عما سلف. سبق الرجلان ونام الثالث كالغراب همته بطنه، ويله! لو قص جناحاه وقطع رأسه لكان خيراً له. انظروا فإن أنكرتم فأنكروا، وإن عرفتم فاعرفوا: حق وباطل، ولكل أهل، ولئن كثر الباطل لقديماً فعل، ولئن قل الحق لربما ولعل ولقلما أدبر شيء فأقبل، ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء، وإني لأخشى أن تكونوا في فترة[5] وما علينا إلا الاجتهاد.

وروى فيها جعفر بن محمد - رضوان الله عليه-: ألا إن الأبرار عترتي[6]،

---

(1) أي: ضاع وهلك من سقط من الرذيلة.

(2) أي: أن الطريق الصحيح هو طريق الوسط والاعتدال.

(3) أم الكتاب: أصل الكتاب: أي الأحكام الأساسية فيه. ومن معاني أم الكتاب: الفاتحة، واللوح المحفوظ: لأنه أصل كل الكتب السماوية.

(4) صفحة الرجل: عرض صدره.

(5) الفترة: الضعف والانكسار.

(6) عترة الرجل: نسله ورهطه الأدنون.

وأطايب أرومتى[1]، أحلم[2] الناس صغارا، وأعلم الناس كبارا. ألا وإنا أهل البيت من علم الله علمنا وبحكم الله حكمنا، ومن قول صادق سمعنا؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا. ومعنا راية الحق، من يتبعها لحق، ومن تأخر عنها غرق. ألا وبنا ترد ترة[3] كل مؤمن، وبنا تخلع ربقة[4] الذل من أعناقكم، وبنا فتح الأمر وبنا يختم.

(1) الأرومة (بفتح الهمزة وضمها) الأصل.

(2) أحلم: أعقل. والحلم: العقل.

(3) الترة والوتر: نقص الحق. ومنه قوله تعالى ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ سورة محمد من الآية 35.

(4) الربق بالكسر: حبل فيه عدة عرا تشد به البهم. والواحدة من هذه العرا (ربقة).

الأمم الخوالي(*)

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله ولزوم طاعته، وتقديم العمل، وترك الأمل،[1] فإنه من فرط من عمله، لم يتفع بشيء من أمله. أين التَّعِب[2] بالليل والنهار، والمقتحم لِلُجج[3] البحار، ومفاوز[4] القفار؟ يسير من وراء الجبال، وعالج[5] الرمال؛ يصل الغدو بالرواح، والمساء بالصباح، في طلب محقرات الأرباح[6]؛ هجمت عليه منيته، فعظمت بنفسه رزيته؛ فصار ما جمع بورا، وما اكتسب غرورا، ووافى القيامة محسورا. أيها اللاهي الغار[7] نفسه، كأني بك وقد أتاك رسول ربك[8] لا يقرع لك بابا[9] ولا يهاب لك حجابا؛ ولا يقبل منك بديلا، ولا يأخذ منك كفيلا؛ ولا يرحم لك صغيرا، ولا يوقر فيك كبيراً؛ حتى يؤديك إلى قعر مظلمه[10]، أرجاؤها موحشة؛ كفعله بالأمم الخالية، والقرون الماضية. أين من سعى واجتهد، وجمع عدد، وبنى وشيد، وزخرف ونجد، وبالقليل لم يقنع، وبالكثير لم يمتع؟ أين من قاد الجنود، ونشر البنود؟ أضحوا رفاتا، تحت الثرى أمواتاً، وأنتم بكأسهم شاربون، ولسبيلهم سالكون. عباد الله، فاتقوا الله وراقبوه، واعملوا لليوم الذي تسير فيه الجبال،

* العقد الفريد 67/4، قميحة، أدب الخلفاء، 267.

(1) أي: ترك الاتكال والاعتماد على عفو الله ورحمته دون استقامة وعمل.

(2) الكثير التعب.

(3) لجة الماء بالضم معظمه اهـ مصباح.

(4) مفاوز: جمع مفازة وهي الهلكة.

(5) عالج الرمال: ما تراكم منها ودخل بعضه في بعض.

(6) ما سبق تصوير لحال الدنيا على حقارتها دون أن يستعد للآخرة بالعمل الصالح.

(7) الغار: الخادع.

(8) ملك الموت.

(9) أي: يقتحم عليك دون استئذان.

(10) يوصلك إلى القبر.

وتشقق السماء بالغمام، وتطاير الكتب عن الإيمان والشمائل. فأي رجل يومئذ تراك؟ أقائل: هاؤم أقرءوا كتابيه[1]؟ أم: يا ليتني لم أوت كتابيه[2] نسأل من وعدنا بإقامة الشرائع جنته أن يقينا سخطه. إن أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

(1) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه ﴾ سورة الحاقة 19.

(2) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ وما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ﴾ سورة الحاقة 25.

تقوى الله(*)

الحمد لله الذي استخلص الحمد لنفسه، واستوجبه على جميع خلقه، الذي ناصية كل شيء بيده، ومصير كل شيء إليه، القوى في سلطانه، اللطيف في جبروته، ولا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، خالق الخلائق بقدرته، ومسخرهم بمشيئته، وفي العهد؛ صادق الوعد، شديد العقاب، جزيل الثواب. أحمده وأستعينه على ما أنعم به، مما لا يعرف كنهه غيره، وأتوكل عليه توكل المستسلم لقدرته، المتبري من الحول والقوة إلا إليه، وأشهد شهادة لا يشوبها شك أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له، إلهاً واحداً صمدا، لم يتخذ صاحبه ولا ولد، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا، وهو على كل شيء قدير. قطع أدعاء المدعى بقوله - عز وجل: ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾[1]

وأشهد أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - صفوته من خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله بالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهيا، وإلى الحق داعيا، على حين فترة من الرسل[2]، وضلالة من الناس، واختلاف من الأمور، وتنازع من الألسن، حتى تم به الوحي، وأنذر به أهل الأرض. أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فإنها العصمة من كل ضلال، والسبيل إلى كل نجاة؛ فكأنكم بالجثث قد زايلتها أرواحها، وتضمنتها أجداثها[3]، فلن يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا بانتقاص آخر من أجله، وإنما

* العقد الفريد 68/4. قميحة، أدب الخلفاء، 268.

(1) الذاريات: آية 56.

(2) أي: بعد مدة انقطع فيها بعث الرسل.

(3) أي: يجب أن تذكروا أن الموت قد يفجأكم فإذا بكم في القبور جثث بلا أرواح.

دنياكم كفيء الظل، أو زاد الراكب[1]. وأحذركم دعاء العزيز الجبار عبده[2] يوم تعفى آثاره[3] وتوحش منه ديارة، ويوتم صغاره، ثم يصير إلى حفير من الأرض، متعفراً خده، غير موسد ولا ممهد[4]. أسأل الذي وعدنا على طاعته جنته أن يقينا سخطه، ويجنبنا نقمته، ويهب لنا رحمته، إن أبلغ الحديث كتاب الله.

(1) كناية عن قصر عمر الدنيا وحقارتها.
(2) بانتهاء أجله وقبض روحه.
(3) عفا الأثر: يدرس وينتهي.
(4) صفة للحقير: أي غير سوى ولا مريح.

الدنيا والآخرة (*)

أما بعد، فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت[1] بوداع، وإن الآخرة قد أقبلت وأشرفت بإطلاع، وإن المضمار[2] اليوم والسباق غدا. ألا وإنكم في أيام أمل، ومن ورائه أجل، فمن أخلص في أيام أمله، قبل حضور أجله، نفعه عمله، ولم يضره أمله؛ ومن قصر في أيام أمله، قبل حضور أجله، فقد خسر عمله، وضره أمله. ألا فاعملوا لله في الرغبة، كما تعملون له في الرهبة[3]. ألا وإني لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هاربها[4]. ألا وإنكم قد أمرتم بالظعن[5]، ودللتم على الزاد[6]، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل.

* العقد الفريد / 69. منهج البلاغة، قميحة، أدب الخلفاء، 269.
(1) آذنت: أعملت: والإيذان منها إنما هو بالحال وذلك لما يرى فيها من تغير وتبدل وعدم ثبات.
(2) المضمار: مدة (أو مكان) إعداد الخيل للسباق بتضميرها.
(3) أي: ليكن عملكم لله في السراء كعملكم له في الضراء دون أن يصرفكم النعيم عن خشيته والخوف منه.
(4) ينعى على من لا يطلبون الجنة ويقون أنفسهم النار بالعمل الصالح.
(5) الظعن: الرحيل ويقصد به عدم التعلق بالدنيا.
(6) يقول تعالى ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ البقرة 197.

الجهاد باب الجنة(*)

أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فمن تركه ألبسه الله ثوب الذل، وأشمله البلاء، وألزمه الصغار، وسامه الخسف، ومنعه النصف[1] ألا وإني دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم. فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم وثقل عليكم قولي، فاتخذتموه وراءكم ظهريا، حتى شنت عليكم الغارات. هذا أخو غامد[2] قد بلغت خيله الأنبار، وقتل حسان البكرى، وأزال خيلكم عن مسارحها، وقتل منكم رجالاً صالحين. وقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى المعاهدة فينزع حجلها وقلبها ورعاثها، ثم انصرفوا وافرين، ما كلم[3] رجل منهم. فلو أن رجلا مسلما مات من بعد هذا أسفاً ما كان عندي ملوما، بل كان عندي جديراً[4] فوا عجباً من جد هؤلاء في باطلهم، وفشلكم عن حقكم! فقبحا لكم وترحا![5] حين صرتم غرضاً يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون! فإذا أمرتكم بالمسير إليهم في أيام الحر قلتم: حمارة القيظ[6]، أمهلنا حتى ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالمسير إليهم ضحى في الشتاء، قلتم: أمهلنا حتى ينسلخ عنا هذا القر[7].

---

* العقد الفريد 70/4. ومنهج البلاغة 52 قميحة، أدب الخلفاء، 270.

لما أغار سفيان بن عوف الأسدي على الانبار في خلافة علي - رضي الله عنه - وعليها حسان البكري فقتله، خرج علي وجلس على باب السدة فحمد الله وأثنى عليه وقال هذه الخطبة.

(1) النصف: الانتصاف.

(2) القلب: السوار. الرعاث: القرط.

(3) كلم: جرح.

(4) أي لو أن المسلم مات أسفا وحزنا لما حدث؛ لكان حريا بالتقدير؛ لأن ما وقع خطب جليل.

(5) الترح: الحزن.

(6) شدة الحر.

(7) القر: البرد.

كل هذا فراراً من الحر والقر، فأنتم والله من السيف أفر. يا أشباه الرجال ولا رجال! ويا أحلام أطفال، وعقول ربات الحجال[1] وددت أن الله أخرجني من بين أظهركم وقبضني إلى رحمته من بينكم، وأنى لم أركم ولم أعرفكم، معرفة والله جرت وهنا[2] ووريتم[3] والله صدري غيظا، وجرعتموني الموت أنفاسا، وأفسدتم على رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن ابن أبي طالب شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم! وهل منهم أحد أشد لها مراسا[4] وأطول تجربة مني! لقد مارستها وأنا ابن عشرين، فهأنذا الآن نيفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع.

---

(1) ربات الحجال: النساء.

(2) الوهن: الضعف.

(3) وريتم: أشعلتم.

(4) مراسا: مزاولة ومعاناة.

في عتاب أصحابه وتقريعهم (*)

أيها الناس المجتمعة أبدانهم، المختلفة أهواؤهم، كلامكم يُوهى[1] الصم الصلاب[2] وفعلكم يطمع فيكم عدوكم؛ تقولون في المجالس كيت وكيت[3] فإذا جاء القتال قلتم: حيدي حياد[4] ما عزت دعوة من دعاكم، ولا استراح قلب من قاساكم[5] أغاليل بأباطيل[6] وسألتموني التأخير، دفاع ذي الدين المطول[7] هيهات[8]! لا يدفع الضيم الذليل، ولا يردك الحق إلا بالجد. أي دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أي إمام بعدي تقاتلون؟ المغرور والله من غررتموه، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخيب[9] أصبحت والله لا أصدق قولكم، ولا أطمع في نصرتكم، فرق الله بيني وبينكم، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم. وددت والله أن لي بكل عشرة منكم رجلاً من بني فراس بن غنم[10] صرف الدينار بالدرهم.

* البيان والتبيين 39/1 والعقد الفريد 71/4. ونهج البلاغة 55 والإمامة والسياسة 111/2 (مع اختلاف بينها) قميحة، أدب الخلفاء، 272.

(1) يوهي: يضعف.

(2) الصم: جمع أصم. وهو المصمت القوى. والصلاب: جمع صليب وهو الشديد ذو الصلابة.

(3) أي: سنفعل كذا وكذا.

(4) أي: "ابعدي عني أيها الحرب" وهي عبارة تدل على الجبن والتقاعد والهرب.

(5) أي: أن من يعايشكم ويقاسي منكم ما يقاسي لا يعرف راحة القلب.

(6) أي: أنكم دائما تتذرعون بالأعذار الباطلة للقعود عن الحرب.

(7) ذي الدين المطول: المدين الكثير المطل والتسويف في أداء الدين بلا عذر مستاغ (والمطول صيغة مبالغة من مطل). شبههم في الاعتذار عن الحرب والتأخير عنها بالمدين المطول.

(8) هيهات: اسم فعل ماضي بمعني بعد أي من المستحيل أن تتحقق لكم عزة أو نصر بقعودكم.

(9) السهم الأخيب: هو من سهام الميسر الذي لاحظ له.

(10) هو فراء بن غنم بن ثعلبة من كنافة جد جاهلي عرف بنوه بالشجاعة منهم ربيعة بن مكدم (انظر الأعلام للزركلي 139/5).

الخطبة الغراء (*)

الحمد لله الأحد الصمد[1] الواحد المنفرد، الذي لا من شيء كان ولا من شيء خلق إلا وهو خاضع له، قدرة بأن بها من الأشياء، وبانت الأشياء منه[2]، فليست له صفة تنال، ولا حد يضرب له فيه الأمثال، كل دون صفته تحبير اللغات[3] وضلت هناك تصاريف الصفات، وحارت دون ملكوته مذاهب التفكير، وانقطعت دون علمه جوامع التفسير، وحالت دون غيبه حجب تاهت في أدنى دنوها طامحات العقول. فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم. ولا يناله غوص الفطن؛ وتعالى الذي ليس له نعت موجود، ولا وقت محدود. وسبحان الذي ليس له أول مبتدأ، ولا غاية منتهى، ولا آخر يفنى؛ وهو سبحانه كما وصف نفسه، والواصفون لا يبلغون نعته، أحاط بالأشياء كلها علمه، وأتقنها صنعه، وذللها أمره، وأحصا لها حفظه، فلا يعزب[4] عنه غيوب الهوى، ولا مكنون ظلم الدجى[5] ولا ما في السموات العلى، إلى الأرض السابعة السفلى؛ فهو لكل شيء منها حافظ ورقيب، أحاط بها. الأحد الصمد، الذي لم تغيره صروف الأزمان، ولم يتكاءده[6] صنع شيء منها كان. قال لما شاء أن يكون: كن فكان؛

* العقد الفريد 74/4. وانظر نهج البلاغة حيث جاءت فيه خطبة قال الشريف الرضي عنها أن بعض الناس يطلقون عليها الغراء، وهي تختلف في كل كلماتها عن هذه الخطبة وإن قاربتها في الطول. وانظر كذلك أبن أبي الحديد 427/2. قميحة، مرجع سابق، 273.

(1) الصمد: المقصود في الحوائج على الدوام.

(2) يقصد: أن قدرة الله ظاهرة فيما خلق وأن مخلوقاته تدل عليه.

(3) كل: أعيا وعجز. أي: أن اللغات عجزت عن تحديد صفته تعالى.

(4) يعزب: يغيب.

(5) المكنون: المستور. الدجى: جمع دجية وهي الظلام.

(6) لم يتكاءده: لم يشق عليه.

ابتدع ما خلق، بلا مثال سبق، ولا تعب، ولا نصب؛ وكل عالم من بعد جهل تعلم، والله لم يجهل ولم يتعلم: أحاط بالأشياء كلها علما، ولم يزدد بتجربتها خبرا؛ عملمه بها قبل كونها كعلمه بها بعد تكوينها[1] لم يكونها لتسديد[2] سلطان، ولا خوف من زوال ولا نقصان؛ ولا استعانة على ضد مناوئ، ولا ند[3] مكاثر؛ ولكن خلائق مربوبون، وعباد داخرون[4] فسبحان الذي لم يؤده[5] خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما برأ،[6] خلق ما علم، وعلم ما أراد، ولا يتفكر على حادث أصاب، ولا شبهة دخلت عليه فيما شاء؛ لكن قضاء متقن، وعلم محكم، وأمر مبرم. توحد فيه بالربوبية، وخص نفسه بالوحدانية؛ فلبس العز والكبرياء، واستخلص المجد والسناء[7] واستكمل الحمد والثناء، فانفرد بالتوحيد، وتوحد بالتمجيد؛ فجل سبحانه وتعالى عن الأبناء، وتطهر وتقدس عن ملامسة النساء؛ فليس له فيما خلق ند، ولا فيما ملك ضد، هو الله الواحد الصمد، الوارث للأبد، الذي لا يبيد ولا ينفذ؛ ملك السموات العُلى، والأرضين السفلى، ثم دنا فعلا، وعلا فدنا؛ له المثل الأعلى، والأسماء الحسنى، والحمد لله رب العالمين. ثم إن الله تبارك وتعالى سبحانه وبحمده، خلق الخلق بعلمه، ثم اختار منهم صفوته لنفسه، واختار من خيار صفوته أمناء على وحيه، وخزنة له على أمره، إليهم تنتهي رسالته، وعليهم ينزل وحيه؛ جعلهم أصفياء، مصطفين أنبياء، مهديين نجباء. استودعهم وأقرهم في خير مستقر، تناسختهم أكارم الأصلاب[8] إلى مطهرات الأمهات؛ كلما مضى منهم سلف، انبعث لأمره منهم خلف؛ حتى انتهت نبوة الله

(1) أي: أن علمه لا يطرأ ولا يتغير ولا يتطور فعلمه بالأشياء قبل أن تخلق كعلمه بها بعد خلقها.

(2) تسديد: تقوية

(3) الند: المثيل والنظير

(4) خاضعون لله: يفعلون ما يؤمرون.

(5) يؤده: يتعبه ويعجزه.

(6) برأ: خلق.

(7) أي، أنه في كل مكان: قريب من عباده ولكن لا تدركه منهم الأبصار.

(8) أي: تناقلتهم الأصلاب الكريمة فهم كرام الآباء مطهرو الأمهات.

وأفضت كرامته إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فأخرجه من أفضل المعادن محتداً،[1] وأكرم المغارس منبتاً، وامنعها ذروة[2] وأعزها أرومة[3] وأوصلها مكرمة؛ من الشجرة التي صاغ منها أمناء، وانتخب منها أنبياء، شجرة طيبة العود، معتدلة العمود، باسقة الفروع، محضرَّة الأصول والغصون، يانعة الثمار، كريمة المجتبى في كرم نبتت، وفيه بسقت وأثمرت، وعزت فامتنعت؛ حتى أكرمه الله بالروح الأمين، والنور المبين، فختم به النبيين، وأتم به عدة المرسلين؛ خليفته على عباده، وأمينه في بلاده؛ زينه بالتقوى، وآثار الذكرى؛ وهو إمام من اتقى، ونصر من اهتدى؛ سراج لمع ضوءه، وزند برق لمعه، وشهاب سطع نوره، فاستضاءت به العباد، واستنارت به البلاد، وطوى به الأحساب، وأزجى به السحاب، وسخر له البراق، حتى صافحته الملائكة، وأذعنت له الأبالسة، وهدم به أصنام الآلهة. سيرته القصد[4] وسنته الرشد؛ وكلامه فصل، وحكمه عدل. فصدع - صلى الله عليه وسلم - بما أمره به، حتى أفصح بالتوحيد دعوته، وأظهر في خلقه. لا إله إلا الله، حتى أذعن [5] له بالربوبية، وأقر له بالعبودية والوحدانية. اللهم فخص محمداً - صلى الله عليه وسلم - بالذكر المحمود، والحوض المورود. اللهم آت محمداً الوسيلة، والرفعة والفضيلة، واجعل من المصطفين مجلته، وفي الأعلين درجته، وشرف بنيانه، وعظم برهانه، واسقنا بكأسه، وأوردنا حوضه، واحشرنا في زمرته، غير خزايا ولا ناكثين، ولا شاكين ولا مرتابين، ولا ضالين ولا مفتونين، ولا مبدلين ولا حائدين ولا مضلين. اللهم أعط محمداً من كل كرامة أفضلها، ومن كل نعيم أكمله، ومن كل عطاء أجزله، ومن كل قسم أتمه، حتى لا يكون أحد من خلقك أقرب منك مكانا، ولا أحظى عندك منزلة، ولا أدنى إليك وسيلة، ولا أعظم عليك حقا ولا شفاعة من محمد، واجمع بيننا وبينه في ظل العيش،

(1) المحتد الأصل.

(2) الذروة: القمة.

(3) أرومة: أصل.

(4) القصد: الاعتدال.

(5) أذعن: خضع وسلم.

وبرد الروح[1] وقرة الأعين، ونضرة السرور، وبهجة النعيم؛ فإنا نشهد أنه قد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة والنصيحة، واجتهد للأمة وجاهد في سبيلك، وأوذي في جنبك، ولم يخف لومة لائم في دينك، وعبدك حتى أتاه اليقين. إمام المتقين، وسيد المرسلين، وتمام النبيين، وخاتم المرسلين، ورسول رب العالمين، اللهم رب البيت الحرام، ورب البلد الحرام، ورب الركن والمقام، ورب المشعر الحرام، بلغ محمداً منّا السلام. اللهم صل على ملائكتك المقربين، وعلى أنبيائك المرسلين، وعلى الحفظة الكرام الكاتبين، وصلى الله على أهل السموات وأهل الأرضين، من المؤمنين.

(1) من معاني الروح: الراحة والرحمة.

الخطبة الزهراء(*)

الحمد لله الذي هو أول كل شيء وبديه[1]، ومنتهى كل شيء ووليه، وكل شيء خاشع له، وكل شيء قائم به، وكل شيء ضارع إليه، وكل شيء مستكين له. خشعت له الأصوات، وكلت دونه الصفات، وضلت دونه الأوهام، وحارت دونه الأحلام[2]، وانحسرت دونه الأبصار. لا يقضي في الأمور غيره، ولا يتم شيء منها دونه، سبحانه ما أجل شأنه، وأعظم سلطانه! تسبح له السموات العلى، ومن في الأرض السفلى، له التسبيح والعظمة، والملك والقدرة، والحول والقوة؛ يقضي بعلم، ويعفو بحلم، قوة كل ضعيف ومفزع كل ملهوف، وعز كل ذليل، وولى كل نعمة، وصاحب كل حسنة، وكاشف كل كربة، المطلع على كل خفية، المحصى لكل سريرة، يعلم ما تكن الصدور، وما ترخى عليه الستور؛ الرحيم بخلقه، الرءوف بعباده من تكلم منهم سمع كلامه، ومن سكت منهم علم ما في نفسه، ومن عاش منهم فعليه رزقه، ومن مات منهم فإليه مصيره، أحاط بكل شيء علمه، وأحصى كل شيء حفظه، اللهم لك الحمد عدد ما تحيى وتميت، وعدد أنفاس خلقك ولفظهم، ولحظ أبصارهم، وعدد ما تجرى به الريح، وتحمله السحاب، ويختلف به الليل والنهار، ويسير به الشمس والقمر والنجوم، حمداً لا ينقضي عدده، ولا يفنى أمده. اللهم أنت قبل كل شيء، وإليك مصير كل شيء، وتكون بعد هلاك كل شيء، وتبقى ويفنى كل شيء، وأنت وارث كل شيء، أحاط علمك بكل شيء، وليس يعجزك شيء، ولا يتواري عنك شيء، ولا يقدر أحد قدرتك، ولا يشكرك أحد حق شكرك، ولا تهتدي العقول لصفتك، ولا تبلغ الأوهام حدك. حارت الأبصار دون النظر إليك، فلم ترك عين فتخبر عنك كيف أنت وكيف كنت،

* العقد الفريد 76/4 . قميحة، مرجع سابق، 276.

(1) البدي: العجب. ويقصد أن الله عجيب خلقه يأخذ بالأنظار لما فيه من قدره.

(2) الأحلام: العقول.

لا نعلم اللهم كيف عظمتك، غير أنا نعلم أنك حي قيوم، لا تأخذك سنة ولا نـوم، لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر، ولا يقدر قدرتك ملك ولا بشـر، أدركـت الأبصـار، وكتبت الآجال، وأحصيت الأعمال، وأخذت بالنواصي والأقدام؛ لم تخلق الخلق لحاجـة ولا لوحشة، ملأت كل شيء عظمة، فلا يرد ما ردت ولا يعطي ما منعـت، ولا ينقـص سلطانك من عصاك، ولا يزيد من ملكك من أطاعك، كـل سـر عنـدك علمـه، وكـل غيب عندك شاهده، فلم يستتر عنك شيء، ولم يشغلك شيء عن شيء، وقدرتك علـى ما تقضي كقدرتك على ما قضيت، وقدرتك على القـوى كقدرتـك علـى الضعيـف، وقدرتك على الأحياء كقدرتك علـى الأمـوات[1]. فـإليك المنتـهى، وأنـت الموعـد، لا منحى إلا إليك، بيدك ناصية كل دابة، وبإذنك تسقط كـل ورقـة، ولا يعـزب[2] عنـك مثقال ذرة، أنت الحي القيوم. سبحانك! ما أعظم ما يرى من خلقك! وما أعظم ما يرى من ملكوتك! وما أقلهما فيما غاب عنّا منه! وما أسبغ نعمتك في الدنيـا وأحقرهـا في نعيم الآخرة[3]! وما أشد عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في عقوبة الآخـرة! ومـا الـذي نرى من خلقك، ونعتبر من قدرتك، ونصف من سلطانك، فيما يغيب عنّا منـه[4]، ممـا قصرت أبصارنا عنه، وكلت عقولنا دونه، وحـالت الغيـوب بيننـا وبينـه! فمـن قـرع سنة[5]، واعمل فكره: كيف أقمت عرشك؟ وكيف ذرأت[6] خلقك؟ وكيف علقـت في الهواء سمواتك؟ كيف مددت أرضك؟ يرجع طرفـه حاسـرا[7]، وعقلـه مبـهورا، وسمعـه

(1) يعني بقوله "وبقدرتك على ما.." أن قدرة الله ثابتة لا يعتورها النقص أو الضعف على أي حال.

(2) يعزب: يغيب.

(3) أي ما أعظم وأكثر نعمتك في الدنيا ولكن هذه النعمة الدنيوية لا تعد شيئاً إذا مـا قيسـت بنعيم الآخرة.

(4) أي: أن ما نراه من خلقك لا يعد شيئاً إذا ما قيس بما غيب عنا ولم تدركه أبصارنا.

(5) قرع سنة: كناية عن التفكير.

(6) ذرأ: خلق.

(7) حاسر: كليل متعب.

والها، وفكره متحيراً. فكيف يطلب علم ما قبل ذلـك مـن شـأنك إذ أنـت وحـدك في الغيوب التي لم يكن فيها غيرك، ولم يكن لها سواك، لا أحد شهدك حين فطرت الخلـق، ولا أحد حضرك حين ذرأت النفوس، فكيف لا يعظم شأنك عنـد مـن عرفـك، وهـو يرى من خلقك ما ترتاع به عقولهم، ويملأ قلوبهم، من رعد تفزع له القلـوب، وبـرق يخطف الأبصار، وملائكة خلقتـهم وأسـكنتهم سمواتـك، وليسـت فيـهم فـترة[1]، ولا عندهم غفلة، ولا بـهم معصيـة. هـو أعلـم خلقـك بـك، وأخوفـهم لـك، وأقومـهم بطاعتك، ليس يغشـاهم نـوم العيـون، ولا سـهو العقـول؛ لم يسـكنوا الأصـلاب، ولم تضمهم الأرحام، أنشأتهم إنشاء، وأسكنتهم سمواتك، وأكرمتـهم بجـوارك، وأئتمنتـهم على وحيك؛ وجنبتـهم الآفـات، ووقيتـهم السـيآت، وطهرتـهم مـن الذنـوب؛ فلـولا تقويتك لم يقووا، ولولا تثبيتك لم يثبتوا، ولولا رهبتك لم يطيعوا ولولاك لم يكونوا أمـا إنهم على مكانتهم منك، ومنزلتهم عندك، وطول طاعتهم إياك، لو يعـاينون مـا يخفـي عليهم لاحتقروا أعمالهم، ولعلموا أنهم لم يعبـدوك حـق عبـادتك. فسـبحانك خالقـاً ومعبوداً ومحمودا بحسن بلائك[2] عند خلقك! أنت خلقت ما دبرته مطعمـا ومشـربا، ثم أرسلت داعيا إلينا، فلا الداعي أجبنا، ولا فيما رغبتنا فيه رغبنا، ولا إلى مـا شـوقتنا إليه اشتقنا. أقبلنا كلنا على جيفة نأكل منها ولا نشبع[3]، وقد زاد بعضنا علـى بعـض حرصاً، لما يرى بعضنا من بعض؛ فافتضحنا بأكلها، واصطلحنا[4] على حبـها، فـأعمت أبصار صلاحنا وفقهائنا، فهم ينظرون بأعين غير صحيحة، ويسمعون بآذان غير سميعة، فحيثما زالت زالوا معها، وحيثما مـالت أقبلـوا إليـها، وقـد عـاينوا المـأخوذين علـى الغرة[5] كيف فجأتهم الأمور ونزل بهم المحذور، وجاءهم من فـراق الأحبـة مـا كـانوا يتوقعون، وقدموا من الآخرة إلى ما كانوا يوعدون. فارقوا الدنيـا وصـاروا إلى القبـور،

(1) فترة: ضعف.

(2) البلاء هنا: بمعنى النعمة.

(3) يقصد بالجيفة هنا: الدنيا ومتاعها.

(4) اتفقنا واجتمعنا.

(5) أي: الذين جاءهم الموت فجأة.

وعرفوا ما كانوا فيه من الغرور؛ فاجتمعت عليهم حسرتان: حسرة الفوت[1]، وحسرة الموت[2]، فاغبرت لها وجوههم، وتغيرت بها ألوانهم، وعرقت بها جباههم، وشخصت أبصارهم، وبردت أطرافهم، وحيل بينهم وبين المنطق[3]؛ وإن أحدهم لبين أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه. ثم زاد الموت في جسده حتى خالط بصره، فذهبت من الدنيا معرفته، وهلكت عند ذلك حجته، وعاين هول أمر كان مغطى عليه، فأحد لذلك بصره ، ثم زاد الموت في جسده، حتى بلغت نفسه الحلقوم، ثم خرج روحه من جسده فصار جسداً ملقى لا يجيب داعياً، ولا يسمع باكيا، فنزعوا ثيابه وخاتمه، ثم وضئوه وضوء الصلاة، ثم غسلوه وكفنوه ادراجا[4] في اكفانه، وحنطوه[5] ثم حملوا إلى قبره، فدلوه في حفرته، وتركوه مخلى بمقطعات من الأمور، وتحت مسألة منكر ونكير، مع ظلمة وضيق، ووحشة قبر؛ فذاك مثواه حتى يبلى جسده ويصير ترابا. حتى إذا بلغ الأمر إلى مقداره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاءه أمر من خالقه، أراد به تجديد خلقه، فأمر بصوت من سماواته، فمارت السموات موراً، وفزع من فيها، وبقي ملائكتها على أرجائها، ثم وصل الأمر إلى الأرض - والخلق رفات لا يشعرون- فأرج أرضهم وأرجفها وزلزلها، وقلع جبالها ونسفها وسيرها، وركب بعضها بعضاً من هيبته وجلاله، وأخرج من فيها، فجددهم بعد بلائهم، وجمعهم بعد تفرقهم، يريد أن يحصيهم ويميزهم: فريقاً في ثوابه، وفريقاً في عقابه، فخلد الأمر لأبده دائماً خيره وشره. ثم لم ينس الطاعة من المطيعين، ولا المعصية من العاصين، فأراد - عزّ وجل - أن يجازى هؤلاء، وينتقم من هؤلاء، فأثاب أهل الطاعة بجواره، وحلول داره، وعيش رغد، وخلود أبد، ومجاوره الرب، ومرافقة محمد - صلى الله عليه وسلم - حيث لا ظعن[6]

(1) القوت: الحرمان من متاع الدنيا ونعيمها.

(2) ويقصد بحسرة الموت ما يصحبه من آلام وأوجاع وسكرات.

(3) النطق.

(4) أدراج: جمع درج وهو طي الشيء وداخله. وأدرج الميت في الكفن والقبر أدخله.

(5) حنطه: أي نثروا عليه الحنوط وهو طيب يخلط للميت خاصة.

(6) الظعن: السير و الترحال والتنقل.

ولا تغير، وحيث لا تصيبهم الأحزان، ولا تعترضهم الأخطار، ولا تشخصهم الأسفار[1]. وأما أهل المعصية، فخلدهم في النار، وأوثق منهم الأقدام، وغلت[2] منهم الأيدي إلى الأعناق، في لهب قد أشتد حره، ونار مطبقة على أهلها، لا يدخل عليهم بها روح[3]، همهم شديد، وعذابهم يزيد، ولا مُدة للدار تنقضي، ولا أجل للقوم ينتهي. اللهم إني أسألك بأن لك الفضل، والرحمة بيدك، فأنت وليهما، لا يليهما أحد غيرك، وأسألك باسمك المخزون المكنون، الذي قام به عرشك وكرسيك وسماواتك وأرضك، وبه ابتدعت خلقك، الصلاة على محمد، والنجاة من النار برحمتك آمين، إنك ولي كريم.

(1) تشخصهم: تبعدهم وتفرقهم.

(2) غلت: ربطت ووثقت.

(3) الروح: الرحمة أو الرزق أو الاستراحة أو البرد.

الخمس المنجيات(*)

أيها الناس، احفظوا عني خمساً، فلو شددتهم إليها المطايا حتى تنضوها[1] لم تظفروا بمثلها[2]: ألا لا يرجون أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سئل عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم؛ ألا وإن الخامسة الصبر؛ فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد. من لا صبر له لا إيمان له، ومن لا رأس له لا جسد له. ولا خير في قراءة إلا بتدبر، ولا في عبادة إلا بتفكر، ولا في حلم إلا بعلم. ألا أنبئكم بالعالم كل العالم، من لم يزين لعباد الله معاصي الله، ولم يؤمّنهم مكره، ولم يُؤيسهم من روحه[3]. ولا تنزلوا المطيعين الجنة، ولا المذنبين الموحدين النار، حتى يقضي الله فيهم بأمره. لا تأمنوا على خير هذه الأمة عذاب الله[4]، فإنه يقول:

﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾[5]

ولا تقنطوا شر[6] هذه الأمور من رحمة الله،

﴿ أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾[7]

---

* العقد الفريد 80/4 ونهج البلاغة 415 مع اختلاف. قميحة، أدب الخلفاء، مرجع سابق، 280.

(1) تنضوها: تهزلوها وتضمروها في شدة الجهد وطول السفر، ونضا البعير: هزل.

(2) يقصد: أنكم لن تظفروا بمثل هذه الوصية من غيري مهما تكبدتم في سبيل ذلك من مشاق.

(3) رحمته.

(4) أي: أن الله قد يعذب من ترونه - في الظاهر - خير فاضلا فالله أعلم بسر يرته وخفاياه.

(5) سورة الأعراف: 99.

(6) أقنطه: جعله قانطا، أي يائساً.

(7) سورة يوسف: 87.

شخصية عمرو بن العاص(*)

عجبا لابن النابغة[1] يزعم لأهل الشام أن في دعابة وأنى امرؤ تلعابة[2] أعافس وأمارس[3] لقد قال باطلاً، ونطق آثماً. أما - وشر القول الكذب - إنه ليقول فيكذب، ويعد فيخلف، ويسأل فيلحف[4] ويسأل فيبخل، ويخون العهد، ويقطع الإل[5] فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وامر هو[6]؟؟!! ما لم تأخذ السيوف مآخذها فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبته[7].

أما والله إني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، إنه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه أتية[8]، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة[9].

---

* نهج البلاغة 95. قميحة، أدب الخلفاء، مرجع سابق.

(1) النابغة: لقب أم عمرو بن العاص واسمها سلمى.

(2) تلعابة: كثير اللعب.

(3) المعافسة والممارسة: مداعبة النساء.

(4) الإلحاف: الإلحاح.

(5) الإل: القرابة. يصفه بأنه قاطع للرحم.

(6) أي: أنه في الحرب من أرباب الكلام لا البطولة.

(7) أي: إذا بدأت الحرب وشعر بالخطر لجأ إلى الفرار. والقوم: هو السيد العظيم. والسبة: العورة. وهو يشير إلى ما فعله عمرو يوم صفين حين صال عليه علي وكاد يضرب عنقه.

(8) الأتية: العطية.

(9) يرضخ له رضيخة: أي يعطيه ولاية مصر.

الشعر

الشعر

يرى بعض القدماء أن الخلفاء الأربعة كانوا شعراء مجيدين، ومن هؤلاء: الشعبي الذي يقول: "كان أبو بكر يقول: الشعر، وكان عمر يقول: الشعر، وكان عثمان يقول: الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة[1].

ويرى بعض المحدثين[2] أن شاعرية علي بن أبي طالب شاعرية أصيلة: "لأنها موروثة عن أبيه الذي اشتهر له شعر كثير،ولا سيما مؤازرة النبي والدين القويم الذي جاء به".

وهناك من ينكر هذه الشاعرية بإطلاق كما سنرى بعد قليل. وحتى نستطيع أن نخلص إلى حكم دقيق في هذه المسألة علينا أن نفرق بين أمور ثلاثة هي:

1- الشاعرية المطلقة، وبتعبير آخر: شاعرية السليقة أو الشاعرية المطبوعة.

2- شاعرية المناسبات الملحة، أو الشاعرية العابرة.

3- التذوق الأدبي والحس النقدي.

وباستعراض ما نسب إلى علي بن أبي طالب لا نستطيع أن ندعى أن علي بن أبي طالب كان شاعراً بالسليقة على مستوى كعب بن زهير، أو حسان بن ثابت، وإلا لكان الشعر وسيلة من وسائله لجذب القلوب وإصلاح النفوس في أمة كان الشعر ديوانها، ومثلها البياني الأعلى.

لقد كان علي خطيبا بليغاً ، و كان حكيماً مهدياً وكان نقياً ذكياً ولكنه لم يكن شاعراً من شعراء يطلق عليهم هذا الوصف، فيقال: علي الشاعر، ولا يضير أو ينقص من قدره ألا يكون من الشعراء، فقول الشعر ليس سمة تتطلب فيمن يسوس أمور

---

(1) السيوطي: تاريخ الخلفاء 171.

(2) عبد العزيز سيد الأهل، ديوان الإمام علي بن أبي طالب.

الناس، ويحمي حدود الدولة، ويحكم بالعدل والإحسان، ولكن يسيء إلى الحق والحقيقة أن ننحله ما ليس له، وأن نخلع عليه من الأوصاف ما لم يكن فيه.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - قد حسم هذه المسألة حسما قاطعا، فلم يقصد أحد الصحابة للدفاع عن الإسلام بلسانه، ولكنه كلف حسان بن ثابت بذلك حينما سلط الكفار ألسنتهم الحداد ينالون بها من الإسلام والنبي - صلى الله عليه وسلم.

ويقال: إن أحد المسلمين قال لعلي بن أبي طالب: أهج عنا القوم الذين قد هجونا. فقال علي - رضي الله عنه - : إن أذن لي رسوله الله - صلى الله عليه وسلم- فعلت. فقال رجل يا رسول الله: إذن لعلى كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا. قال" ليس هناك" أو "ليس عنده ذلك"[1].

وهذه شهادة من النبي - صلى الله عليه وسلم - بأن عليا لم يكن من الشاعرية بحيث يستطيع أن يكون فارس هذا المجال، والشعر الذي ينسب إلى علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فيقارب في كمه ما نقل لنا من شعر حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن زهير، وهم الشعراء المشهود لهم بالشاعرية. ويلاحظ على هذا الشعر ما يأتي:

1- أن كثيرا من الأبيات والمقطوعات ينسب إلى الإمام علي، وينسب إلى غيره كأبياته في فوائد الأسفار[2]، وأبياته اللامية التي مطلعها:

صن النفس واحملّها على ما يزينها تعش سالما والقولُ فيك جميل

فهذه الأبيات ينسبها الربيع بن سليمان إلى الإمام الشافعي أيضاً[3]

ومن الأبيات التي نسبت إليه وإلى غيره:

عجبا للزمان في حالتيه وبلاء وقعت منه إليه

(1) الأغاني 1351/4.

(2) ديوان علي ل(سيد الأهل) ص53.

(3) انظر السابق ص103.

رب يوم بكيت فيه فلما صرت في غيره بكيت عليه[1]

2- وفي رواية هذا الشعر اضطراب شديد واختلاف ملحوظ من مصدر إلى آخر، مما يهز الثقة في نسبته إلى على - رضي الله عنه - ولنجتزئ بمثال واحد: ينسب لعلي أنه رثى قتلى صفين بقوله:

جزى اللهُ خيرا عصبةً أسلميةً حسان الوجوه صُرِّعُوا حولَ هاشم

يزيدٌ وعبدُ الله منهم ومنقذٌ وعروةُ وابنا مالكٍ في الأكارمِ[2]

وجامع الديوان[3] نقل البيتين عن الإصابة لابن حجر.

وفي مروج الذهب ترد أبيات الرثاء المنسوبة إلى علي - رضي الله عنه - على النحو التالي:

جزى الله خيرا عصبة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

يزيد وعبد الله بشر بن معبد وسفيان وابنا هاشم ذي المكارم

وعروة لا ينفد ثناه وذكره إذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

وصدر المسعودى هذه الأبيات بما يوحي بأنها بعض من كل فيقول: "ووقف علي رضي الله عنه - عند مصرع المرقال، ومن صرع حوله من الأسلميين وغيرهم، فدعا لهم، وترحم عليهم، وقال من أبيات:

جزى الله خيرا[4]

3- وفي بعض القصائد تتردد معان صوفية وفلسفية لم يعرفها المسلمون إلا بعد نشأة علوم الكلام والتصوف، وظهور بصمات الفلسفات الهندية والفارسية

(1) السابق 163.

(2) السابق 125.

(3) ديوان الإمام علي بن أبي طالب، جمع وشرح عبد العزيز سيد الأهل.

(4) مروج الذهب 393/2.

واليونانية على الفكر العربي. كما نرى في هذه الأبيات:

رأيتُ ربي بعين قلبي ... فقلت لا شك أنت أنتا
أنت الذي حزت كل أين ... بحيث لا أين ثَمَّ أنتا
فليس للأين منك أين ... فيعلم الأينُ أينَ أنتا
وليس للوهم فيك وهم ... فيعلم الوهم كيف أنتا
أحطت علما بكل شيء ... فكلُّ شيءٍ أراه أنْتا
وفي فنائي فنا فنائي ... وفي فنائي وجدت أنتا[1]

4- وبعض هذا الشعر يظهر الإمام عليا بمظهر الشعراء المداحين مما يتعارض مع طبيعته النفسية والخلقية من إباء وشمم وعزة نفس، فينسب له قصيدة من واحد وعشرين بيتا في مدح قبيلة الأزد يقول في مطلعها:

الأزد سيفي على الأعداء كلهم ... وسيف أحمد من دانت له العرب
قومٌ إذا فجأوا أبلوا وأن غُلبوا ... لا يحجمون ولا يدرون ما الهرب
قوم لبوسهم في كل معترك ... بيض رقاق وداودية سلب
البيض تحت رءوس تحتها اليلبُ ... وفي الأنامل سمرُ الخطِّ والقضبُ[2]

5- وأغلب هذا الشعر فيه ركة وضعف، وسذاجة في الفكر، وتناقض في المعاني، وكسور في الوزن، وأخطاء في النحو لا يمكن أن تكون من عمل النساخ. ولنقرأ بعض أبيات من أشهر قصيدة تنسب إليه وهي القصيدة الزينبية[3]، وقد بلغت ستة وستين بيتا:

فاقنع ففي بعض القناعة راحة ... واليأس مما فات فهو المطلبُ

(1) الديوان السابق 35، وانظر مثل ذلك 127، 141.
(2) ديوان علي بن أبي طالب، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم.
(3) السابق 32.

وإذا طمعت كسيت ثوب مذلة ... فلقد كسى ثوب المذلة أشعبُ
وأخش مناقشة الحساب فإنه ... لابد يحصى ما جنيت ويكتبُ
فإذا أصابك في زمانك شدة ... وأصابك الخطب الكريهةُ الأصعبُ
فادعو لربك إنه أدنى لمن ... يدعوه من حبل الوريد وأقربُ

سقطات الوزن والنحو واضحة في الأبيات السابقة، ولكن دعك من هذا لنرى بعض المعاني التي تتعارض مع القيم الإسلامية والخلق الإنساني، فهو مثلا يطلب من المسلم إذا رأى صديقه متعلقا به أن يعتبره عدوا له، وأن يتجنبه جهد الطاقة:

وإذا الصديقُ رأيته متعلقاً ... فهو العدو وحقه يتجنب

هذا في الوقت الذي يطالب فيه المسلم "بمصادقة" عدوه، والإقبال عليه وعدم أخذ الحيطة والحذر منه:

والقى عدوك بالتحية لا تكن ... منه زمانك خائفا تترقب

وهذا السقوط اللغوي والفكري يتنزه عنه الإمام علي - رضي الله عنه - وكل هذه الظواهر والأسباب جعلت أغلب المحدثين ينظرون إلى الشعر المنسوب إلى الإمام على محيطة وحذر.

ويرى المستشرق نالينو أن الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كله مختلق، وأنه من صنع أهل الشيعة؛ لأغراضهم الخاصة[1].

أن رفض هذا الشعر كله كإجازته كله: إسراف وشطط في الحكم، فمنه أبيات قليلة ربما صدرت من الإمام علي، ومنها عدد من أراجيزه، كأرجوزته وهو يعمل في بناء مسجد النبي، وأرجوزته يوم خيبر[2].

(1) تاريخ الآداب العربية 116.
(2) جابر قميحه، أدب الخلفاء الراشدين، دار الكتب الإسلامية، القاهرة 390-397 .

الكتب والعهود

إلى أهل الكوفة(*)

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، جبهة الأنصار وسنام العرب.
أما بعد: فإني أخبركم عن أمر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه[1]؟

إن النّاس طعنوا عليه، فكنت رجلاً من المهاجرين أكثر ستعتابة[2] وأقل عتابه، وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف[3]، وأرفق حدائهما العنيف، وكان من عائشة فيه فلته غضب، فأتيح له قوم فقتلوه، وبايعني النّاس عبر مستكرهين ولا مجبرين، بل طائعين مخيرين.

واعلموا أن دار الهجرة[4] قد قلعت بأهلها وقلعوا بها[5]، وجاشت جيش المرجل، وقامت الفتنة على القطب[6] فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوكم. إن شاء الله.

---

* نهج البلاغة 286. (وبعث بهذا الكتاب عند مسيرة من المدينة إلى البصرة). قميحة، أدب الخلفاء، 283.

(1) حتى يكون من سمع كمن رأى وذلك يدل على توخي الإمام الصدق في نقل الخبر.

(2) الاستعتاب: الاسترضاء.

(3) الوجيف: ضرب من السير السريع.

(4) دار الهجرة: المدينة.

(5) أي: لم تعد دار استقرار بعد أن خرج أهلها لقتال أهل الفتنة.

(6) كناية عن اشتداد الفتنة وتسعرها.

إلى قاضيه شريح بن الحارث(*)

يا شريح، اما إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك، ولا يسألك عن بينتك، حتى يخرجك منها شاخصاً[1] ويسلمك إلى قبرك خالصاً، فانظر يا شريح لا تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك! فإذا أنت قد خسرت دار الدنيا ودار الآخرة!

أما إنك لو كنت أتيتني عند شرائك ما اشتريت لكتبت لك كتاباً على هذه النسخة، فلم ترغب في شراء هذه الدار بدرهم فما فوق؛ والنسخة هذه!

هذا ما اشترى عبد ذليل، من عبد قد أزعج للرحيل، اشترى منه داراً من دار الغرور، من جانب الفانين، وخطة الهالكين[2] وتجمع هذه الدار حدود أربعة: الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفات، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبات، والحد الثالث ينتهي إلى الهوى المردى[3]، والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي[4]، وفيه يشرع[5] باب هذه الدار!

اشترى هذا المغتر بالأمل، من هذا المزعج بالأجل، هذه الدار بالخروج من عز القناعة، والدخول في ذل الطلب والضراعة فما أدرك هذا المشتري فيما اشترى منه

* نهج البلاغة 286. (وكتبه إليه لأن شريحا اشترى دارا بثمانين دينارا فأشهد على ذلك شهودا). قميحة ، أدب الخلفاء، 284.

(1) ذاهبا.

(2) الخطة: الأرض لمخططة للبناء أو التعمير

(3) القاتل.

(4) الذي يقوده إلى الغواية والفساد.

(5) يشرع: يفتح.

من درك[1]، فعلى مبلبل أجسام الملوك[2]، وسالب نفوس الجبابرة، ومزيل ملك الفراعنة، مثل كسرى، وقيصر، وتبع وحمير، ومن جمع المال على المال فأكثر، ومن بنى وشيد، وزخرف ونجد[3]، وادخر واعتقد[4] ونظر بزعمه للولد؛ إشخاصهم جميعا[5] إلى موقف العرض والحساب، وموضع الثواب والعقاب، إذا وقع الأمر بفصل القضاء ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾[6] شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى، وسلم من علائق الدنيا.

(1) الدرك: التبعة والمراد منه ما يضر بملكية المشترى أو منفعته بما اشترى، ويكون الضمان فيه على البائع.

(2) مبلبل الأجسام: مهيج داءاتها المهلكة لها.

(3) نجد المنزل: زينة بستور وفرش.

(4) اقتنى.

(5) إشخاصهم: مبتدأ مؤخر. والخبر المقدم "على مبلبل...

(6) غافر 78.

من عهده لمحمد بن أبي بكر حين قلده مصر (*)

فاخفض لهم جناحك، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وآس[1] بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك[2] لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم؛ فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغير من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم؛ وإن يعف فهو أكرم.

واعلموا، عباد الله، أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون[3]؛ ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ[4]، والمتجر الرابح، أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غداً في آخرتهم، لا ترد لهم دعوه، ولا ينقص لهم نصيب من لذة.

فاحذروا عباد الله الموت وقربه، وأعدوا له عدته؛ فإنه يأتي بأمر عظيم، وخطب جليل؛ بخير لا يكون معه شرا أبداً، أو شر لا يكون معه خير أبداً! فمن أقرب إلى الجنة من عاملها، ومن أقرب إلى النار من عاملها؟

وأنتم طرداء الموت؛ إن أقمتم له أخذكم، وإن قررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلكم. الموت معقود بنواصيكم، والدنيا تطوي من خلفكم.

---

* تهج البلاغة 301. قميحة، أدب، 285.

(1) آس: سو.

(2) الحيف: الظلم والجور.

(3) ما سبق من عبارات تفصيل لقوله "إن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة" أي أن المتقي ينعم من الدنيا بما ينعم به المترفون والجبابرة في صورته الحلال ثم يفوز بالآخرة أيضاً بعمله الصالح.

(4) أي: بالتقوى التي تبلغهم الجنة

فاحذروا ناراً قعرها بعيد، وحرها شديد، وعذابها جديد[1]؛ دار ليس فيها رحمة، ولا تسمع فيها دعوة، ولا تفرج فيها كربة.

وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله، وأن يحسن ظنكم به؛ فاجمعوا بينهما، فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، وإن أحسنت الناس ظنا بالله أشدهم خوفاً لله.

وأعلم يا محمد بن أبي بكر، أني قد وليتك أعظم أجنادي[2] في نفسي أهل مصر، فأنت محقوق أن تخالف على نفسك[3]، وأن تنافح[4] عن دينيك، ولو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر، ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه؛ فإن في الله خلفاً من غيره، وليس من الله خلف في غيره[5].

صل الصلاة لوقتها الموقت لها، ولا تعجل وقتها لفراغ، ولا تؤخرها عن وقتها لاشتغال، واعلم أن كل شيء من عملك تبع لصلاتك.

ومنه:

فإنه لا سواء: إمام الهدى، وإمام الردى؛ وولى النبي، وعدو النبي. ولقد قال لي رسول الله - صلى الله عليه وآله-: (إني لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً؛ أما المؤمن فيمنعه الله بإيمانه، وأما المشرك فيقمعه الله بشركه[6] ولكني أخاف عليكم كل منافق الجنان عالم اللسان[7]؛ يقول ما تعرفون، ويفعل ما تنكرون).

---

(1) أي: مجدد دائما لا ينتهي ولا يضعف.

(2) الأجناد: جمع جند ويطلق على المدينة والإقليم.

(3) أي: جدير بأن تخالف شهوة نفسك وتنتصر عليها.

(4) تدافع.

(5) أي أن رضي الله يغنيك عمن فقدت من عباده بإغضابهم في الحق وليس هناك من العباد من يغنيك إذا ما فقدت رضاء الله.

(6) يقهره ليعلم الناس أنه مشرك فيحذروه.

(7) منافق الجنان: الذي يخفي ما في قلبه، عالم اللسان: الذي يعرف أحكام الشريعة، ويسهل عليه بيانها، فيقول حق يعرفه المؤمنون، ويأتي منكرا ينكرونه.

إلى معاوية بن أبي سفيان(*)

أما بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه اصطفاء الله محمداً - صلى الله عليه وآله - لدينه؛ وتأييده إياه بمن أيده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً[1] إذ طفقت تخبرنا ببلاء[2] الله تعالى عندنا، ونعمته علينا في نبينا، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر[3] أو داعي مسدده[4] إلى النضال[5].

وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان[6]، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله[7] وأن نقص لم يلحقك ثلمه[8]، وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس وما للطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم! هيهات، لقد حن قدح ليس منها[9] وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها.

ألا تربع أيها الإنسان على ظلعك[10] وتعرف قصور ذرعك[11]، وتتأخر حيث أخرك القدر! فما عليك غلبة المغلوب ولا ظفر الظافر، وإنك لذهاب في التيه[12] رواغ عن القصد[13].

---

* نهج البلاغة 302. [وهو رد على كتب من معاوية إلى علي] قميحة، أدب، 287.

(1) أي ستر منك أمراً عجيباً ثم أظهره.

(2) البلاء: النعمة والإحسان.

(3) هجر: مدينة بالبحرين كثيرة النخيل.

(4) المسدد: معلم رمي السهام.

(5) النضال: التبارى والتسابق في الرمي.

(6) أبو بكر وعمر.

(7) إن صح ما ذكرت هم من فضل فلا نصيب لك فيه.

(8) وإن نقص فلا عار عليك لأنك لست من هذا في شيء.

(9) حن: صوت منهم.

(10) لا تحمل على نفسك أكثر مما تطيق. وربع: وقفز والظلع: العرج.

(11) الذرع: القدرة والامكانة.

(12) التيه: الغرور والضلال.

(13) ميل ومبعد عن الاعتدال.

ألا ترى - غير مخبر لك - ولكن بنعمة الله أحدث أن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين والأنصار - ولكل فضل - حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشهداء[1]، وخصه رسول الله - صلى الله عليه وآله - بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه[2]!

أولا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله - ولكل فضل - حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: الطيار في الجنة، وذو الجناحين[3].

ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين.

فدع عنك من مالت به الرمية[4]، فإنا صنائع ربنا، والناس بعد صنائع لنا، لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادى طولنا[5] على قومك أن خلطناكم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا؛ فعل الأكفاء، ولستم هناك! وأنى يكون ذلك كذلك، ومنا النبي ومنكم المكذب[6]؟ ومنا أسد الله[7] ومنكم أسد الأحلاف[8] ومنا سيدا شباب أهل الجنة[9]

---

(1) هو: حمزة بن عبد المطلب.

(2) انظر سيرة ابن هشام 12/3.

(3) هو: جعفر بن أبي طالب الذي قطعت يداه واستشهد في غزوة موتة كما استشهد في هذه الغزوة كذلك زيد بن حارثة وعبد الله ابن رواحة [انظر سيرة بن هشام 280/3].

(4) مثل يضرب لمن أعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه. والرمية: الصيد يرميه الصائد. مالت به: خالفت قصده فاتبعها.

(5) العادي: القديم. والطول: الفضل.

(6) المكذب: أبو سفيان.

(7) حمزة.

(8) أبو سفيان (لأنه حزب الأحزاب يوم الخندق).

(9) الحسن والحسين.

ومنكم صبية النار[1] ومنا خير نساء العالمين[2] ومنكم حمالة الحطب[3] في كثير مما لنا وعليكم[4] فإسلامنا ما قد سمع وجاهليتنا لا تدفع[5]، وكتاب الله يجمع لنا ما شذ عنا وهو قوله:

﴿ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ﴾[6]

وقوله تعالى: ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين ءامنوا والله ولي المؤمنين ﴾[7] فنحن مرة أولى بالقرابة، وتارة أولى بالطاعة.

ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فلجوا عليهم[8] فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم[9].

وزعمت أني لكل الخلفاء حسدت، وعلى كلهم بغيت! فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك، فيكون العذر إليك:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها[10].

وقلت: "إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع[11] ولعمر الله لقد

(1) قيل: هم أولاد مروان بن الحكم.
(2) فاطمة بنت النبي - عليه السلام-.
(3) زوجة أبي لهب أم جميل بنت حرب. وهي عمة معاوية.
(4) أي: هذه الفضائل المعدودة لنا، وأضدادها المسرودة لكم قليل في كثير مما لنا وعليكم.
(5) شرفنا في الجاهلية لا يستطيع أحد إنكاره.
(6) الأحزاب 6.
(7) آل عمران 68.
(8) الفلج: يفتح الأول وسكون الثاني: الظفر والفوز يقال فلج على خصمه أي انتصر عليه.
(9) يقصد الإمام علي أن احتاج المهاجرين بالنبي - عليه السلام - يرجع عليا على معاوية وغيره لأنه أدنى الناس قرابة منه. وإن لم يصدق المهاجرون. فدعوني الأنصار ناهضة.
(10) الشكاة: النقيصة. ظاهر: بعيد. يقول له: مالك والخفاء ولست منهم في شيء.
(11) يتهم معاوية عليا بأنه كان يخبر على مبايعة الخفاء الذين تولوا قبله كالبعير المخشوش الذي يوضع في أنفسه خشاش أي عود يشد به الزمام ليكون أسرع لانقياده.

أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه. ولا مرتاباً بيقينه!

وهذه حجتي إلى غيرك قصدها[1] ولكني أطلقت لك منها بقدر ما سنح[2] من ذكرها.

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأينا كان أعدي له[3] وأهدى إلى مقاتله[4] أمن بذل له نصرته[5] فاستقعده واستكفه[6] أمن استنصره فتراخى عنه وبث المنون إليه[7] حتى أتى قدره عليه؟! كلا والله لقد علم الله المعوقين منكم[8] والقائلين لأخوانهم هلم إلينا، ولا يأتون البأس إلا قليلاً[9].

وما كنت لاعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً[10] فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فرب ملوم لا ذنب له.

وقد يستفيد الظنة المتنصح[11].

وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

(1) أي أن يحتج على حقه لغير معاوية لأنه غير جدير بالاحتجاج عليه.
(2) سنح: ظهر وعرض.
(3) أشد عدوانا.
(4) المقاتل: وجوه القتل.
(5) هو الإمام علي.
(6) هو عثمان إذ طلب قعود على ورفض نصرته.
(7) استنصر عثمان بمعاوية وعشيرته من بني أمية ولكنهم لم يسعفوه إلى أن قتل فكأنهم هم الذين قتلوه بتخاذلهم.
(8) المعوقين: المثبطين المانعين من النصرة.
(9) في القرآن الكريم "قد يعلم الله المعوقين منك والقائلين لإخوانكم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا" الأحزاب 18.
(10) أحداثا: جمع حدث.
(11) الظنة: التهمة. المتنصح: الناصح.

وذكرت أنــه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار[1] متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين[2] وبالسيف مخوفين.

لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل[3]

فسيطلبك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وأنا مرقل[4] نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان. شديد زحامهم، ساطع[5] قتامهم[6] متسربلين سرابيل الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بدرية[7] وسيوف هاشمية، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك وأهلك[8]

﴿ وما هي من الظالمين ببعيد ﴾[9]

(1) استعبار: بكاء وفي العبارة سخرية واستهانة بمعاوية وقوته.

(2) ناكلين: متأخرين.

(3) لبث: تمهل. الهيجا: الحرب. حمل: هو حمل بن بدر أغير على إبله في الجاهلية فاستنقذها وقال:

لبثت قليلا يلحق الهيجا حمل ... لا بأس بالموت إذا الموت نزل

فصار مثلا يضرب للتهديد بالحرب.

(4) مرقل: مسرع.

(5) ساطع: ينشر.

(6) القتام: الغبار.

(7) أبناء أهل بدر.

(8) أخوه: حنظلة، وخاله: الوليد بن عتبة وجده: عتبة بن ربيعة.

(9) سورة هود 83.

من وصيته للحسن والحسين (*)

أوصيكما بتقوى الله، وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما[1] ولا تأسفا على شيء منها زوى عنكما[2]، وقولا بالحق واعملا للأجر، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

أوصيكما، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي، بتقوى الله، ونظم أمركم، وصلاح ذات بينكم؛ فإني سمعت جدكما - صلى الله عليه وآله - يقول: (صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة، والصيام).

الله الله في الأيتام؛ فلا تغبوا أفواههم[3]، ولا يضيعوا بحضرتكم.

والله الله في جيرانكم؛ فإنهم وصية نبيكم، مال زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم[4].

والله الله في القرآن؛ لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

والله الله في الصلاة؛ فإنها عمود دينكم.

والله الله في بيت ربكم؛ لا تخلوه ما بقيتم؛ فإنه إن ترك لم تُناظَرُوا[5].

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

* نهج البلاغة 330 (وكان ذلك بعد أن ضربه ابن ملجم) قميحة، أدب، 292.

(1) أي: لا تطلباها وإن طلبتكما.

(2) زوى: قبض وبعد.

(3) أي: اجعلوا إحسانكم إليهم متصلا ولا تقطعوا عنهم الطعام. وقال: أغب فلان القوم: أتاهم غبا (بكسر الأول) أي زارهم يوما وترك يوما.

(4) أي: سيجعل لهم نصيباً في الميراث. ونص الحديث "ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيؤرثه".

(5) أي: لا ينظر إليكم بتقدير وتجلة.

وعليكم بالتواصل والتبـاذل[1]، وإيـاكم والتدابـر والتقـاطع، لا تـتركوا الأمـر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فيولّى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ثم قال:

يا بني عبد المطلب لا الفينّكم[2] تخوضون دماء المسلمين خوضاً[3]، تقولون: قتـل أمير المؤمنين! قتل أمير المؤمنين، ألا لا تقتلن بي إلا قاتلي.

انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة بضربة، ولا يمثل بـالرجل[4]، فإني سمعـت رســول الله - صلـى الله عليــه وآلـه - يقـول: "إيـاكم والمثلـة، ولـو بالكلب العقور[5].

(1) مداولة البذل والعطاء.

(2) لا أجدنكم.

(3) تسرفون في إراقة دمائهم انتقاما لدمي.

(4) التمثيل: تشويه الجسد.

(5) الكلب العقور: هو المسعور الكثير العض.

إلى أمرائه على الجيوش(*)

من عبد الله على بن أبي طالب - أمير المؤمنين - إلى أصحاب المسـالح[1]: أمـا بعد؛ فإن حقا على الوالي أن لا يغيِّره على رعيته فضل ناله، ولا طول خص بـه[2] وأن يزيده ما قسم الله له من نعمة دنوا[3] من عباده وعطفاً على إخوانه.

ألا وإن لكم عندي أن لا احتجز دونكم سراً إلا في حـرب ولا أطـوى دونكـم أمراً إلا في حكم[4]، ولا أوخر لكم حقا عـن محلـه، ولا أقـف بـه دون مقطعـه[5]. وأن تكونوا عندي في الحق سواء؛ فإذا فعلـت ذلك وجبـت لله عليكـم النعمـة؛ ولي عليكـم الطاعة؛ وأن لا تنكصوا عن دعوة[6] ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمـرات إلى الحق[7]، فإن أنتم لم تستقيموا لي على ذلك، لم يكن أحد أهون على ممن اعـوج منكـم، ثم اعظم له العقوبة ولا يجد عندي فيها رخصة.

فخذوا هـذا مـــن أمرائكـــم، وأعطوهـــم مـن أنفسكـــم مـا يصلـح الله بـه أمركـم، والسلام.

* نهج البلاغة 331، قميحة، أدب الخلفاء، 293.

(1) المسالح: الثغور: جمع مسلحة.

(2) الطول: الفضل العظيم.

(3) اقترابا.

(4) يقصد الحكم في مسألة ورد فيها نص صريح لا يحتمل المشورة والمناقشة.

(5) حده.

(6) النكوص: الإحجام والامتناع.

(7) الغمرات: الشدائد.

إلى أمرائه على الخراج (*)

من عبد الله علي - أمير المؤمنين - إلى أصحاب الخراج:

أما بعد؛ فإن من لم يحذر ما هو صائر إليه[1] لم يقدم لنفسه ما يحرزها[2].

واعلموا أن ما كلفتم يسير، وأن ثوابه كثير. ولو يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف، لكان في ثواب اجتنابه[3] مالا عذر في ترك طلبه.

فأنصفوا الناس من أنفسكم، وأصبروا لحوائجهم، فإنكم خُزّان الرعية[4]، ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة. ولا تحشموا أحداً عن حاجته[5] ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً[6]، ولا تضربن أحداً سوطاً لمكان درهم، ولا تمسن مال أحد من الناس مصلٍّ ولا معاهد، إلا أن تجدوا فرساً أو سلاحاً يعدى[7] به على أهل الإسلام، فإنه لا ينبغي للمسلم أن يدع ذلك في أيدي أعداء الإسلام فيكون شوكة عليه.

ولا تدخروا أنفسكم نصيحة، ولا الجند حسن سيرة، ولا الرعية معونة، ولا دين الله قوة[8].

وأبلوا[9] في سبيل الله ما استوجب عليكم فإن الله سبحانه، قد اصطنع عندنا وعندكم أن نشكره بجهدنا[10]، وأن ننصره بما بغت قوتنا، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

* نهج البلاغة 332، قميحة، أدب، 494.

(1) نتيجة عمله وعاقبته.

(2) يحرزها: يقيها ويحميها.

(3) تركه.

(4) خزان الرعية: حفظة أموالها. والمفرد: خازن.

(5) أحشمه: أغضبه وآذاه: أي لا تغضبوا أحدا وتؤذوه بسبب طلبه حاجته.

(6) أي لا تدفعوا أحدا لبيع شيء مما ذكر لأداء ما عيه من خراج.

(7) يتهجم ويعتدي.

(8) أي ابذلوا أقصى ما في وسعكم لنصح أنفسكم ومحاسبتها، ولتكونوا قدوة حسنة لجند كم ومعونة لرعيتكم وقوة لدينكم.

(9) أبلوا: أدوا.

(10) أي أن الله قد طلب منها ومنكم أن تشكره بكل جهدنا.

إلى طلحة والزبير (*)

أما؛ بعد؛ فقد علمتما وإن كتمتما أني لم أرد الناس حتى أرادوني، ولم أبايعهم حتى بايعوني، وإنكما ممن أرادني وبايعني، وإن العامة لم تبايعني لسلطان غالب، ولا لعرض حاضر[1]، فإن كنتما بايعتماني طائعين فارجعا وثوبا إلى الله من قريب، وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل[2] بإظهار كما الطاعة، وإسرار كما المعصية.

ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية والكتمان، وإن دفعكما هذا الأمر[3] قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد إقراركما به.

وقد زعمتما أني قتلت عثمان، فبيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من أهل المدينة، ثم يلزم كل امرئ بقدر ما احتمل[4].

فارجعا أيها الشيخان عن رأيكما فإن الآن أعظم أمركما العار، من قبل أن يتجمع العار والنار[5]، والسلام.

---

* نهج البلاغة 348. قميحة، أدب، 295.

(1) أي: طعما في مال حاضر عندي.

(2) السبيل: الحجة.

(3) يقصد خلافته.

(4) أي فليحكم المجاهدين من أهل المدينة الذين اعتزلوني واعتزلوكم ولتقع التبعة - نزولا على حكمهم على من أسهم في قتل عثمان.

(5) أي: أنكما الآن في عار وخطيئة بخروجكما علي، وإن لم ترجعا صرتما إلى شر من ذلك حين تجمعان يوم القيامة إلى عاركم عذاب النار.

كتابه للأشتر النخعي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد الله علي - أمير المؤمنين - مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه، حين ولاه مصر؛ جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها.

أمره بتقوى الله، وإيثار طاعته، واتباع ما أمر به في كتابه؛ من فرائضه، وسننه، التي لا يسعد أحد إلا باتباعها، ولا يشقى إلا مع جحودها وإضاعتها؛ وأن ينصر الله - سبحانه - بقلبه ويديه ولسانه؛ فإنه - جل اسمه - قد تكفل بنصر من نصره، وإعزاز من أعزه[1].

وأمره أن يكسر من نفسه عند الشهوات، ويزعها عند الجمحات[2]؛ فإن النفس أمارة بالسوء، إلا ما رحم الله.

ثم اعلم يا مالك: أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور، وأن الناس ينظرون من أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسن عباده، فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح، فاملك هواك، وشح بنفسك عما لا يحل لك[3] فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحبت أوكرهت.

وأشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق، يفرط

---

* نهج البلاغة 333. قميحة، أدب، 296.

(وقد كتبه إليه لما ولاه على مصر وأعمالها حين اضطراب أمر أميرها محمد بن أبي بكر. وهو أطول عهد له وأجمع كتبه لمحاسن الفكر واللغة والبلاغة.

(1) وذلك في مثل قوله تعالى "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" سورة محمد 7.

(2) يزع: يكف. والجمحات: الاندفاعات إلى المطامع والشهوات؟

(3) كن ضنينا بنفسك عن أن تقع في حرام.

منهم الزلل[1]، وتعرض لهم العلل، ويؤتي على أيديهم في العمد الخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم، ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفاك أمرهم[2] وابتلاك بهم.

ولا تنصبن نفسك لحرب الله[3] فإنه لا يدي لك بنقمته[4]، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ولا تندمن على عفو ولا تبجحن[5] بعقوبة ولا تسرعن إلى بادرة وجدت منها مندوحة[6]، ولا تقولن: مؤمَّر آمر فأطاع فإن ذلك إذغال[7] في القلب، ومنكهة للدين، وتقرب من الغير[8].

وإذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبهة أو مخيلة[9] فانظر إلى عظم ملك الله فوقك، وقدرته منك على ما لا تقدر عليك من نفسك؛ فإن ذلك يطامن إليك من طماحك[10]، ويكف عنك من غربك[11] ويفئ إليك بما عزب عنك من عقلك[12].

إياك ومساماة الله في عظمته[13] والتشبه به في جبروته، فإن الله يذل كل جبار، ويهين كل مختال.

أنصف الله وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى

---

(1) الخطأ.

(2) أي طلب منك أن تقضي حاجتهم وتكفيهم ما يريدون.

(3) أي مخالفة بالظلم والجور.

(4) أي لا قدرة لك على مواجهة انتقام الله وغضبه.

(5) لا تفرح بعقاب أنزلته بمخطئ.

(6) أي لا تسرع إلى الغضب ما وجدت منه مخرجا.

(7) إفساد له.

(8) أي: يسرع بك إلى النوازل.

(9) العجب والخيلاء.

(10) يخفض من جماع نفسك.

(11) الغرب: الحدة.

(12) يرجع إليك ما غاب من عقلك.

(13) المناماة: المباراة في السمو.

من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله أدحض حجته[1] وكان لله حرباً حتى ينزع أو يتوب، وليس شيء أدعى إلى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته، من إقامة على ظلم، فإن الله يسمع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد.

وليكن أحب الأمور إليك أوسطها في الحق، وأعمها في العدل وأجمعها لرضا الرعية، فإن سخط العامة يجحف برضا الخاصة[2] وإن سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامة[3].

وليس أحد من الرعية أثقل على الوالي مؤونة في الرخاء - وأقل معونة له في البلاء، وأكره للإنصاف، وأسأل بالألحاف[4] وأقل شكراً عند الإعطاء، وأبطأ عذراً عند المنع، وأضعف صبراً عند ملمات الدهر[5] -من أهل الخاصة، وإنما عماد الدين - وجماع المسلمين والعدة للأعداء - العامة من الأمة، فليكمن صغرك[6] لهم، وميلك معهم.

وليكن أبعد رعيتك منك، وأشنأهم[7] عندك، أطلبهم لمعايب الناس[8] فإن في الناس عيوبا الوالي أحق من سترها، فلا تكشفن عما غاب عنك منها، فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، والله يحكم على ما غاب عنك، فاستر العورة ما استطعت، يستر الله منك ما تحب ستره من رعيتك.

أطلق عن الناس عقده كل حقد، واقطع عنك سبب كل وتر[9]، وتغاب[10] عن

(1) أدحض حجته: أبطلها.
(2) يجحف به: أي يذهب به فلا يكون له أثر.
(3) وذلك لأنهم سواد الناس وصوتهم منتشر.
(4) الألحاف: الإلحاح والشدة في السؤال.
(5) ملمات الدهر: نوازله.
(6) الصغر والصغر: الذل والرضاء بالضيم. ويقصد به هنا لين الجانب.
(7) أبغضهم.
(8) ذلك الذي يتعقب عيوب الناس وينقب عنها.
(9) الوتر: العداوة.
(10) تغافل.

كل ما لا يضح[1] لك، ولا تعجلن إلى تصديق ساع؛ فإن الساعي غاش، وإن تشبه بالناصحين. ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل، ويعدك الفقر[2]، ولا جباناً يضعفك عن الأمور، ولا حريصاً يزين لك الشرة[3] بالجور فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى، يجمعها سوء الظن بالله.

إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً، ومن شركهم في الآثام فلا يكونن لك بطانة[4]، فإنهم أعوان الأثمة، وإخوان الظلمة وأنت واجد منهم[5] خير الخلف ممن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس عليه مثل آصارهم وأوزارهم[6]، ممن لم يعاون ظالماً على ظلمه ولا آثماً على إثمه؛ أولئك أخف عليك مؤونة، وأحسن لك معونة، وأحنى عليك عطفاً، وأقل لغيرك إلفاً.

فاتخذ أولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثم ليكن آثرهم عندك أقولهم بمر الحق لك[7]، وأقلهم مساعدة فيما يكون منك مما كره الله لأوليائه، واقعاً ذلك من هواك حيث وقع.

والصق بأهل الورع والصدق، ثم رضهم على أن لا يطروك[8] ولا يبجحوك ببطل لم تفعله[9]، فإن كثرة الإطراء تحدث الزهو، وتدني من العزة[10].

ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء؛ فإن في ذلك تزهيداً لأهل

(1) يظهر ويتضح.
(2) يخوفك منه.
(3) الشره: الطمع والحرص الشديد.
(4) بطانة الرجل: خاصته.
(5) بدلا منهم.
(6) ذنوبهم وآثامهم.
(7) ليكن أفضلهم عندك تكتلا قولا ومصارحة بالحق ولو كان مرا.
(8) الإطراء: الإسراف في المدح.
(9) أي يفرحوك بأن ينسبوا إليك عملا لم تفعله.
(10) يقصد بالعزة: الكبر.

الإحسان في الإحسان وتدريبا لأهل الإساءة على الإساءة، وألـزم كـلا منـهم مـا ألـزم نفسه[1].

واعلم أنه ليس شيء بأدعى إلى حسـن ظـن راع برعيتـه مـن إحسـانه إليـهم وتخفيفه المؤونات عليهم،وترك استكراهه إياهم على ما ليس له قبلهم[2]، فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيتك، فإن حسن الظن يقطع عنك نصباً[3] طويلاً، وإن أحق من حسن ظنك به لمن حسن بلاؤك عنده، وإن أحق مـن سـاء ظنـك لمن ساء[4] بلاؤك عنده.

ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هـذه الأمـة[5] واجتمعـت بـها الألفـة، وصلحت عليها الرعية؛ ولا تحدثن سنة تضر بشيء من ماضي تلـك السـنن فيكـون الأجر لمن سنها، والوزر عليك بما نقضت منها.

وأكثر مدارسة العلماء؛ ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح عليـه أمـر بـلادك، وإقامة ما استقام به الناس قبلك.

واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعـض، ولا غنـى ببعضـها عـن بعض؛ فمنها جنود الله، ومنها كتاب العامة والخاصة، ومنها قضاة العـدل ومنـها عمـال الإنصاف والرفق، ومنها أهل الجزية، والخراج من أهل الذمة ومسلمة النـاس، ومنـها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السفلي من ذوي الحاجة والمسـكنة، وكـل قـد سَّمى الله له سهمه[6]. ووضع على حده وفريضته في كتابه أو سـنة نبيـه - صلـى الله عليه وآله - عهدا منه عندنا محفوظاً.

فالجنود، بإذن الله، حصون الرعية، وزين الولاة، وعز الدين، وسبل الأمن، وليس

(1) فالمسيء قد ألزم نفسه استحقاق العقاب، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة.
(2) قبلهم: عندهم.
(3) تعبا.
(4) يقصد بالبلاء: مطلق العمل.
(5) صدور الأمة أئمتها .
(6) سهمه: نصيبه من الحق.

تقوم الرعية إلا بهم، ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج، الذي يقـوون به على جهاد عدوهم، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم، ويكون من وراء، حاجتهم[1].

ثم لا قوام لهذين الصنفين إلا بالصنف الثالث من القضاة والعمال والكتـاب، لما يحكمون من المعاقد[2] ويجمعون مـن المنـافع، ويؤتمنـون عليـه مـن خـواص الأمـور وعوامها، ولا قوام لهم جميعا إلا بالتجار وذوي الصناعـات، فيمـا يجتمعـون عليـه مـن مرافقهم[3] ويقيمونه من أسواقهم، ويكفونهم من الترفق[4] بأيديهم مـالا يبلغـه رفـق غيرهم[5].

ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم[6] ومعونتهم.

وفي الله لكل سعة، ولكلٍّ على الوالي حق بقدر ما يصلحه.

وليس يخرج الـوالي مـن حقيقـة مـا ألزمـه الله تعـالى مـن ذلـك إلا بالاهتمـام والاستعانة بالله، وتوطين نفسه على لزوم الحق، والصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل.

فول من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسـوله ولإمـامك، وأنقـاهم جيبـا[7] وأفضلهم حلماً[8]؛ ممن يبطئ عن الغضب، ويسـتريح إلى العـذر، ويـرأف بالضعفـاء، وينبو على الأقوياء[9] وممن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف.

ثم الصق بذوي المـروءات والأحسـاب وأهـل البيوتـات الصالحـة والسـوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة، والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب

(1) أي يكون محيطا بجميع حاجاتهم دافعا لها.
(2) المعاقد: العقود.
(3) منافعهم.
(4) الترفق: التكسب.
(5) الرفق: الكسب.
(6) رفدهم: مساعدتهم.
(7) أي أطهرهم قلبا وسريرة.
(8) عقلا.
(9) ينبو عليهم: يشتد عليهم حتى لا يظلموا الضعفاء.

من العرف[1].

ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما، ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به[2] ولا تحقرن لطفاً تعاهدتهم به وإن قل[3]، فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك، وحسن الظن بك. ولا تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به، وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه.

وليكن آثررؤوس[4] جندك عندك من واساهم في معونته؛ وأفضل عليهم من جدته[5]، بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوق أهليهم[6]، حتى يكون همهم هما واحداً في جهاد العدو؛ فإن عطفك عليهم[7] يعطف قلوبهم عليك؛ وإن أفضل قرة عين الولاة استقامة العدل في البلاد؛ وظهور مودة الرعية، وإنه لا تظهر مودتهم إلا بسلامة صدورهم، ولا تصح نصيحتهم إلا بحيطتهم[8] على ولاة أمورهم، وقلة استثقال دولهم، وترك استبطاء انقطاع مدتهم؛ فافسح في آمالهم وواصل في حسن الثناء عليهم وتعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم؛ فإن كثرة الذكر لحسن فعالهم تهز الشجاع، وتحرض الناكل، إن شاء الله.

ثم اعرف لكل امرئ منهم ما أبلى، ولا تضيفن بلاء امرئ إلى غيره[9]، ولا تقصرن به دون غية بلائه[10]، ولا يدعونك شرف امرئ إلى أن تعظم من بلائه ما كان

(1) شعب: جمع شعبة. والعرف: المعروف.

(2) أي: لا تعتبر شيئاً قويتهم به متجاوزا ما يستحقون فذلك واجب عليك وهم مستحقون له.

(3) أي لا تعد شيئا من تلطفك معهم حقيرا فتتركه لحقارته، فكل تلطف منك لهم - وإن قل- فله موقع في قلوبهم.

(4) رؤوس: قادة.

(5) غناه.

(6) من يتركونه وراءهم من النساء والأطفال والعجزة. والخلوف: جمع خلف.

(7) أي على رؤوس الجند.

(8) حفاظهم.

(9) لا تنسب عملا عظيما لغير فاعله.

(10) أي أوفه أقصى درجات الجزاء لهذا العمل.

صغير ولا ضعة امرئ إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيماً.

واردد إلى الله ورسوله ما يضلعك من الخطوب[1] ويشتبه عليك من الأمور؛ فقد قال الله تعالى لقوم أحب إرشادهم:

﴿ يا أيها الذين ءامنوا طيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾[2]

فالرد على الله: خذ بمحكم كتابه، والرد إلى الرسول: الأخذ بسنته الجامعة غير المفرقة[3].

ثم أختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك، ممن لا تضيق به الأمور ولا تمحكه[4] الخصوم ولا يتمادى في الزلة، ولا يحصر من الفيء إلى الحق إذا عرفه[5]، ولا تشرف نفسه على طمع[6] ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات[7] وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرماً بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم؛ ممن لا يزدهيه[8] إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل ثم أكثر تعاهد قضائه[9] وافسح له في البذل ما يزيل عليه[10]، وتقل معه حاجته إلى الناس، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك

(1) ما يشكل عليك في النوازل.

(2) النساء 59.

(3) أي القطعية المجمع عليها.

(4) تغضبه.

(5) أي: لا يضيق صدره من الرجوع إلى الحق.

(6) أي أكثرهم وقوفا وتأنيا في حسم القضايا التي لا يتضح فيها نص.

(7) يزدهيه: يستخفه.

(8) التعاهد: التتبع والتعرف.

(9) ما يذهب همومه ومشاكله.

(10) أي الوشاية والإيقاع به عندك.

ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك[1]، فانظر في ذلك نظراً بليغاً، فإن هذا الدين قد كان أسيراً في أيدي الأشرار؛ يعمل فيه بالهوى، وتطلب به الدنيا.

ثم انظر في أمور عمالك، فاستعملهم أختباراً[2] ولا تولهم محاباة[3] وأثره[4]؛ فإنهما[5] جماع من شعب الجور والخيانة؛ وتوخ[6] منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة، والقدم في الإسلام المتقدمة؛ فإنهم أكرم أخلاقاً، وأصلح أعراضاً؛ وأقل في المطامع إشرافاً، وأبلغ في عواقب الأمور نظراً.

ثم أسبغ عليهم الأرزاق[7] فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم، وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا أمانتك[8].

ثم تفقد أعمالهم وابعث العيون[9] من أهل الصدق والوفاء عليهم، فإن تعاهدك في السر لأمورهم حدوة لهم[10] على استعمال الأمانة والرفق بالرعية.

وتحفظ من الأعوان[11] فإن أحد منهم بسط يده إلى خيانة اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك[12]، واكتفيت بذلك شاهداً، فبسطت عليه العقوبة في بدنه، وأخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلة، ووسمته بالخيانة، وقلدته عار التهمة[13].

---

(1) اجعل اختيارهم بعد امتحانهم.

(2) مجاملة.

(3) استبداد بلا مشورة.

(4) أي: المحاباة والأثرة.

(5) أي يجمعان الظلم وخيانة الأمانة.

(6) توخ: اطلب وتحر.

(7) أي: وسع هم في العطاء.

(8) ثلموا الأمانة: نقصوها أو خانوها وغدروا بها.

(9) العيون: الرقباء.

(10) حدوة: حث واستنهاض.

(11) كن حذراً متيقظا لهم.

(12) أي: اتفقت أخبار الرقباء جميعاً على ارتكابه هذه الخيانة.

(13) أي كن شديداً عليه وأنزل به عقوبة البدن وعقوبة النفس.

وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله؛ فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم؛ ولا صلاح لمن سواهم إلا بهم؛ لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله.

وليكن نظرك في عمارة الأرض[1] أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج؛ لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد، وأهلك العباد، ولم يستقم أمره إلا قليلاً.

فإن شكوا ثقلاً[2] أو علة[3] أو انقطاع شرب[4] أو بالّة[5] أو إحالة أرض اغتمرها غرق[6] أو أجحف بها عطش[7]، خففت عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم[8].

ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم، فإنه ذخر[9] يعودون به عليك في عمارة بلادك، وتزيين ولايتك، مع استجلابك حسن ثنائهم، وتبجحك[10] باستفاضة العدل فيهم معتمداً فضل قوتهم بما ذخرت عندهم من إجمامك لهم، والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم في رفقك بهم[11]، فربما حدث من الأمور ما إذا عولت[12] فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة أنفسهم به، فإن العمران محتمل ما حملته،

---

(1) عمارة الأرض: إصلاحها بالزرع والبناء وما شابه ذلك.

(2) ثقلاً: قداحة ما ضرب عليه من مال الخراج.

(3) علة: آفة تصيب الزرع.

(4) ماء فيما يسقي بالأنهار.

(5) مطروما شابهه: بالنسبة للأرض التي تسقى بالمطر.

(6) أي فساد أرض لما أصابها من غرق.

(7) أي أفسدها حرمانها من الماء.

(8) أي في الحالات السابقة وما يشابهها خفف عنهم ما تفرضه عليهم.

(9) الذخر بالضم الشيء المعد للحاجة. أم مصباح

(10) تبجحك: سرورك وسعادتك.

(11) "معتمداً..." أي معتمداً على زيادة قوتهم بعد أن أرحلتهم ويقوا في عدلك ورفقك.

(12) عولت: اعتمدت.

وإنما يؤتى خراب الأرض من إعواز أهلها[1]، وإنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع[2] وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر.

ثم انظر في حال كتابك فول على أمورك خيرهم؛ واخصص رسائلك التي تدخل فيها مكايدك وأسرارك بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق[3] ممن لا تبطره[4] الكرامة، فيجترئ بها عليك في خلاف لك بحضرة ملاء.

ولا تقصر به الغفلة عن إيراد مكاتبات عمالك عليك، وإصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطي منك[5] ولا يضعف عقداً اعتقده لك، ولا يعجز عن إطلاق ما عقد عليك[6]، ولا يجهل مبلغ قدر نفسه في الأمور؛ فإنه الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل.

ثم لا يكن اختيارك إياهم على فراستك واستنامتك وحسن الظن منك[7]؛ فإن الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنعهم وحسن حديثهم[8]، وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شيء، ولكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك؛ فاعمد لأحسنهم كان في العامة أثراً، وأعرفهم بالأمة وجهاً، فإن ذلك دليل على نصيحتك لله ولمن وليت أمره.

واجعل لرأس كل أمر من أمورك رأساً منهم لا يقهره كبيرها، ولا يتشتت عليه كثيرها، ومهما كان في كتابك من عيب تغابيت عنه ألزمته[9].

---

(1) الأعواز: الفقر والحاجة.

(2) أي لنهم الولاة وتطلعهم لجمع المال.

(3) أي خص أحسن كتابك خلقا لكتابة أخطر رسائلك وأحلمها بالأسرار.

(4) تبطره: تطغيه.

(5) أي لا تدفعه غفلته إلى التقصير في إطلاعك على ما يرد من عمالك والرد عليها بصورة صائبة وافية.

(6) أن يكون قديراً على توثيق ما فيه صالحك وحل ما فيه ضرر عليك.

(7) أي لا يكن اختبارك كتابك مؤسسا على ملك الخاص.

(8) أي يحالون أن يصلوا إلى قلوب الولاة بتجميل الظاهر.

(9) أي إذا تغافلت عن عيب من عيوب كتابك نسب ذلك إليك وعاد ضرره عليك.

ثم استوص بالتجار وذوي الصناعات وأوص بهم خيراً؛ المقيم منهم والمضطرب بماله[1]، والمترفق ببدنه[2]، فإنهم مواد المنافع، وأسباب المرافق[3] وجُلاَّبها من المباعد والمطارح، في برك وبحرك، وسهلك وجبلك،

وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجترئون عليها[4]؛ فإنهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته[5].

وتفقد أمورهم بحضرتك، وفي حواشي[6] بلادك. واعلم - مع ذلك - أن في كثير منهم ضيقاً[7] فاحشاً، وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع، وتحكما في البياعات، وذلك باب مضرة للعامة وعيب على الولاة؛ فامنع من الاحتكار؛ فإن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منع منه. وليكن البيع بيعاً سمحاً؛ بموازين عدل، وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع[8]، فمن قارف حكره[9] بعد نهيك إياه فنكل به؛ وعاقبه في غير إسراف.

ثم الله في الطبقة السفلى من الدين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى[10] فإن في هذه الطبقة قانعا[11] ومعتراً[12]؛ واحفظ لله ما استحفظك[13]

---

(1) المضطرب بماله: المتردد المسافر به بين البلاد.

(2) أي المكتسب بعمل يدوي.

(3) يراد بها ما يتم به الانتفاع كالآنية والأدوات وما يشبه ذلك.

(4) أي يجلبونها من أماكن يعجز الناس عن الاجتماع والذهاب إليها لاستحضارها.

(5) أي أن هؤلاء الصناع والتجار سالمون لا يخشى منهم العصيان أو الأذى.

(6) الحواشي: الأطراف.

(7) الضيق: سوء المعاملة.

(8) المبتاع: المشترى.

(9) اقترف: ارتكب واتى. والحكرة: الاحتكار.

(10) البؤس: الفقر الشديد والزمنى: جمع زمين: وهو من به عهة.

(11) القانع: المحتاج الذي يرضي بما يعطي ولا يسأل ولا يتعرض.

(12) المعتز: السائل أو المعترض.

(13) استحفظك: طلب منك حفظه.

من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً من بيت مالك، وقسماً من غلات صوافي الإسلام[1] في كل بلد؛ فإن للأقصى منهم مثل الذي للأدنى وكل قد استرعيت حقه، فلا يشغلنك عنهم بطر[2] فإنك لا تعذر بتضييعك التافة لإحكامك الكثير المهم[3]، فلا تشخص همك عنهم[4] ولا تصعر خدك لهم[5]، وتفقد أمور من لا يصل إليك منهم، ممن تقتحمه العيون[6] وتحقره الرجال، ففرغ لأوليك ثقتك من أهل الخشية والتواضع، فليرفع إليك أمورهم[7].

ثم اعمل فيهم بالإعذار إلى الله يوم تلقاه[8]، فإن هؤلاء من بين الرعية أحوج إلى الإنصاف من غيرهم، وكل فاعذر إلى الله من تأدية حقه إليه.

وتعهد أهل اليتم[9] وذوي الرقة في السن إلى ممن لا حيلة له، ولا ينصب للمسألة نفسه، وذلك على الولاة ثقيل، والحق كله ثقيل، وقد يخففه الله على أقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود الله لهم[10].

واجعل لذوى الحاجات منك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، وتجلس لهم مجلساً عاماً فتتواضع فيه لله الذي خلقك، وتقعد عنهم جندك وأعوانك من أحراسك وشرطك، حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع[11] فإني سمعت رسول الله، - صلى الله

(1) جمع صافية: وهي أرض الغنيمة.
(2) البطر: الطغيان بالنعمة.
(3) أي أنك لا عذر لك إذا ضيعت القليل بحجة اهتمامك بالكثر المهم.
(4) لا تصرف اهتمامك عنهم.
(5) لا تمل خدك تكبراً.
(6) ممن يستضعفه الناس ويحتقرونه.
(7) أي: تخير من رجالك ثقات صالحين واجعلهم يتفرغون لمعرفة أحوال هؤلاء الفقراء ويرفعونها إليك.
(8) بما يعد عذراً لك عند الله.
(9) الأيتام.
(10) المتقدمين في السن.
(11) غير متردد أو مضطرب أو خائف.

عليه وسلم - يقول في غير موطن[1]: (لن تقدس أمة[2] لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متتعتع).

ثم احتمل الخرق[3] منهم والعي[4] ونح عنهم الضيق والأنف[5] يبسط الله عليك بذلك أكناف[6] رحمته، ويوجب لك ثواب طاعته، وأعط ما أعطيت هنيئاً[7]، وامنع في إجمال وإعذار[8].

ثم أمور من أمورك لابد لك من مباشرتها؛ منها إجابة عمالك بما يعيا[9] عنه كتابك، ومنها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تحرج[10] به صدور أعوانك، وأمضِ لكل يوم عمله؛ فإن لكل يوم ما فيه.

واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله أفضل تلك المواقيت، وأجزل[11] تلك الأقسام وإن كانت كلها لله؛ إذا صلحت فيها النية، وسلمت منها الرعية.

وليكن في خاصة ما تخلص به دينك إقامة فرائضه التي هي له خاصة، فأعط الله من بدنك في ليلك ونهارك، ووف ما تقربت به إلى الله من ذلك كاملاً غير مثلوم ولا منقوص، بالغاً من بدنك ما بلغ.

وإذا قمت في صلاتك للناس فلا تكونن منفراً ولا مضيعاً[12] فإن في الناس

(1) أي: في أكثر من حديث.
(2) أي: لن يطهر الله أمة ولن يبارك فيها.
(3) الخرق: الجهل والحمق.
(4) العي: العجز عن النطق.
(5) الأنف: الاستكبار.
(6) أكناف: أطراف. جمع كنف.
(7) أي: دون أن يكون متلبسا بمن.
(8) أي: بتلطف وتقديم عذر حتى لا يكون في هذا المنع إساءة إلى شعور من منعت عنه.
(9) يعيا: يعجز.
(10) تحرج: تضيق.
(11) أجزل: أعظم.
(12) أي: لا تنفر الناس من الصلاة بالطويل، ولا تضيعها بالنقص في أركانها أو النيل من كمال هيئتها.

من به العلة، وله الحاجة؛ وقد سألت رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - حين وجهني إلى اليمن: كيف أصلي بهم؟ فقال: "صل بهم كصلاة أضعفهم، وكن بالمؤمنين رحيماً".

وأما بعد، فلا تطولن احتجابك عن رعيتك؛ فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعب من الضيق، وقلة علم بالأمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، ويعظم الصغير، ويقبح الحسن ويحسن القبيح، ويشاب[1] الحق بالباطل؛ وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور،وليست على الحق سمات[2] تعرف بها ضروب الصدق من الكذب، وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت نفسك بالبذل في الحق، ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه، أو فعل كريم تسديه! أو مبتلى بالمنع فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك[3]! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونة فيه عليك، من شكاة مظلمة، أو طلب إنصاف في معاملة.

ثم إن للوالي خاصة وبطانة، فيهم استئثار وتطاول، وقلة إنصاف في معاملة، فاحسم مادة أولئك بقطع أسباب تلك الأحوال[4]، ولا تقطعن لأحد من حاشيتك وحامتك[5] قطيعة[6]، ولا يطمعن منك في اعتقاد عقده[7] تضر بمن يليها من الناس في

(1) يشاب: يخلط ويتلبس.

(2) علامات.

(3) قوله "وإنما أنت...." لماذا تحتجب عن الناس إذا كنت رجل حتى وحلال؟ وإذا كنت عكس ذلك يئس الناس منك وانصرفوا عنك وفي هذه الحال لإمكان للاحتجاب أيضاً. والخلاصة أن عليك ألا تحتجب عن الناس في أي حال.

(4) أي اتخذ الإجرام الوقائي قبل وقوع الاحجاف والتعدي من هؤلاء وذلك بالقضاء على الأسباب المؤدية إليه.

(5) الحامة: الخاصة والقرابة.

(6) القطيعة: المنحة من الأرض وهي ما يسمى بالإقطاعية.

(7) اعتقاد عقدة: امتلاك ضيعة.

شرب أو عمل مشترك، يحملون مؤونته على غيرهم، فيكون مهنأ[1] ذلك لهم دونك، وعيبه عليك في الدنيا والآخرة.

وألزم الحق من لزمه من القريب والبعيد، وكن في ذلك صابراً محتسباً، واقعاً ذلك من قرابتك وخاصتك حيث وقع؛ وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه؛ فإن مغبة ذلك[2] محمودة.

وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك[3]، وأعدل عنك ظنونهم بإصحارك[4]؛ فإن في ذلك رياضة منك لنفسك[5]، ورفقاً برعيتك؛ وإعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق.

ولا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك ولله فيه رضاً؛ فإن في الصلح دعة[6] لجنودك، وراحة من همومك، وأمناً لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه؛ فإن العدو ربما قارب ليتغفل[7] فخذ بالحزم، واتهم في ذلك حسن الظن.

وإن عقدت بينك وبين عدوك عقدة، أو ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء، وارع ذمتك بالأمانة، واجعل نفسك جنة دون ما أعطيت[8]؛ فإنه ليس من فرائض الله شيء الناس أشد عليه اجتماعاً مع تفرق أهوائهم، وتشتت آرائهم، من تعظيم الوفاء بالعهود[9] وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين، لما استوبلوا من عواقب

(1) المهنأ: يقصد به هنا الانتفاع الذي يسعد.

(2) المغبة: العاقبة.

(3) أصحر لهم بعذرك: أبرز لهم بعذرك ووضحه لهم.

(4) أي: سيكون في هذا التوضيح إبعاد لسوء ظنهم بك.

(5) أي: تعويد منك لنفسك على العدل.

(6) راحة.

(7) أي يشتغل غفلتك فيعذر بك.

(8) الجنة (بضم الجيم). الوقاية: ويقصد حافظ على ما تعطي من عهود بروحك.

(9) أي: أن الناس - مسلميهم ومشركيهم - مهما تفرقت أهواؤهم وآراؤهم يجمعون على لزوم احترام العهود والوفاء بها.

الغدر[1]؛ فلا تغدرن بذمتك ولا تخيسن[2] بعهدك ولا تختلن[3] عدوك؛ فإنه لا يجترئ على الله إلا جاهل شقي .وقد جعل الله عهده وذمته أمناً أفضاه[4] بين العباد برحمته وحريماً يسكنون إلى منعته، ويستفيضون[5] إلى جواره فلا إدغال[6] ولا مدالسة[7] ولا خداع فيه.

ولا تعقد عقداً تجوز فيه العلل، ولا تعولن على لحن قول[8] بعد التأكيد والتوثقة، ولا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب إنفساخه بغير الحق؛ فإن صبرك على ضيق أمر ترجو انفراجه وفضل عاقبته، خير من غدر تخاف تبعته، وأن يحيط بك من الله فيه طلبة، فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك.

إياك والدماء وسفكها بغير حلها، فإنه ليس شيء ادعى لنقمة، ولا أعظم لتبعة، ولا أحرى بزوال نعمة،وانقطاع مدة، من سفك الدماء بغير حقها.

والله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام؛ فإن ذلك مما يضعفه ويوهنه بل يزيله وينقله.

واعذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد؛ لأن فيه قود البدن[9]، وإن ابتليت

---

(1) قوله "وقد لزم ذلك.." أي أن الدافع إلى الوفاء بالعهود عند المشركين هو أنهم وجدوا أن عواقب الغدر مهلكة. أما المسلمون فيجب أن يكون الوفاء بالعهد مقصودا به وجه الله واستجابة لأمره. وما ذهبنا إليه أقرب إلى روح النص من تفسير الشيخ محمد عبده وهو "أي حال كونهم دون المسلمين في الأخلاق والعقائد: هامش ص 346. وكذلك من تفسير ابن أبي الحديد الذي يقول "وقد لزم المشركون مع شركهم الوفاء بالعهود وصار ذلك لهم شريعة وبينهم سنة فالإسلام أولى باللزوم والوفاء".

(2) خاس: خان ونقض.

(3) الختل: الخداع.

(4) نشره.

(5) يفزعون.

(6) إفساد.

(7) خيانة.

(8) يقصد بالعلل ولحن القول: التأويلات البعيدة الخفية.

(9) القود: القصاص. وقود البدن: أي النفس بالنفس.

بخطأ وأفرط عليك سوطك أو سيفك أو يديك بالعقوبة[1]، فإن في الوكزة[2] فما فوقها مقتلة فلا تطمحن بك نخوة سلطانك عن أن تؤدي إلى أولياء المقتول حقهم[3].

وإياك والإعجاب بنفسك، والثقة بما يعجبك منها، وحب الإطراء فإن ذلك من أوثق فرص الشيطان في نفسه، ليمحق[4] ما يكون من إحسان المحسنين.

وإياك والمن على رعيتك بإحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعدك بخلفك، فإن المن يبطل الإحسان، والتزيد يذهب بنور الحق، والخلف يوجب المقت[5] عند الله والناس قال الله تعالى: كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون[6]

وإياك والعجلة بالأمور قبل أوانها، أو التساقط فيها عند إمكانها أو اللجاجة[7] فيها إذا تنكرت[8] أو الوهن[9] عنها إذا استوضحت[10]. فضع كل أمر موضعه، وأوقع كل عمل موقعه.

وإياك والاستئثار بما الناس فيه أسوه[11]، والتغابى عما تعني به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم.

---

(1) أي إذا أردت تأديبا هينا فأدى ذلك – دون أن تقصد – إلى قتل من تؤدب.

(2) الوكزة: اللكمة.

(3) "فلا تطمحن..." أي لو وقع منك هذا القتل الخطأ فلا يدفعنك كبرياء السلطان إلى منع أولياء المقتول حقهم.

(4) يمحق: يمحو.

(5) المقت: الكراهية السخط.

(6) الصف 3.

(7) الإصرار غير المقبول.

(8) تنكرت: لم يعرف وجه الصواب فيها.

(9) الضعف.

(10) وضحت.

(11) أسوة: سواء (وذلك في الحقوق العامة).

املك حمية أنفك[1]، وسورة[2] حدك[3]، وسطوة يدك، وغرب[4] لسانك، واحترس من كل ذلك بكف البادرة[5]، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك، فتملك الاختيار. ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد إلى ربك.

والواجب عليك أن تتذكر ما مضى من تقدمك من حكومة عادلة، أو سنة فاضلة، أو أثر عن نبينا - صلى الله عليه وآله - أو فريضة في كتاب الله، فتقتدي بما شاهدت مما عملنا به فيها، وتجتهد لنفسك في اتباع ما عهدت إليك في عهدي هذا، واستوثقت به من الحجة لنفسي عليك، لكيلا تكون لك علة عند تسرع نفسك إلى هواها.

وأنا أسأل الله بسعة رحمته، وعظيم قدرته على إعطاء كل رغبة، أن يوفقني وإياك لما فيه بضاه، من الإقامة على العذر الواضح إليك وإلى خلقه[6]، مع حسن الثناء في العباد، وجميل الأثر في البلاد، وتمام النعمة، وتضعيف الكرامة، وأن يختم لي ولك بالسعادة والشهادة، إنا إليه راغبون. والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وآله الطيبين الطاهرين - والسلام.

---

(1) أي: املك نفسك عند الغضب.

(2) حده.

(3) بأسك وقوتك.

(4) غرب السيف: حده.

(5) البادرة: ما يبدر من اللسان عند الغضب.

(6) يقول الإمام محمد عبده: يريد من العذر الواضح، العذل، فإنه عذر لك عند من قضيت عليه، وعذر عند الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمته من منفعة.

الحكم والتوقيعات

الحكم والتوقيعات

- كن في الفتنة كابن اللبون: لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب[1]

* * * * *

- إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه[2]

* * * * *

- إذا كنت في إدبار والموت في إقبال فما أسرع الملتقى[3].

* * * * *

- كن سمحا ولا تكن مبذراً، وكن مقدرا ولا تكن مقترا[4].

* * * * *

- سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك.

* * * * *

- الظفر بالحزم، والحزم بإجالة الرأي، والرأي بتحصين الأسرار.

* * * * *

---

(1) نهج البلاغة 366

ابن اللبون: ابن الناقة: إذا استكمل سنتين.

(2) نهج البلاغة 267.

(3) نهج البلاغة 368.

(4) المقدر: المقتصد والمقتر: المضيق في النفقة. يقول ابن أبي الحديد 308/5 "كل كلام جاء في هذا فهو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ الإسراء 29. ونحو قوله ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴾ الإسراء.

- احذروا صولة الكريم إذا جاع، واللئيم إذا شبع.

* * * * *

- أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة[1].

* * * * *

- الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة.

* * * * *

- العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى[2].

* * * * *

- إذا تم العقل نقص الكلام.

* * * * *

- نفس المرء خطاه إلى أجله[3].

* * * * *

- عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار[4].

* * * * *

- الفقيه كل الفقيه من لم يُقنِّط الناس من رحمه الله، ولم يُؤيسهم من رَوْح الله، ولم يُؤمنهم من مكر الله[5].

* * * * *

(1) نهج البلاغة 372.

(2) نهج البلاغة 373.

(3) نهج البلاغة 374: لأن كل نفس يتنفسه الإنسان يأخذ من الوقت - وإن كان قصيرا - ما يعتبر جزءاً من عمر الإنسان ينتهي. وذكر ابن أبي الحديد أن هذه الحكمة منسوبة أيضاً إلى ابن المعتز وإن رجح أنه أخذها عن الإمام على (انظر 354/5)

(4) نهج البلاغة 376. والقنوط: اليأس. والاستغفار: التوبة.

(5) نهج البلاغة، 376.

- اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية، لا عقل رواية؛ فإن رواة العلم كثير، ورعاته قليل[1]

* * * * *

- الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطن إثمان: إثم العمل به، وإثم الرضا به[2].

* * * * *

- الطمع رق مؤبد.

* * * * *

- ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة[3].

* * * * *

- من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع.

* * * * *

- إن للقلوب شهوة وإقبالا وإدبارا، فأتوها من قبل شهوتها وإقبالها، فإن القلب إذا أكره عمى[4].

* * * * *

- اتقوا الله الذي إذا قلتم سمع، وإن أضمرتم علم وبادروا الموت الذي إن هربتم منه أدرككم، وإن أقمتم أخذكم وإن نسيتموه ذكركم.

* * * * *

- لا يزهدنك في المعروف من لا يشكره لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد يدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر، والله يحب المحسنين[5].

(1) نهج البلاغة 377، عقل رعاية: أي معرفة وفهم. وعقل رواية أي دون تعمق وتثبت.

(2) نهج البلاغة 388.

(3) نهج البلاغة: 410 - الغلبة: القهر. يظاهر: يعاون ويساند.

(4) نهج البلاغة: 189.

(5) نهج البلاغة: 200.

- كفى بالقناعة ملكا، وبحسن الخلق نعيما[1].

* * * * *

- وقال لابنه الحسن "لا تدعون إلى مبارزة، فإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي باغ، والباغي مصروع[2].

* * * * *

- الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم[3].

* * * * *

- أحبب حبيبك هوناً ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، عسى أن يكون حبيبك يوماً ما[4].

* * * * *

- ما أكثر العبر وأقل الاعتبار!!

* * * * *

- سئل عليه السلام: كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم؟

فقال عليه السلام: كما يرزقهم على كثرتهم.

فقيل له: كيف يحاسبهم ولا يرونه؟

فقال: كما يرزقهم ولا يرونه[5].

* * * * *

- وقيل له: بأي شيء غلبت الأقران؟

فقال عليه السلام ما لقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه[6].

---

(1) نهج البلاغة: 225.
(2) نهج البلاغة: 230.
(3) نهج البلاغة: 252
(4) نهج البلاغة: 274.
(5) نهج البلاغة: 306.
(6) نهج البلاغة: 324.

- أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه[1].

* * * * *

- العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع[2].

* * * * *

- الظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة[3].

* * * * *

- لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك؛ فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله فإن الله لا يضيع أولياءه، وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله؟

* * * * *

- أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله.

* * * * *

- يا أسرى الرغبة، أقصروا، فإن المعرج على الدنيا لا يروعه منها إلا صريف أنياب الحدثان. أيها الناس تولوا عن أنفسكم تأديبها، واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها[4].

* * * * *

---

(1) نهج البلاغة: 336.
(2) نهج البلاغة: 345.
(3) نهج البلاغة 410: الغلبة: القهر. مظاهر: يعاون ويساند.
(4) نهج البلاغة 411. اقصروا: كفوا. المعرج عليها: المائل إليها المعتمد عليها. يروعه: يفزعه. الصريف: صوت الباب الأسنان عند الاصطكاك وصوت البكرة عند الاستقاء ونحو ذلك. والحدثان والنوازل والنوب. وفي ابن أبي الحديد (645/5) الحدثان (بكسر الحاء). وحدثان الشيء أوله وهو مصدر حدث يحدث حدوثا (راجع لسان العرب مادة حدث) والأول أبلغ وأدل على المقصود.

- البخل جامع لمساوئ العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء[1].

* * * * *

- لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإن الله فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة[2].

* * * * *

- للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة يناجي فيها ربه، وساعة يرم فيها معاشه وساعة يخلي فيها بين نفسه، وبين لذتها فيما يحل ويجمل وليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مَرمةٍ لمعاش، أو خطوة في معاد أو لذة في غير محرم[3].

* * * * *

- ضع فخرك، واحطط كبرك، واذكر قبرك.

* * * * *

- من صارع الحق صرعه[4].

* * * * *

- افعلوا الخير، ولا تحقروا منه شيئا، فإن صغيره كبير، وقليله كثير، ولا يقولن أحدكم: إن أحداً أولى بفعل الخير مني، فيكون والله كذلك، إن للخير والشر أهلاً فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله[5].

* * * * *

(1) نهج البلاغة 415.

(2) نهج البلاغة 416.

(3) نهج البلاغة 417: يرم: يصلح. والرقة: الإصلاح.

(4) نهج البلاغة السابق 418.

(5) نهج البلاغة 420. أي أن ما تركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم، وما تركتموه من الشر يؤديه عنكم أهله، فلا تختاروا أن تكونوا للشر أهلاً، ولا أن يكون عنكم في الخير بدلاء.

- من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله، أحسن الله ما بينه وبين الناس[1].

* * * * *

- الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك[2].

* * * * *

- الناس أعداء ما جهلوا[3].

* * * * *

- الزهد كله بين كلمتين من القرآن؛ قال الله سبحانه: "لكيلا تأسوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم".[4]، ومن لم يأس على الماضي، ولم يفرح بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه[5].

* * * * *

- من كرمت نفسه هانت عليه شهوته[6].

* * * * *

- ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعف، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة[7].

* * * * *

(1) نهج البلاغة السابق 420.

(2) نهج البلاغة السابق 421.

(3) نهج البلاغة السابق 422.

(4) سورة الحديد 23.

(5) نهج البلاغة 422.

(6) نهج البلاغة السابق 424.

(7) نهج البلاغة السابق 427.

- أشد الذنوب ما استخف به صاحبه[1].

* * * * *

- إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم كان علّمه الناس فانتفوا به، وولد صالح يدعو له.

* * * * *

- الجهل بالفضائل عدل الموت.

* * * * *

- من لم يقهر حسده كان جسده قبراً لنفسه[2].

* * * * *

- لهب الشوق أخف حملاً من مقاساة الملالة.

* * * * *

- أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من قبوركم، ويوم وقوفكم بين يدي الله – عز وجل – يهن عليكم المصاب.

* * * * *

- ما شيء أحق بطول سجن من لسان[3].

* * * * *

- يا حملة العلم، أتحملونه! فإنما العلم لمن علم ثم عمل، ووافق عمله علمه، وسيكون أقوام يحملون العلم، لا يجاوز تراقيهم، تخالف سريرتهم علانيتهم، ويخالف عملهم علمهم، يقعدون حلقا، فيباهي بعضهم بعضاً، حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره، أولئك لا تصعد أعمالهم في مجالسهم تلك إلى الله سبحانه[4].

---

(1) نهج البلاغة السابق 428.
(2) شرح ابن أبي الحديد 905/5.
(3) شرح ابن أبي الحديد 909/5.
(4) المرجع السابق 911.

- لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منكم[1].

* * * * *

- ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته، وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظلّ العود قبل أن يستقيم ذلك العود[2].

* * * * *

- ينبغي للوالي أن يعمل بخصال ثلاث: تأخير العقوبة منه في سلطان الغضب، والأناة فيما يرتئيه من رأي، وتعجيل مكافأة المحسن بالإحسان؛ فإن في تأخير العقوبة إمكان العفو، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية، وفي الأناة أنفساح الرأي وحمد العاقبة، ووضوح الصواب[3].

* * * * *

- أعداء الرجل قد يكونون أنفع من إخوانه؛ لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها، ويخاف شماتتهم به فيضبط نعمته، ويتحرز من زوالها بغاية طوقه.

* * * * *

- انظر وجهك كل وقت في المرآة، فإن كان حسناً فاستقبح أن تضيف إليه فعلاً قبيحا وتشينه به، وإن كان قبيحاً فاستقبح أن تجمع بين قبحين[4].

* * * * *

- يا ابن آدم، احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجده[5].

* * * * *

---

(1) المرجع السابق 912.
(2) المرجع السابق 913.
(3) شرح ابن أبي الحديد 913/5.
(4) المرجع السابق 914.
(5) المرجع السابق 916.

- ثلاثة يرحمون: عاقل يجري عليه حكم جاهل، وضعيف في يد ظالم قوي، وكريم قوم احتاج إلى لئيم.[1]

* * * * *

- البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله، والسخى يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو به من ماله.[2].

* * * * *

- لا يرضي عنك الحاسد حتى يموت أحدكما.

* * * * *

- نظر إلى رجل يغتاب آخر عند ابنه الحسن، فقال: يا بني نزه سمعك عنه؛ فإنه نظر إلى أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك[3].

* * * * *

- قصم ظهرى رجلان: جاهل متنسك، وعالم متهتك[4].

* * * * *

- إذا أردت أن تصادق رجلاً فانظر من عدوه.[5]

* * * * *

- بلوغ أعلى المنازل بغير استحقاق من أكبر أسباب الهلكة.[6].

* * * * *

(1) المرجع السابق 918.
(2) المرجع السابق 920.
(3) المرجع السابق 922.
(4) المرجع السابق 923.
(5) المرجع السابق 925.
(6) المرجع السابق 926.

- من صفة العاقل ألا يتحدث بما يستطاع تكذيبه فيه[1].

* * * * *

- إذا أيسرت فكل الرجال رجالك، وإذا أعسرت أنكرك أهلك.

* * * * *

- خير الناس من لم تجربه[2].

* * * * *

- من عرف نفسه فقد عرف ربه.

* * * * *

- من عجز من معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز.

* * * * *

- شيطان كل إنسان نفسه.

* * * * *

- إن لم تعلم من أين جئت لم تعلم إلى أين تذهب[3]

* * * * *

- أول رأى العاقل آخر رأى الجاهل.

* * * * *

- الحر عبد ما طمع، والعبد حر ما قنع[4].

* * * * *

- الدنيا حمقاء لا تميل إلا إلى أشباهها.

(1) المرجع السابق 327.
(2) المرجع السابق 928.
(3) المرجع السابق 929.
(4) المرجع السابق 930.

- ضعف العقل أمان من الغم[1].

* * * * *

- لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأة حتى تموت، ولا طعاما حتى يستمرئه، ولا صديقاً حتى يستقرضه. وليس من حسن الجوار ترك الأذى، ولكن حسن الجوار الصبر على الأذى.

* * * * *

- أعجز الناس من قصر في طلب الصديق، وأعجز منه من وجده فضيعه.[2]

* * * * *

- الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقاً، مدح الإنسان نفسه.

* * * * *

- الشيء الذي لا يستغنى عنه بحال من الأحوال التوفيق.

* * * * *

- ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت.

* * * * *

- التكبر على المتكبرين هو التواضع بعينه.

* * * * *

- إذا رفعت أحداً فوق قدره فتوقع منه أن يحط منك بقدر ما رفعت منه[3].

* * * * *

- الزكاة نقص في الصورة وزيادة في المعنى[4].

---

(1) المرجع السابق 931ز

(2) المرجع السابق 932.

(3) المرجع السابق 933.

(4) المرجع السابق 934.

- الولد العاق كالإصبع الزائدة، إن تركت شانت، وإن قطعت آلمت.

* * * * *

- التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد[1].

* * * * *

- ما ضرب الله العباد بسوط أوجع من الفقر[2].

* * * * *

- لا ينبغي للعاقل أن يكون إلا في إحدى منزلتين: إما في الغاية القصوى من مطالب الدنيا، وإما في الغاية القصوى من الترك لها[3].

* * * * *

- قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة، وقد أمكنه أن يكون إنساناً، وقد أمكنه أن يكون ملكاً، وأن يرضى لنفسه بقنية معارة وحياة مستردة، وله أن يتخذ قنية مخلدة وحياة مؤبدة[4].

* * * * *

- الخير كله في السيف، وما قام هذا الدين إلا بالسيف، أتعلمون ما معنى قوله تعالى: ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾[5]
هذا هو السيف[6]

* * * * *

---

(1) المرجع السابق 935.

(2) المرجع السابق 936.

(3) المرجع السابق 938.

(4) شرح ابن أبي الحديد 939: (القنية: الكسبة. والفعل: قنى).

(5) سورة الحديد 25.

(6) ابن أبي الحديد 940.

- اجعل سرك إلى واحد ومشورتك إلى ألف[1].

* * * * *

- لتكن دارك أول ما يبتاع وآخر ما يباع[2].

* * * * *

- إن يوماً أسكر الكبار وشيب الصغار لشديد[3].

* * * * *

- العلم سلطان من وجده صال به، ومن لم يجده صيل عليه.

* * * * *

- من كانت همته ما يدخل جوفه كانت قيمته ما يخرج منه[4].

* * * * *

- احترس من ذكر العلم عند من لا يرغب فيه، ومن ذكر قديم الشرف عند من لا قديم له، فإن ذلك مما يحقدهما عليك[5].

* * * * *

- إذا ظفرتم فأكرموا الغلبة، وعليكم بالتغافل؛ فإنه فعل الكرام، وإياكم والمن؛ فإنه تهدمة للصنيعة، منبهة للضغينة[6].

* * * * *

(1) المرجع السابق 942.
(2) المرجع السابق 943.
(3) المرجع السابق 944.
(4) المرجع السابق 948.
(5) المرجع السابق 950.
(6) المرجع السابق 951.

- الجاهل صغير وإن كان شيخاً والعالم كبير وإن كان حدثاً[1].

* * * * *

- لما قتل عمار بن ياسر اضطرب أهل الشام لما بلغهم من قول النبي - عليه السلام لعمار "تقتلك الفئة الباغية"، فهدأهم معاوية بقوله: "إنما قتله من أخرجه" فلما بلغ عليا ذلك قال " فرسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذن قاتل حمزة".

* * * * *

- هذا يدي - يعني ولده محمد بن الحنفية - وهذان عيناي - يعني - حسناً وحسيناً - وما زال الإنسان يذب بيده عن عينيه. (قالها لمن قال له: إنك تعرض محمداً للقتل، وتقذف به في نحور الأعداء دون أخويه).[2]

* * * * *

- لا تلتبس بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه؛ فإن البحر لا يكاد يسلم صاحبه في حال سكونه. فيكف يسلك مع اختلاف رياحه واضراب أمواجه[3].

* * * * *

- وقع إلى طلحة بن عبيد الله:

في بيته يُؤتى الحكم.

* * * * *

- ووقع في كتاب سليمان الفارسي (وكان سأله: كيف يحاسب الناس يوم القيامة):

يحاسبون كما يرزقون .

* * * * *

(1) المرجع السابق 954.
(2) المرجع السابق 958.
(3) المرجع السابق 965.

- ووقع في كتاب الحصين بن المنذر إليه يذكر أن السيف قد أكثر في ربيعة:
بقية السيف أنمى عددا.

* * * * *

- ووقع في كتاب جاءه من الأشتر النخعي فيه بعض ما يكره:
من لك بأخيك كله.

* * * * *

- ووقع في كتاب صعصعة بن صوحان يسأله في شيء:
قيمة كل امرئ ما يحسن.

* * * * *

- ووقع في كتاب جاءه من ابنه الحسن: رأى الشيخ خير من مشهد الغلام.

* * * * *

الجدل والحوار

علي دم وعثمان(*)

قال معبد الخزاعي: لقيت عليا بعد الجمل، فقلت له:

إني سائلك عن مسألة كانت منك ومن عثمان، فإن نجوت اليوم نجوت غداً إن شاء الله.

قال: سل عما بدالك.

قلت: أخبرني أي منزلة وسعتك إذ قتل عثمان ولم تنصره؟ قال: إن عثمان كان إماماً وإنه نهى عن القتال.

وقال: من سل سيفه فليس مني، فلو قاتلنا دونه عصينا.

قال: فأي منزلة وسعت عثمان إذا استسلم حتى قتل؟

قال: المنزلة التي وسعت ابن آدم إذ قال لأخيه:

﴿ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ﴾[1]

قلت: فهلا وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل؟ قال: إنا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا، قال الله:

﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾[2]

فقاتلنا نحن من ظلمنا وصبر عثمان، وذلك من عزم الأمور.

---

* العقد الفريد 302/4.

(1) سورة المائدة 28.

(2) سورة الشورى 41، 42، 43.

لماذا يقاتل (.)؟!

ومن حديث بكر بن حماد: إن عبد الله بن الكواء سأل علي بن أبي طالب يوم صفين،

فقال له: أخبرني عن مخرجك هذا، تضرب الناس بعضهم ببعض، أعهد إليك عهده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأى ارتأيته؟

قال علي: اللهم إني كنت أول من آمن به فلا أكون أول من كذب عليه، لم يكن عندي فيه عهد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو كان عندي فيه عهد من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما تركت أخا تيم وعدي[1] على منابرها؛ ولكن نبينا - صلى الله عليه وسلم- كان نبي رحمة، مرض أياماً ولياليَ، فقدم أبا بكر على الصلاة، وهو يراني ويرى مكاني. فلما توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رضيناه لأمر دنيانا إذ رضيه رسول الله لأمر ديننا. فسلمت له[2] وبايعت وسمعت وأطعت، فكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأقيم الحدود بين يديه. ثم أتته منيته، فرأى أن عمر أطوق[3] لهذا الأمر من غيره، والله ما أراد به المحابة، ولو أرادها لجعلها في أحد ولديه. فسلمت له وبايعت وأطعت وسمعت، فكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزوا إذا أغزاني، وأقيم الحدود بين يديه. ثم أتته منيته، فرأى أنه من استخلف رجلاً فعمل بغير طاعة الله عذبه الله به في قبره، فجعلها شورى بين ستة نفر من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكنت أحدهم، فأخذ عبد الرحمن[4] مواثيقنا وعهودنا على أن يخلع نفسه وينظر لعامة المسلمين، فبسط يده إلى

* العقد الفريد 303/4. قميحة، أدب، 333.

(1) أخوتيم: أبو بكر أخو عدي: عمر بن الخطاب.

(2) أي سلمت له بالخلافة.

(3) طاق الرجل الأمر وأطاقه: قدر عليه، وهو أطوق لهذا الأمر أي أقدر عليه.

(4) هو عبد الرحمن بن عوف.

عثمان فبايعه. اللهم إن قلت إني لم أجد[1] في نفسي فقد كذبت، ولكني نظرت في أمري فوجدت طاعتي قد تقدمت معصيتي، ووجدت الأمر الذي كان بيدي قد صار بيد غيري. فسلمت وبايعت وأطعت وسمعت، فكنت آخذ إذا أعطاني، وأغزو إذا أغزاني، وأقيم الحدود بين يديه. ثم نقم الناس عليه أموراً فقتلوه، ثم بقيت اليوم أنا ومعاوية، فأرى نفسي أحق بها من معاوية؛ لأني مهاجري وهو أعرابي، وأنا ابن عم رسول الله وصهره، وهو طليق ابن طليق[2].

قال له عبد الله بن الكواء: صدقت، ولكن طلحة والزبير، أما كان لهما في هذا الأمر مثل الذي لك؟ قال: إن طلحة والزبير بايعاني في المدينة ونكثا[3] بيعتي بالعراق، فقاتلتهما على نكثهما، ولو نكثا بيعه أبي بكر وعمر لقاتلاهما على نكثهما كما قاتلتهما.

قال: صدقت، ورجع إليه.

(1) وجد: يجد (بضم الجيم وكسرها) وجدا وجده وموجدة ووجدانا: غضب.

(2) الطليق: الأسير الذي أطلق عن إساره وخلى سبيله ويجمع على طلقاء. وفي الحديث الشريف "الطلقاء من قريش وللعتقاء من ثقيف" والطلقاء هم الذي خلى النبي عنهم يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم (انظر لسان العرب وانظر سيرة ابن هشام 12/4.

(3) نكث البيعة: نقضها.

قوله في عثمان(*)

محمد بن حاطب قال:

قال لي علي يوم الجمل: انطلق إلى قومك فأبلغهم كتبي وقولي.

فقلت: إن قومي إذا أتيتهم

يقولون: ما قول صاحبك في عثمان؟

فقال: أخبرهم أن قولي في عثمان أحسن القول، إن عثمان كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين[1].

* العقد الفريد 305/4.

(1) يقول تعالى في سورة المائدة 93: "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين.

ثأر عثمان(*)

رجع علي إلى بيته، فدخل عليه طلحة والزبير في عدد من الصحابة

فقالوا: يا علي إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلوا بأنفسهم[1].

فقال: يا إخوتاه إني لست أجهل ما تعلمون، ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم؟ ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت[2] إليهم أعرابكم وهم خلاطكم[3] يسومونكم[4] ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا.

قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه أبداً إلا أن يشاء الله. إن هذا الأمر أمر جاهلية وإن لهؤلاء القوم مادة[5]، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً[6]. إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور: فرقة ترى ما ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا، حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدأوا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا. واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية وتفرق القوم، فبعضهم يقول: ما قال: علي، وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا

* الكامل لابن الأثير 195/3. قميحة، أدب، 335.

(1) أي: استوجبوا العقوبة.

(2) ثاب: اجتمع.

(3) مخالطون بكم: متداخلون معكم.

(4) يسومونكم ماشاءوا: يفرضون عليكم ما يريدون. يقال: سامه حسفا: أولاه إياه وفرضه عليه.

(5) مادة الشيء: ما يمده. ويقصد بالمادة هنا: الأعوان والأنصار والقوة.

(6) يقصد أن أي زمن لا يخلو ممن يستجيبون للشيطان ويتبعون سننه.

نؤخره، والله إن علياً لمستغن برأيه[1] وليكونن أشد على قريش من غيره.

فسمع ذلك فخطبهم وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذاك[2] والأجر من الله عليه، ونادى: برئت الذمة من عبد لا يرجع إلى مولاه. فتذامرت السبئية[3] والأعراب وقالوا: لنا غداً مثلها ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء. وقال: أيها الناس أخرجوا عنكم الأعراب فليلحقوا بمياههم، فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب.

فدخل علي بيته، ودخل عليه طلحه والزبير وعدة من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه[4] فقالوا: عشوا عن ذلك. فقال: هم والله بعد اليوم أعشى! وقال:

ولـوْ أنَّ قومي طاوعتني سراتهُم　　أمرتُهُمْ أمراً يديخُ الأعاديا[5]

وقال طلحة: دعني آت البصرة فلا يفجأك إلا وأنا في خيل وقال الزبير: دعني آت الكوفة فلا يفجأك إلا وأنا في خيل[6]. فقال: حتى أنظر في ذلك.

---

(1) منفرد مستبد به.

(2) أي: إلا رعايتهم والنظر في أمورهم.

(3) اتباع عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء، وكان من يهود صنعاء وتظاهر بالإسلام في عهد عثمان (انظر أحمد الله: القاموس الإسلامي 222/3)

(4) الثأر هو الذحل. ويأتي بمعني قاتل الحميم. فيقال قتلت ثأرى أي قتلت قاتل حميمي، ويقال للثائر أيضاً ثأر فكل واحد من الطالب والمطلوب ثأر صاحبه.

يقول علي: ما هم أولاد الأعراب والسبيئة ومن مالأهم قد نهضوا وهم ثأركم فاقتلوهم إن استطعتم يريد بذلك أو الثأر لعثمان – والحال كذلك – أمر مستحيل.

(5) عموا وجهلوا ولم يدروا حقيقة الحال.

(6) السراة جمع سرى: وهو العظيم الشريف.

بين علي وابن عباس (*)

قال ابن عباس: أتيت علياً بعد قتل عثمان عند عودي من مكة فوجدت المغيرة ابن شعبة مستخلياً به، فخرج من عنده، فقلت له: ما قال لك هذا؟ فقال: قال لي قبل مرته هذه: إن لك حق الطاعة والنصحية، وأنت بقية الناس، وإن الرأي اليوم تحرز[1] به ما في غد، وإن الضياع اليوم يضيع به ما في غد، أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تأتيك بيعهتم ويسكن الناس، ثم أعزل من شئت، فأبيت عليه ذلك وقلت: لا أداهن في ديني ولا أعطي الدنية[2] في أمري. قال: فإن كنت أبيت على فانزع من شئت واترك معاوية، فإن في معاوية جرأة، وهو في أهل الشام يستمع منه، ولك حجة في إثباته، كما عمر بن الخطاب قد ولاه الشام. فقلت: لا والله لا استعمل معاوية يومين! ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه أنه يود أني مخطئ، ثم عاد إلى الآن

فقال: إني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت وخالفتني فيه، ثم رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت فتعزلهم وتستعين بمن تثق به، فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان. قال ابن عباس:

فقلت لعلي: أما المرة الأولى فقد نصحك، وأما المرة الثانية فقد غشك،

قال: ولم نصحني؟

قلت: لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى نثبتهم لا يبالوا من ولي هذا الأمر، ومتى تعزلهم يقولوا: أخذ هذا الأمر بغير شورى وهو قتل صاحبنا؛ ويؤلبون عليك، فتنتقض[3] عليك الشام وأهل العراق، مع أني لا آمن طلحة والزبير أن يكرا عليك، وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية، فإن بايع لك فعليٍّ أن أقلعه من منزله[4]، وقال علي: والله لا أعطيه إلا السيف! ثم تمثل:

---

* الكامل لابن الأثير 197/3. قميحة، أدب، 337.

(1) تحرز: تحمي وتحصن. والحرز: هو الموضع الحصين.

(2) الدنية والدنينة: النقيصة والأمر الخسيس.

(3) تتألب وتتمرد.

(4) أي أنا كفيل بخلعة وعزله.

وما ميته إن متها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها[1]

قلت: يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأى في الحرب، أما سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: الحرب خدعة[2]؟

فقال: بلى.

قلت: أما والله لئن أطعتني لأصدرنهم بعد ورد[3]، ولأتركنهم ينظرون في دبر[4] الأمور لا يعرفون ما كان وجهها، في غير نقصان عليك ولا إثم لك.

فقال: يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء[5].

قال ابن عباس: فقلت له أطعني والحق بما لك بينبع وأغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك، فإنك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان غدا[6].

فأبى علي فقال: تشير على وأرى فإذا عصيتك فأطعني.

قال فقلت: أفعل، إن أيسر مالك عندي الطاعة.

فقال له علي: تسير إلى الشام فقد وليتكما.

فقال ابن عباس: ما هذا برأى، معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان، وإن أدنى ما هو صانع أن يحبسني فيتحكم علي لقرابتي منك، وإن كل ما حمل عليك حمل علي[7]، ولكن أكتب إلى معاوية فمنّه وعِده. فقال: لا والله، لا كان هذا أبداً!

وكان المغيرة يقول: نصحته فلما لم يقبل غششته. وخرج فلحق بمكة.

(1) غالها الغول: أدركها الموت.

(2) أي: أنه تعتمد على الحيلة والدهاء.

(3) كناية عن القدرة والدهاء وبراعة التصرف. وفي هذا المعنى يقال كذلك "فلان يعرف موارد الأمور ومصادرها" و "فلان إذا أورد أمراً أصدره" (انظر أساس البلاغة مادة صدر).

(4) الدبر والدبر: الظهر. وقوله "ينظرون في دبر....." كناية عن حيرتهم وتخبطهم.

(5) الهنات والهنوات الهنيات: خصال السوء.

(6) كان ابن عباس بعيد النظر إذا نصح عليا يهجر المدينة التي كانت تموج بالشاغبين إلى ينبع حتى لا يهتم بمالأتهم على قتل عثمان.

(7) أي: أنني متهم - لصلتي بك - بكل ما أنت به متهم، ومن ذلك دم عثمان.

بين علي وابنه الحسن (*)

أتاه ابنه الحسن في الطريق

فقال له: قد أمرتك فعصيتني فتقتل غداً بمضيعة لا ناصر لك.

فقال له علي: إنك لا تزال تخن خنين الجارية[1]، وما الذي أمرتني فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان أن تخرج من المدينة فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قتل أن لا تبايع حتى تأتيك وفود العرب وبيعة أهل كل مصر فإنهم لن يقطعوا أمراً دونك، فابيت على، وأمرتك حين خرجت هذه المرأة[2] وهذان الرجلان[3] أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا فإن كان الفساد كان على يد غيرك، فعصيتني في ذلك كله.

فقال: أي بني! أما قولك: لو خرجت من المدينة حين أحيط بعثمان، فو الله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تبايع حتى يبايع أهل الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، ولقد مات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني، فبايع الناس أبا بكر الصديق فبايعته، ثم إن أبا بكر انتقل إلى رحمة الله وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني، فبايع الناس عمر فبايعته، ثم إن عمر انتقل إلى رحمة الله وما أرى حداً أحق بهذا الأمر مني فجعلني

* الكامل لابن الأثير /222/3. قميحة، أدب، 339.

(كان علي حريصا على أن يمنع طلحة والزبير من الوصول إلى البصرة بالعراق فيردهما أو يوقع بهما، ولكنه لم يدركهما فأقام بالزبذة فلحق به ابنه الحسن.

(1) أصل الخنين: خروج الصوت من الأنف أما الحنين فخروج الصوت من الفم. والخنين: بكاء المرأة دون الانتحاب.

(2) عائشة.

(3) طلحة والزبير.

سهماً من ستة أسهم[1]، فبايع الناس عثمان فبايعته، ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه وبايعوني طائعين غير مكرهين، فأنا مقاتل من خالفني بمن أطاعني حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين. وأمّا قولك أن أجلس في بيتي حين خرج طلحة والزبير، فكيف لي بما قد لزمني أو من تريدني؟ أتريدني أن أكون كالضبع التي يحاط بها ويقال: ليست ههنا حتى يحل عرقوباها حتى تخرج! وإذا لم أنظر فيما يلزمني من هذا الأمر ويعنيني فمن ينظر فيه؟ فكف عنك يا بني.

(1) هو ستة الشورى: علي، وعثمان، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف.

بين علي والزبير يوم الجمل (*)

لما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح، فقيل لعلي: هذا الزبير. فقال: أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله تعلى أن يذكر.

وخرج طلحة فخرج إليهما علي حتى اختلفت أعناق دوابهم، فقال علي: لعمري قد أعددتما. سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتما أعددتما عند الله عذراً، فاتقيا الله ولا تكونا ﴿ كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً ﴾[1]

ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي وأحرم دمكما، فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحة: ألبّتَّ على عثمان. قال علي: ﴿ يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ﴾[2]

يا طلحة، تطلب بدم عثمان فلعن الله قتلة عثمان! يا طلحة، أجئت بعرس[3] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تقاتل بها وخبأت عرسك في البيت! أما بايعتني؟ قال: بايعتك والسيف على عنقي.

فقال علي للزبير: يا زبير ما أخرجك؟

قال: أنت، ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أوى به منّا.

فقال له عليّ: ألست له أهلاً بعد عثمان؟ قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء ففرق بيننا. وذكره أشياء.

وقال له: تذكر يوم مررت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بني غنم فنظر إلى فضحك وضحكت إليه فقلت له: لا يدع ابن أبي طالب زهوه[4]،

* الكامل لابن الأثير 239/3. قميحة، أدب، 340.

(1) النحل: 92.

(2) النور: 25.

(3) العرس بكسر العين: الزوجة والجمع أعراس. وعرس رسول الله عائشة رضي الله عنها.

(4) الزهو: الكبر والفخر.

فقال لك رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ليست به زهو، لتقاتلنه وأنت ظالم له.

قال: اللهم نعم، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أقاتلك أبداً. فانصرف على إلى أصحابه

فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهداً أن لا يقاتلكم. ورجع الزبير إلى عائشة

فقال لها: ما كنت في موطن منذ عقلت إلا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا. قالت: فما تريد أن تصنع؟

قال: أريد أن أدعهم وأذهب.

قال له ابنه عبد الله، جمعت بين هذين الفارين[1] حتى إذا حدد بعضهم لبعض[2] أردت أن تتركهم وتذهب، لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد[3] وأن تحتها الموت الأحمر فجبنت. فأحفَظَه ذلك،

وقال: إني حلفت أن لا أقاتله.

قال: كفر عن يمينك وقاتله. فأعتق غلامه، مكحولاً، وقيل سرجس، فقال عبد الرحمن بن سليمان التميمي:

لم أر كاليوم أخا إخوانٍ ... أعجب من مكفر الإيمان

الأبيات: وقيل: إنما عاد الزبير عن القتال لما سمع أن عمار بن ياسر مع علي، فخاف أن يقتل عماراً، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: يا عمار تقتلك الفئة الباغية"[4]

(1) الجيشين.

(2) واجه كل منهما الآخر.

(3) أنجاد: جمع نجد وهو السريع الملبى عند الحاجة.

(4) انظر الطبقات الكبرى لابن سعد 248/3. وتاريخ الطبري 38/5.

علي والتحكيم والخوارج(*)

لما رأى عمرو أن أمر أهل العراق قد اشتد وخاف الهلاك

قال لمعاوية: هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة؟

قال: نعم.

قال: نرفع المصاحف ثم نقول لما فيها: هذا حكم بيننا وبينكم، فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول: ينبغي لنا أن نقبل، فتكون فرقة بينهم، وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا إلى أجل.

فرفعوا المصاحف بالرماح وقالوا: هذا حكم كتاب الله – عز وجل – بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهله؟ من لثغور العراق بعد أهله؟ فلما رآها الناس

قالوا: نجيب إلى كتاب الله. فقال لهم علي: عباد الله أمضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم فإن معاوية وعمراً وابن أبي معيط وحبيباً وابن أبي سرح والضحاك ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، أنا أعرف بهم منكم، قد صحبتهم أطفالاً ثم رجالاً فكانوا شر أطفال وشر رجال، ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ووهنا[1] ومكيدة.

فقالوا له: لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله!

فقال لهم علي: فإني إنما أقاتلهم ليدينو[2] لحكم الكتاب فإنهم قد عصوا الله فيما أمرهم ونسوا عهده ونبذوا كتابه[3].

فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي، في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج بعد ذلك: يا علي أجب إلى كتاب الله – عز وجل – إذا

* الكامل لابن الأثير 316/3 (وكان ذلك سنة 37هـ) قميحة، أدب، 341.

(1) الوهن: الضعف.

(2) يخضعوا.

(3) تركوا وهجروا.

دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان!

قال: فاحفظوا عني نهيي إياكم واحفظوا مقالتكم لي، فإن تطيعوني فقاتلوا وإن تعصوني فاصنعوا ما بدا لكم.

قالوا: ابعث إلى الأشتر فليأتك.

فبعث علي يزيد بن هانئ إلى الأشتر يستدعيه.

فقال الأشتر: ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغي لك أن تزيلني فيها عن موقفي، إنني قد رجوت أن يفتح الله لي!

فرجع يزيد فأخبره، وارتفعت الأصوات وارتفع الرهج[1] من ناحية الأشتر،

فقالوا: والله ما نراك إلا أمرته أن يقاتل! فقال علي: هل رأيتموني سررته؟ أليس كلمته على رؤوسكم وأنتم تسمعون؟ قالوا: فابعث إليه فليأتك وإلا والله اعتزلناك!

فقال له: ويلك يا يزيد أقل له: أقبل إليَّ فإن الفتنة قد وقعت. فأبلغه ذلك، فقال الأشتر: ألرفع المصاحف؟

قل: نعم.

قال: والله لقد ظننت أنها ستوقع اختلافاً وفرقة! إنها مشورة ابن العاهر[2]! ألا ترى إلى الفتح؟ ألا ترى ما يلقون ألا ترى. ما صنع الله لنا؟ لن ينبغي أن أدع هؤلاء! وانصرف عنهم.

فقال له يزيد: أتحب أن تظفر وأمير المؤمنين يسلم إلى عدوه أو يقتل؟

قال: لا والله، سبحان الله!

فأعلمه بقولهم.

فأقبل إليهم الأشتر

(1) الرهج: الغبار. وارتفاعه كناية عن شدة القتال وضراوته.
(2) يقصد عمرو بن العاص.

وقال: يا أهل العراق! يا أهل الذل والوهن! أحين علوتم القوم وظنوا أنكم لهم قاهرون رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها وسنة من أنزلت عليه؟ فأمهلوني فواقا[1] فإني قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا.

قال: أمهلوني عدو الفرس فإني قد طمعت في النصر. قالوا: إذن ندخل معك في خطيئتك.

قال: فخبروني عنكم متى كنتم محقين؟ أحين تقاتلون وخياركم يقتلون؟ فأنتم الآن إذا أمسكتم عن القتال مبطلون أم أنتم محقون؟ فقتلاكم الذين لا تنكرون فضلهم وهم خير منكم في النار.

قالوا: دعنا منك يا أشتر، قاتلناهم لله وندع قتالهم لله!

قال: خدعتم فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب[2] فأجبتم، يا أصحاب الجباه السود[3]! كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى مرادكم إلا الدنيا، ألا قبحاً يا أشباه النيب الجلالة![4] ما أنتم برائين بعدها عزاً أبداً فابعدوا كما بعد القوم الظالمون[5]! فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته بسياطهم وضرب وجوه دوابهم بسوطه

فصاح به وبهم علي فكفوا. وقال الناس: قد قبلنا أن نجعل القرآن بيننا وبينهم حكماً.

فجاء الأشعث بن قيس إلى علي فقال: أرى الناس قد رضوا بما دعوهم إليه من حكم القرآن فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد.

(1) الفواق (بفتح الفاء وضمها) ما بين الحلبتين من وقت وهو ساعة أو بعض ساعة.
(2) وضع الحرب: إنهاؤها.
(3) وذلك من كثرة صلواتهم وطول التصاق جباهم بالأرض لطول سجودهم.
(4) النيب: جمع ناب: وهي الناقة المسنة. والجلالة: آكلة النجاسات.
(5) في القرآن الكريم "وقيل بعدا للقوم الظالمين" هود 44 "فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين" المؤمنون 41.

قال: ائته. فأتاه،

فقال لمعاوية: أي شيء رفعتم هذه المصاحف؟

قال: لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله به في كتابه، تبعثون رجلاً ترضون به ونبعث نحن رجلاً نرضى به، نأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عيه.

قال له الأشعث: هذا الحق. فعاد إلى علي فأخبره.

فقال الناس: قد رضينا وقبلنا.

فقال أهل الشام: قد رضينا عمراً.

وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج: إنا قد رضينا بأبي موسى الأشعري.

فقال علي: قد عصيتموني في أول الأمر فلا تعصوني الآن، لا أرى أن أولي أبا موسى.

فقال الأشعث، وزيد بن حصين، ومسعر بن فدكي: لا نرضي إلا به فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه[1].

قال علي: فإنه ليس بثقة، قد فارقني وخذل الناس عني ثم هرب مني حتى آمنته بعد أشهر، ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك.

قالوا: والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس! لا نريد إلا رجلاً هو منك ومن معاوية سواء.

قال علي: فإني اجعل الأشتر. قالوا: وهل سعر الأرض غير الأشتر[2]؟

فقال: قد أبيتم إلا أبا موسى؟

(1) كان أبو موسى - وهو وال على الكوفة - ينهي الناس عن القتال بعد خروج عائشة وطلحة والزبير ولم يستجيب لرسولي علي إليه: ابنه الحسن وعمار بن ياسر فعزله علي واشتد عليه في كتاب بعث به إليه.

(2) سعر الأرض: أشعل القتال وزاده حدة.

قالوا: نعم. قال: فاصنعوا ما أردتم.

فبعثوا إليه وقد اعتزل القتال وهو بعرض[1]، فأتاه مولى له فقال: إن الناس قد اصطلحوا. فقال: الحمد لله. قال: قد جعلوك حكماً. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. وجاء أبو موسى حتى دخل العسكر، وجاء الأشتر علياً فقال: ألزَّني[2] بعمرو بن العاص فوالله لئن ملأت عيني[3] منه لأقتلنه. وجاء الأحنف بن قيس فقال: يا أمير المؤمنين إنك قد رميت بحجر الأرض[4] وإني قد عجمت[5] أبا موسى وحلبت أشطره[6] فوجدته كليل الشفرة قريب القعر[7]، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلا رجل يدنو منهم حتى يصير في أكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم[8]، فإن أبيت أن تجعلني حكماً فاجعلني ثانياً أو ثالثاً؛ فإنه لن يعقد عقده إلا حللتها، ولا يحل عقده أعقدها لك إلا عقدت أخرى أحكم منها.

فأبى الناس إلا أبا موسى والرضا بالكتاب. فقال الأحنف: إن أبيتم إلا أبا موسى فأدفئوا ظهره بالرجال[9].

وحضر عمرو بن العاص عند علي ليكتب القضية بحضوره، فكتبوا: بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين. فقال عمرو: اكتب اسمه واسم أبيه، هو أميركم وأما أميرنا فلا. فقال الأحنف: لا تمح اسم إمارة المؤمنين فإني أخاف إن

(1) العرض: الناحية والجانب.

(2) لزه أو ألزه بفلان أو إليه: اضطره وفرض عليه.

(3) رأيته.

(4) يقال: رمى فلان بحجر الأرض إذا رمى بداهية من الرجال، أي بداهية عظيمة تثبت ثبوت الحجر في الأرض. "والأحنف يقصد عمرو بن العاص".

(5) عجمت: جربت واختبرت.

(6) حلبت أشطره: عرفته تمام المعرفة.

(7) كليل الشفرة: كناية عن الضعف. قريب القعر: كناية عن السذاجة. ويقال للداهية: بعيد القعر.

(8) أي: رجل قدير على المحاورة والمداورة والمناورة والتلاعب بأعدائه.

(9) أي: اجعلوا معه من الرجال من يسانده ويذكره ويقيه الزلل.

محوتها أن لا ترجع إليك أبداً، لا تمحها وإن قتل الناس بعضهم بعضاً. فأبى ذلك علي ملياً[1] من النهار، ثم إن الأشعث بن قيس قال: امح هذا الاسم، فمحى، فقال علي: الله أكبر! سنة بسنة[2]. والله إني لكاتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الحديبية فكتبت: محمد رسول الله. وقالوا: لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمحوه، فقلت: لا أستطيع. فقال أرنيه، فأريته، فمحاه بيده[3] وقال: إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب. فقال عمرو: سبحان الله! أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون! فقال علي: يا ابن النابغة ومتى لم تكن للفاسقين ولياً وللمؤمنين عدواً؟ فقال عمرو: والله لا يجمع بيني وبينك مجلس بعد هذا اليوم أبداً. فقال علي: إني لأرجو أن يطهر الله مجلسي منك ومن أشباهك. وكتب الكتاب: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضي معاوية على أهل الشام ومن معهم، إننا ننزل عند حكم الله وكتابه وأن لا يجتمع بيننا غيره، وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله. وهما أبو موسى عبد الله بن قيس، وعمرو ابن العاص، عملا به، وما لم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة. وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة لا يرد لها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا. وأجل القضاء إلى رمضان، وإن أحبا أن يوخرا ذلك أخراه، وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام[4].

---

(1) الملي: الزمان الطويل ومنه قوله تعالى: ﴿واهجرني ملياً﴾

(2) من معاني السنة: الطريقة والوجه والصورة. وكان الإمام علي يقصد أن ما يحدث ألين صورة لما حدث بالأمس.

(3) انظر سيرة ابن هشام 229/3.

(4) كتب هذا الكتاب في الثالث من صفر سنة 37هـ.

الرسائل

رسالة أبي بكر وعمر إلى علي بن أبي طالب(*)

قال أبو حيان: سمرنا عند القاضي أبي حامد ليلة ببغداد بدار ابن جيشان في شارع الملديان، فتصرف الحديث بنا كل متصرف، وكان والله معنا[1] مزيلا[2] مخلطا[3] غزير الرواية، لطيف الدراية له في كل جو متنفس، وفي كل نار مقتبس، فجرى حديث السقيفة، وتنازع القوم الخلافة، فركب كل فنه وقال قولا، وعرّض بشيء.

فقال أبو حامد: هل فيكم من يحفظ رسالة أبي بكر إلى علي وجواب علي له، ومبايعته إياه عقيب[4] تلك الرسالة؟

فقال الجماعة: لا والله؛

فقال: هي والله من درر الحقائق المصونة، ومخبآت الصناديق في الخزائن المحوطة، ومنذ حفظتها ما رويتها إلا للمهلبي في وزارته، فكتبها عني في خلوة بيننا.

وقال: لا أعرف في الأرض رسالة أعقل منها ولا أبين، وإنها لتدل على علم وحلم، وفصاحة وفقاهة في دين، ودهاء وبعد عور، وشدة غوص.

فقال له واحد من القوم: أيها القاضي، فلو أتممت المنة علينا بروايتها سمعناها ورويناها عنك؟ فنحن أوعى لها من المهلبي وأوجب ذماما عليك[5]. فقال:

---

* المقامات لأبي حيان التوحيدي 25- وصبح الأعشى 237/1 ونهاية الأرب للنديري 213/7. قميحة، 349.

(1) المعن: حاضر البديهة لذي تعن له الأفكار والآراء.

(2) المزيل: التقاء المميز التقدير.

(3) المخلط: الواسع المعرفة.

(4) أي: بعدها مباشرة.

(5) الذمام: الحرمة.

هذه الرسالة رواها عيسى بن دأب عن صالح بن كسيان عن هشام بن عروة ابن الزبير، عن أبي عبيدة بن الجراح، قال أبو عبيدة:

لما استقامت الخلافة لأبي بكر بين المهاجرين والأنصار، ولحظ بعين الهيبة والوقار، بعد هنة[1] كاد الشيطان بها يسر، فدفع الله شرها، وأدحض[2] عسرها، فركد كيدها، وتيسر خيرها، وقصم ظهر النفاق والفسق بين أهلها بلغ أبا بكر عن علي تلكؤ[3] وشماس[4]، وتهمهم[5] ونفاس[6]، فكره أن يتمادى الحال وتبدو العورة، وتشتعل الجمرة وتنفرج ذات البين، ويصير ذلك دربة لجاهل مغرور، أو عاقل ذي دهاء، أو صاحب سلامة ضعيف القلب خوار العنان[7]، فدعاني في خلوة فحضرته وعنده عمر وحده، وكان عمر قبساً له، وظهيراً معه، يستضيء بناره، ويستملي من لسانه، فقال لي:

يا أبا عبيدة، ما أيمن ناصيتك، وأبين[8] الخير بين عينيك، لقد كنت من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمكان المحوط[9]، والمحل المغبوط[10]؛ ولقد قال فيك في يوم مشهود: "أبو عبيدة أمين هذه الأمة" وطالما أعز الله الإسلام بك، وأصلح ثلمه[11] على يديك، ولم تزل للدين ملتجأ[12]، وللمؤمنين مرتجى، ولأهلك ركنا، ولإخوانك

(1) الهنة: خصلة الشر.
(2) أدحض: أبطل.
(3) تباطؤ.
(4) تفور وعناد.
(5) التهمهم: طلب الشيء، ويقصد هنا: طلب الخلافة.
(6) منافسة.
(7) خوار العنان: جبان.
(8) أبين: أوضح وأظهر.
(9) المكان المحفوظ المرموق.
(10) الذي يغبطك عليه الآخرون ويتمنون أن يكونوا في مثله.
(11) الثلم: في السيف والحائط والإناء ونحوها، الانكسار. ويقصد به هن ما مر به من أزمات.
(12) ملتجأ: ملجأ وحماية.

ردءاً[1] قد أردتك لأمر ما عبده خطر مخوف، وصلاحه من أعظم المعروف، ولئن لم يندمل جرحه بسبارك[2] ورفقك؛ ولم تجب حيته برقيتك[3]، فقد وقع اليأس، وأعضل الباس[4] واحتيج بعدك إلى ما هو أمر من ذلك وأعلق، وأعسر منه وأغلق، والله أسأل تمامه بك، ونظامه على يديك. فتأت له يا أبا عبيدة وتلطف فيه، وانصح الله ولرسوله ولهذه العصابة غير آل جهدا[5] ولا قال جدا[6]؛ والله كالئك[7] وناصرك، وهاديك ومبصرك، إن شاء الله. امض إلى علي واخفض جناحك له، وغض من صوتك عنده، واعلم أنه سلالة أبي طالب، ومكانة ممن فقدناه بالأمس - صلى الله عليه وسلم - مكانه، وقل له:

البحر مَغرقةٌ، والبر مَفرقةٌ، والجو أكلف[8]. والليل أغدف[9]، والسماء جلواء[10]، والأرض صلعاء[11]، والصعود متعذر، والهبوط متعسر، والحق عطوف رؤوف، والباطل نسوف[12] عصوف، والعجب مقدحة الشر[13]، والضغن رائد

(1) الردء: العون.
(2) السبار: آلة يعرف بها مقدار الجرح. ويقال: سبر الجرح: أي عرف ما غوره.
(3) الرقية: هي العوذة التي يرقي بها صاحب الآفة كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات(انظر لسان العرب) ويقصد بها هنا صيغة معينة يقولها "الراقي" فيخرج بها الحية من حجرها ويقضي عليها.
(4) اليأس: العذاب والشدة في الحرب بخاصة. وأعضل البأس: أي اشتد وصعب واستحال التغلب عليه.
(5) أي: غير مقصر في بذل الجهد.
(6) قلى الشيء: أبغضه وكرهه والجد: والاجتهاد.
(7) راغبك وحافظك.
(8) الكلف: لون بين السواد والحمرة.
(9) اغدف: مرخ سدوله أي مظلم.
(10) صافية.
(11) جرداء.
(12) قاتل ومبيد.
(13) الغرور دليل الشر والقائد إليه.

البوار[1]، والتعريض شجار الفتنة، والقحة[2] مفتاح العداوة، وهذا الشيطان متكئ على شماله، باسط ليمينه، نافخ حضنيه[3] لأهله، ينتظر الشتات والفرقة، ويدب بين الأمة بالشحناء والعداوة، عناداً لله ولرسوله ولدينه، يوسوس بالفجور، ويدلى بالغرور، ويمنى أهل الشرور، ويوحي إلى أوليائه. زخرف القول غروراً بالباطل، دأبا له منذ كان على عهد أبينا آدم. وعادة منه منذ أهانه الله في سالف الدهر[4]. لا منجي منه إلا بعض الناجذ على الحق[5]، وغض الطرف عن الباطل، ووطء هامة عدو الله والدين بالأشد فالأشد، والأحد فالأحد، وإسلام النفس لله فيما حاز رضاه وجانب سخطه، ولابد من قول ينفع إذ قد أضر السكوت وخيف غبه[6]؛ ولقد أرشدك من أفاء[7] ضالتك، وصافاك من أحيا مودته لك بعتابك، وأراد لك الخير من آثر البقاء معك، ما هذا الذي تسول لك نفسك ويدوي[8] به قلبك، ويلتوي عليه رأيك، ويتخاوص[9] دونه طرفك، ويستشري[10] به ضغنك، ويتردد معه نفسك، وتكثر لأجله صعداؤك[11]، ولا يفيض به لسانك؟ أعجمه بعد إفصاح؟ ألبس بعد إيضاح؟ أدين غير دين الله؟ أخلق غير خلق القرآن؟ أهدي غير هدي محمد؟ - صلى الله عليه وسلم-، أمثلى تمشي له الضراء ويدب له الخمر[12]؟ أم مثلك يغص له الفضاء، [13]ويكسف في عينه

(1) الضغن والضغينة: الحقد. والبوار: الهلاك.

(2) القحة. بكسر القاف وفتحها: قلة الحياء.

(3) أي: منتفخ مستعد لأن يعمل عمله في الشر.

(4) وذلك بطرده ولعنه وقوله الله تعالى له: "... فاخرج منها فإنك رجيم" الحجر 34.

(5) الناجذ: آخر الأضراس. والعبارة كناية عن شدة التمسك بالحق.

(6) غبه: عاقبته ونتيجته.

(7) أفاء: أعد.

(8) يدوي: من الذوى (بفتح الواو) وهو داء باطن في الصدر.

(9) في لسان العرب: الإنسان يخاوص ويتخاوص في نظره، وخاوص الرجل وتخاوص: غض من بصره شيئ، وهو في كل ذلك يحدق النظر كأنه يقوم سهما.

(10) يتزايد.

(11) الصعداء: النفس الممدود.

(12) الضراء: الاستخفاء. والخمر: هو كل ما وراك واحتميت به.

(13) يقصد كيف تخفي عليك الحقيقة وأنت تعلمها؟

القمر ما هذه القعقعة[1] بالشنان ما هذه الوعوعة باللسان[2]! إنك والله لجد عارف باستجابتنا لله ولرسوله، وخروجنا من أوطاننا وأموالنا وأولادنا وأحبتنا، هجرة إلى الله، ونصرة لدينه في زمان أنت فيه في كن الصبا[3]، وحذر الغرارة[4]، وعنفوان الشبيبة[5] غافل عما يشيب ويريب[6]، لا تعي ما يشاد ويراد، ولا تحصل ما يساق، ويقاد، سوى ما أنت جار عليك من أخلاق الصبيان أمثالك، وسجايا الفتيان أشكالك، حتى بلغت إلى غايتك هذه التي إليها أجريت، وعندها حط رحلك، غير مجهول القدر، ولا مجحود الفضل، ونحن في أثناء ذلك نعاني أحوالا تزيل الرواسي، ونقاسي أهوالاً تشيب النواصي، خائضين غمارها، راكبين تيارها، نتجرع صابها[7]، ونشرج عيابها[8]، ونحكم أساسها، ونبرم أمراسها[9]، والعيون تحدج[10] بالحسد، والأنوف تعطس بالكبر، والصدور تستعر بالغيظ، والأعناق تتطاول بالفخر، والألسنة تشحذ بالمكر، والأرض تميد بالخوف؛ لا ننتظر عند المساء صباحا، ولا عند الصباح مساء، ولا ندفع في نحر أمر إلا بعد أن نحسو الموت دونه[11]، ولا نبلغ إلى شيء إلا بعد تجرع العذاب قبله، ولا نقوم بناد إلا بعد اليأس من الحياة عنده؛ فادين في كل ذلك رسول الله - صلى الله

(1) القعقعة: الصوت. والشنان: جمع شن وهو مزادة الماء الجافة القديمة. والمثل يضرب لمن لا يخاف ولا يخدع.

(2) الوعوعة: من أصوات الكلاب وبنات آوى.

(3) الكن والكنة: البيت والوقاء والستر.

(4) الخدر: الستر: والهودج. والغير والغرير هو ذو الغرارة أي السداجة وعدم الخبرة.

(5) عنفوان الشيء: أوله.

(6) أي: عن الشدائد والنوازل التي تهز النفوس وتزلزها.

(7) الصاب: عصارة شجر مر.

(8) أشرج العيبة وشرجها: شد عراها. والعيبة وعاء من أدم. والعبارة كناية عن رنق الفتق ولم الشمل.

(9) الأمراس: الحبال.

(10) تحدق.

(11) نحسو: نشرب ونتجرع. ويقصد بالعبارة أننا لا نحقق أمراً إلا بعد جهد وعذاب ومعاناة.

عليه وسلم - بالأب والأم، والخال والعم، والمال والنشب[1]، والسبد واللبد[2]، والهلة والبلة[3]، بطيب أنفس، وقرة أعين، ورحب أعطان[4]، وثبات عزائم، وصحة عقود، وطلاقة أوجه، وذلاقة ألسن[5]؛ هذا إلى خبيئات أسرار، ومكنونات أخبار، كنت عنها غافلا، ولولا سنك لم تكن عن شيء منها ناكلا[6]، كيف وفؤادك مشهوم[7]، وعودك معجوم[8]، وغيبك مخبور، والخير منك كثير. والآن قد بلغ الله بك؛ وأرهص[9] الخير لك، وجعل مرادك بين يديك؛ فاسمع ما أقول لك، واقبل ما يعود قبوله عليك، وعن علم أقول ما تسمع: فارتقب زمانك، وقص أردانك، ودع التجسس والتعسس لمن لا يظلع[10]، لك إذا خطا، ولا يتزحزح عنك إذا عطا[11]؛ فالأمر غض، وفي النفوس مض[12]، وأنت أديم هذه الأمة فلا تحلم لجاجا[13]، وسيفها العضب[14] فلا تنب[15]

(1) النشب: المال والعقار.

(2) السبد: الوبر واللبد: الصوف المتلبد ويكنى بهما عن الإبل والغنم.

(3) الهلة والبلة: كناية عن كل شيء.

(4) الرحب: السعة والمعاطن والأعطان: مبارك الإبل ومرابض الغنم. واحدها: معطن وعطن. ورحب أعطان: كناية عن الغنى وسعة الثراء.

(5) يقال: لسان ذلق: أي حاد.

(6) ناكلا: ناكصا محجما.

(7) المشهوم: الذكي المتوقد.

(8) يقصد مكتمل النضج.

(9) أعده وهيأه.

(10) الظلع: العرج.

(11) عطا إلى الشيء: تطاول إليه.

(12) المضى: الألم والحزن.

(13) الأديم: الجلد، والحلم بالتحريك دود يقع على الجلد فإذا دبغ كن موضع الأكل منه واهيا. واللجاج: التمادي في الخصومة.

(14) العضب: القوى القاطع.

(15) نبا السيف: لم يعمل في الضريبة.

اعوجاجا، وماؤها العذب فلا تحل أجاجا[1]. والله لقد سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن هذه الأمر لمن هو؟ فقال لي يا أبا بكر "هو لمن يرغب عنه لا لمن يجاحش عليه[2]، ولمن يتضاءل له لا لمن يشمخ إليه، وهو لمن يقال له: هو لك لا لمن يقول: هو لي".

ولقد شاورني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصهر، فذكر فتيانا من قريش، فقلت له أين أنت من علي؟ فقال: إني لأكره لفاطمة ميعة شبابه[3]، وحداثة سنه. فقلت: متى كنفته يدك[4]، ورعته عينك، حفت بهما[5] البركة، واسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير خطبت به رغبته فيك، وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء[6]، ولكني قلت ما قلت وأنا أرى مكان غيرك، وأجد ريح سواك؛ وكنت لك إذ ذاك خيرا منك الآن لي. ولئن كان عرض بك رسول الله - صلى الله عليه وسلم- في هذا الأمر، فقد كنى عن غيرك، وإن كان قال فيك فما سكت عن سواك؛ وإن اختلج[7] في نفسك شيء، فالحكم مرضيٌّ، والصواب مسموع، والحق مطاع. ولقد نقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى ما عند الله، وهو عن هذه العصابة راض، وعليها حدب[8]، يسره ما يسرها، سوءه ما ساءها، ويكيده ما كادها، ويرضيه ما أرضاها، ويسخطه ما أسخطها. ألم تعلم أنه لم يدع أحداً من أصحابه وخلطائه، وأقاربه وسجرائه[9]، إلا أبانه بفضيلة، وخصه بمزية. وأفرده بحالة لو أصفقت[10] الأمة عليه

(1) لا يحل: لا تتحول واج الماء: صار أجادا أي ملحا مرا.

(2) يجاحش عليه: يقاتل عليه ويلج في طلبه.

(3) ميعة الشباب: أوله.

(4) حاطته وصانته.

(5) أي: بعلي وفاطمة.

(6) الحوجاء: الحاجة وكذلك اللوجاء، ويقصد أبو بكر: ما عرفت لك شيئا يعتد به.

(7) اختلج: تردد.

(8) حدب: عطوف رحيم.

(9) السجراء: الأصدقاء.

(10) أصفقت: أجمعت.

لأجلها لكان عنده إيالتها[1] وكفالتها! أتظن أنه - صلى الله عليه وسلم - ترك الأمة سدى بددا، عباهل مباهل[2]، طلاحى[3] مفتونة بالباطل،ملوية عن الحق، لا زائد[4] ولا رائد، ولا ضابط ولا حائط ولا رابط، ولا ساقي ولا واقي، ولا حادي ولا هادي؟ كلا! والله ما اشتاق إلى ربه ولا سأله المصير إلى رضوانه وقر به إلا بعد أن ضرب المدى[5]، وأقام الصوى[6]، وأوضح الهدى، وأمن المسالك والمهالك، وحمى المطارح والمبارك، وسهل المشارع والمهايع[7] وإلا بعد أن شدخ يافوخ الشرك بإذن الله، وشرم وجه النفاق لوجه الله، وجدع أنف في دين الله، وتفل في عين الشياطين بعون الله، وصدع بملء فيه ويديه بأمر الله؟

وبعد، فهؤلاء المهاجرون والأنصار عندك ومعك في بقعة واحدة، ودار جامعة أن استقادوا[8] لك، وأشاروا بك، فأنا واضع يدي في يدك، وصائر إلى رأيهم فيك، وأن تكن الأخرى فادخل في صالح ما دخل فيه المسلمون، وكن العون على مصالحهم، والفاتح لمغالقهم، والمرشد لضالهم، والرادع لغاويهم؛ فقد أمر الله بالتعاون على البر، والتناصر على الحق. ودعنا نقضي هذه الحياة الدنيا بصدور بريئة من الغل[9]، ونلقى الله بقلوب سليمة من الضغن، وإنما الناس ثمامة[10] فارفق بهم واحن عليهم ولن لهم، ولا تسول لك نفسك فرقتهم واختلاف كلمتهم، ولا تشق نفسك بنا خاصة

(1) ولاية أمرها.
(2) متروكة هملا.
(3) إبل أطلاع وطلاح وطلاحى: كأنة مضعوفة مهزولة.
(4) الذائد: الدافع الحامي.
(5) أي بين الغاية.
(6) الصوى: حجارة توضع في الطريق لتكون أعلاما. واحدها: صوة كقوة.
(7) المهايع: جمع مهيع وهو الطريق الواضح البين.
(8) استقادوا لك: أي خضعوا وانقادوا ورضوا بك عليهم خليفة.
(9) الغل: الحقد.
(10) الثمامة: واحدة الثمام: وهو نبت ضعيف يشبه به في الضعف.

فيهم، واترك ناجم الشر حصيدا[1]، وطائر الحقد واقعا، وباب الفتنة مغلقا، فلا قال ولا قيل، ولا لوم ولا تعنيف، ولا عتاب ولا تثريب[2]، والله على ما أقول، وكيل، وبما نحن عليه بصير.

قال أبو عبيدة: فلما تهيأت للنهوض قال لي عمر: كن على الباب هنيهة فلي معك در[3]، من الكلام؛ فوقفت وما أدرى ما كان بعدي، إلا أنه لحقني بوجه يندي تهللا وقال لي: قل لعلي:

الرقاد محلمة، والهوى مقحمة، وما منا أحد إلا له مقام معلوم، وحق مشاع أو مقسوم، ونبأ ظاهر أو مكتوم.

وإن أكيس الكيسى[4] من منح الشارد تألفا، وقارب البعيد تلطفاً، ووزن كل أمر بميزانه، ولم يخلط خبره بعيانه، ولا قاس فتره بشبره[5]، ديناً كان أو دنيا، وضلالاً كان أو هدى. ولا خير في علم معتمل في جهل، ولا في معرفة مشوبة بنكر[6]:

ولسنا كجلدة رفغ[7] البعيرِ بين العجاوبين الذنب

كل صال فبناره يصلى[8]، وكل سيل فإلى قراره يجرى، وما كان سكوت هذه العصابة إلى هذه الغاية لعي وحصر[9]، ولا كلامها اليوم لفرق[10] وحذر. فقد جدغ

(1) ناجم: ظاهر. حصيدا: محصودا.
(2) التثريب: التعبير والاستقصاء في اللوم.
(3) يريد: كلاما كثيرا.
(4) الكيس: الحكيم العاقل. والجمع أكياس وكيس.
(5) الفتر: ما بين طرف الإبهام والسبابة إذا فتحتهما. فهو أقل من الشبر. ويقصد أن العاقل من عرف قدر الشيء ولم يضعه في غير موضعه.
(6) النكر: المنكر.
(7) الرفغ: باطن أصل الفخذ. والعجان: ما تلا جلدة الرفغ حتى أصل الذنب. والتشبيه بذلك يدل على الخسة وسفول المنزلة.
(8) يعذب ويقاسي.
(9) العى والحضر: العجز عن البيان والإفصاح.
(10) الفرق: الخوف.

الله بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أنف كل متكبر، وقصم به ظهر كل جبار، وسل لسان كل كذوب، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ ما هذه الخنزوانة[1] التي في فراش رأسك[2]! وما هذا الشجا[3] المعترض في مدارج أنفاسك ما هذه القناة[4] التي تغشت ناظرك؟ وما هذه الوحرة[5] التي أكلت شرأسيفك[6]! وما هذا الجرجس والدكس[7] اللذان يدلان على ضيق الباع وخور الطباع؟ وما هذا الذي لبست بسببه جلد النمر[8]، واشتملت عليه بالشحناء والنكر؟ لشد ما استسعيت لها[9] وسريت سرى ابن أنقد[10] إليها؟ إن العوان لا تعلم الخمرة[11] ما أحوج الفرعاء[12] إلى فاليه[13]، وما أفقر الصلعاء إلى حالية؛ ولقد قبض رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والأمر مقيد محبس، ليس لأحد فيه ملمس، لم يسر فيك قولاً، ولم يستنزل لك قرآنا، ولم يجزم في شأنك حكماً[14]. لسنا كسروية كسرى، ولا في قيصرية قيصر؟ تأمل لإخوان فارس

(1) الخنزوانة: الكبر والعجرفة.

(2) فراش الرأس: عظام رقاق تلي القحف.

(3) الشجا: ما يعترض في الحلق من عظم ونحوه.

(4) القنى: ما يقع في العيش والشراب.

(5) الوحرة: نوع سام من العظاء.

(6) الشراسيف: جمع شرسوف كعصفور: غضروف معلق بكل ضلع.

(7) من أنواع الهوام.

(8) ليس له جلد النمر مثل يضرب في الحجور وإظهار العداوة الشديدة.

(9) أي: سعيت إلى الخلافة.

(10) القنط.

(11) العوان: من لها زوج والخمرة: كيفيةوضع الخمار على الوجه تحشما. وهو مثل معناه أن المجرب غير محتاج لمن يعلمه.

(12) الفرعاء: الطويلة الشعر.

(13) من تفلى الرأس من القمل.

(14) يقصد بكل العبارات السابقة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مات دون أن يحدد خليفته من بعده.

وأبناء الأصفر[1]! قد جعلهم الله جزراً[2] لسيوفنا، ودريئة[3] لرماحنا، ومرمى لطعاننا، وتبعا لسلطاننا، بل نحن في نور نبوة، وضياء رسالة، وثمرة حكمة، وأثرة رحمة، وعنوان نعمة، وظل عصمة، بين أمة مهدية بالحق والصدق، مأمونة على الرتق والفتق، لها من الله قلب أبي، وساعد قوى، ويد ناصرة، وعين باصرة! أتظن ظنا يا على أن أبا بكر وثب على هذا الأمر مفتاتا على الأمة خادعا لها متسلطا عليها؟ أتراه امتلخ[4] أحلامها[5]، وأزاغ أبصارها، وحل عقودها، وأحال عقولها[6]، واستل من صدورها حميتها، ونكث رشاءها[7]، وصب ماءها، وأضلها عن هداها، وساقها إلى رداها[8]؟ أتراه جعل نهارها ليلا، ووزنها كيلا، ويقظتها رقادا، وصلاحها فسادا؟ إن كان هكذا إن سحرة لمبين، وإن كيده لمتين! كلا والله. بأي خيل ورجل، وبأي سنان ونصل، وبأي منة وقوة، وبأي مال وعدة، وبأي أيد وشدة، وبأي عشيرة وأسرة، وبأي قدرة ومكنة، وبأي تدرع وبسطة؟ لقد أصبح بما وسمته منيع الرقبة، رفيع العتبة. لا والله! سلا عنه فولهت له[9]، وتطامن لها فالتفت به، ومال عنها فمالت إليه، واسمتر دونها فاشتملت عليه؛ حبوه حباه الله بها[10]، وغاية تلغه الله إليها، ونعمة سربلة جمالها ويد أوجب الله عليه شكرها، وأمة نظر الله به إليها، وطالما حلقت فوقه أيام النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو لا يلتفت إليها، ولا يترصد وقتها. والله أعلم بخلقه، وأرأف بعباده، يختار ما كان لهم الخيرة، وإنك بحيث لا يجهل موضعك من بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وكهف

(1) الروم.

(2) جزرا: قطعا.

(3) هدفا.

(4) انتزع.

(5) الأحلام: العقول.

(6) أفسدها.

(7) الرشاء: الحبل الذي يعلق به الدلو للاستسقاء. والنكث هو النقض.

(8) هلاكها.

(9) أي: لم يتطلع إلى الخلافة فاشتاقت وتطلعت هي إليه.

(10) عطاء منحه الله إياه.

الحكمة، ولا يحجد حقك فيما أتاك ربك من العلم، ومنحك من الفقه والدين، هذا إلى مزايا خصصت بها، وفضائل اشتملت عليها؛ ولكن لك من يزاحمك بمنكب أضخم من منكبك. وقربى أمس من قربك، وسن أعلى من سنك، وشيبة أروع من شيبتك، وسيادة معروفة في الجاهلية والإسلام، ومواقف ليس لك فيها جمل ولا ناقة، ولا تذكر منها في مقدمة ولا ساقة[1] ولا تضرب فيها بذراع ولا إصبع، ولا تعد منها ببازل ولا هبع[2] إن أبا بكر كان حبة قلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وعلاقة نفسه، وعيبة سره ومفزع رأيه ومشورته، ومثوى حزنه، وراحة باله، ومرمق طرفه وذلك بمحضر الصادر والوارد من المهاجرين والأنصار. شهرته مغنية عن الدلالة عليه. ولعمري إنك أقرب منه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قرابة، ولكنه أقرب منك قربة، والقرابة لحم ودم، والقربة روح ونفس، وهذا فرق عرفة المؤمنون، ولذلك صاروا إليه أجمعون، ومهما شككت فلا تشك في أن يد الله مع الجماعة، ورضوانه لأهل الطاعة، فادخل فيما هو خير لك اليوم وأنفع لك غداً، والفظ من فيك ما هو عالق بلهاتك وانفث سخيمة[3] صدرك عن تقاتك[4] فإن يكن في الأمد طول، وفي الأجل فسحة، فستأكله مريأ أو غير مري، وستشربه هنيئاً أو غير هنى[5]، حين لا راد لقولك إلا من كان آيساً منك. ولا تابع لك إلا من كان طامعاً فيك، يمض إهابك، ويعرك أديمك[6]، ويزري على[7] هديك، هنالك تقرع السن من ندم، وتشرب الماء ممزوجاً بدم، وحينئذ تأسى[8] على ما مضى من عمرك،وانقضى من

(1) الساقة: مؤخرة الجيش.

(2) البازل: الجمل القوى التام الخلق والهبع (بضم وفتح الباء): الفصيل.

(3) السخيمة: الحقد.

(4) القتاة: التقوى.

(5) الهنيء والمريء بمعنى: ويقصد بالعبارات السابقة: أنك إن امتد بك العمر توليت أمر المسلمين بحلوه ومره.

(6) الإهاب والأديم: الجلد. وأمضه وعركه: أوجعه وآلمه.

(7) زري وتزري عليه: عابه.

(8) تحزن.

قوتك وانقرض من دارج[1] قومك، وتود أن لو سقيت بالكأس التي سقيتها غيرك وردت إلى الحال التي كنت تكرهها في أمسك، ولله فينا وفيك أمر هو بالغه، وغيب هو شاهده، وعاقبة هو المرجو لسرائها وضرائها، وهو الولي الحميد، الغفور والودود.

قال أبو عبيدة: فمشيت إلى علي متزملا[2] متباطئاً كأنما أخطو على أم رأسي فرقاً[3] من الفتنة، وإشفاقاً على الأمة، وحذراً من الفرقة، حتى وصلت إليه في خلاء فأبثته بثي كله[4]، وبرئت إليه منه، ودفعته له، ورفقت به فلما سمعها ووعاها، وسرت في أوصاله حمياها[5]، قال: حلت معلوطة[6]، وولت مخروطة[7] ثم قال:

إحدى لياليك فهيسي هيسي لا تنعمي الليلة بالتعريس[8]

يا أبا عبيدة، أهذا كله في أنفس القوم يستبطنونه ويحسون به ويضطغنون[9] عليه؟ فقلت: لا جواب عندي، إنما جئتك قاضيا حق الدين، وراتقا فتق المسلمين، وساداً ثلمة الأمة، يعلم الله ذلك من جلجلان[10] قلبي وقرارة نفسي.

فقال علي: والله ما كان قعودي في كسر[11] هذا البيت قصداً الخلاف، ولا

(1) درج: انقرض.

(2) متدثراً.

(3) خوفا

(4) البث: الحال والحزن. وبثه السر: كشف له عنه.

(5) الحميا: السورة والشدة والنشاط.

(6) مندفعة.

(7) مسرعة.

(8) الهيس: بفتح الهاء: السير مطلقا والتعريس نزول الركب في آخر الليل للاستراحة. وهو مثل يضرب للرجل يأتي الأمر يحتاج فيه إلى الجد والاجتهاد.

(9) الاضطغان: الاشتمال.

(10) سويداء.

(11) كسر البيت: جانبه.

إنكاراً لمعروف، ولا زراية على مسلم، بل لما وقذني به[1] رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فراقه، وأودعني من الحزن لفقده. فإني لم أشهد بعده مشهدا إلا جدد على حزنا، وذكرني شجناً، وإن الشوق إلى اللحاق كف عن الطمع في غيره، وقد عكفت على عهد الله انظر فيه، وأجمع ما تفرق منه، رجاء ثواب معد لمن أخلص لله عمله، وسلم لعلمه ومشيئته أمره، على أني ما علمت أن التظاهر على واقع، ولي عن الحق الذي سيق إلى دافع، وإذ قد أفعم[2] الوادي بي، وحشد النادي علي، فلا مرحبا بما ساء أحداً من المسلمين، وفي النفس كلامٌ لولا سابق عقد وسالف عهد، لشفيت غيظي بخنصري[3] وبنصرى[4]، وخضت لجته بأخمصى[5] ومفرقي[6]، ولكنني ملجم[7] إلى أن ألقى الله ربي، وعنده أحتسب ما نزل بي، وإني غاد إن شاء الله إلى جماعتكم ومبايع لصاحبكم، وصاير على ما ساءني وسركم، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، وكان الله على كل شيء شهيدا.

قال أبو عبيدة: فعدت إلى أبى بكر وعمر فقصصت عليهما القول على غره[8]، ولم أترك شيئاً من حلوه ومره، وبكرت غدوة إلى المسجد، فلما كان صباح يومئذ وافى علي فخرق الجماعة إلى أبي بكر وبايعه، وقال خيراً، ووصف جميلاً، وجلس زميتاً[9] واستأ للقيام ونهض فتبعه عمر إكراما له وإجلالا لموضعه واستنباطا[10] لما في نفسه، وقام أبو بكر إليه فأخذ بيده وقال:

(1) وقذه: تركه عليلا.

(2) مليء.

(3) الخنصر: إصبع اليد الصغرى.

(4) البنصر: الإصبع التالية لها.

(5) الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض.

(6) المفرق: وسط الرأس. ويعني: لشفيت غيظي بيدي وتصديت للأمر بنفسي وبكل قولي.

(7) ملجم: ساكت.

(8) على غرة: أي على أصله كما سمعته. وأصل الغر: الكسر المثنى في جلد أو ثوب. ويجمع الغر على غرور.

(9) الزميت والمتزمت: الحليم الوقور الساكن.

(10) الاستنباط: الاستخراج أي حرصا من أبي بكر على أن يبوح على بما في نفسه.

إن عصابة أنت منها يا أبا الحسن لمعصومة، وإن أمه أنت فيها لمرحومة، ولقد أصبحت عزيزاً علينا، كريماً لدينا، تخاف الله إذا سخطت، وترجوه إذا رضيت؛ ولولا أني شدهت[1] لما أجبت إلى ما دعيت إليه ولكني خفت الفرقة واستئثار الأنصار بالأمر على قريش، وأعجلت عن حضورك ومشاورتك، ولو كنت حاضراً لبايعتك، ولم أعدل بك، ولقد حط الله عن ظهرك ما أثقل كاهلي به، وما أسعد من ينظر الله إليه بالكفاية؛ وإنا إليك لمحتاجون، وبفضلك عالمون، وإلى رأيك وهديك في جميع الأحوال راغبون، وعلى حمايتك وحفيظتك[2] معولون.

ثم انصرف وتركه مع عمر، فالتفت علي إلى عمر فقال:

يا أبا حفص، والله ما قعدت عن صاحبك جزعا على ما صار إليك، ولا أتيته فرقاً منه، ولا أقول ما أقول تعلة، وإني لأعرف مسمى طرفي[3]، ومخطي قدمي[4]، ومنزع قوسي، وموقع سهمي؛ ولكني تخلفت إعذاراً إلى الله وإلى من يعلم الأمر الذي جعله لي رسول الله وقد أزمت على فأسى[5] ثقة بربي في الدنيا والآخرة وأتيت فبايعت حفظا للدين وخوفا من انتشار أمر الله.

فقال له عمر: يا أبا الحسن، كفكف من غربك[6]، ونهنه[7] من سربك[8]، ودع العصا بلحائها[9]، والدلو برشائها، فإنا من خلفها ووراءها، إن قدحنا أورينا[10]، وإن

(1) دهشت.

(2) حفيظتك: المحافظة عليك.

(3) أي المكان الذي يسمو إليه نظري.

(4) مكان خطوي.

(5) الأزم: العض. والفأس: حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس. والمعنى وتماسكت ولم أظهر ما في نفسي.

(6) الغرب: الحد.

(7) نهنه: كف وزجر.

(8) السرب: النفس.

(9) لحاء الشجرة: قشرها.

(10) أخرجنا النار.

قرحنا أدمينا[1]، وإن متحنا[2] أروينا، وقد سمعت أمثالك التي ألغزت[3] بها صلادة عن صدر أكله الجوى[4]، وقلب جزوع، ولو شئت لقلت على مقالتك ما إن سمعته ندمت على ما قلت. زعمت. أنك قعدت في كسربيتك لما وقذك به فراق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفراق رسول الله وقذك وحدك ولم يقذ سواك؟ إن مصابه لأعز وأعظم وأعم من ذاك وإن من حق مصابه أن لا يصدع شمل الجماعة بكلمة لا عصام لها[5]، ولا يؤمن كيد الشيطان في بقائها فإنك لترى الأعراب حول المدينة، والله لو تداعت علينا في مصبح يوم لم نلتق في ممساه. وزعمت أن الشوق إلى اللحاق به كاف عن الطمع في غيره؟ فمن علامة الشوق إليه نصرة دينه، وموازرة المسلمين عليه، ومعاونتهم فيه. وزعمت أنك عكفت على عهد الله تجمع ما تفرق منه. فمن العكوف على عهد الله النصيحة لعباده، والرأفة على خلقه، وأن تبذل من نفسك ما يصلحون به، ويجتمعون عليه. وزعمت أن التظاهر عليك واقع! أي تظاهر عليك. وأي حق استؤثر به دونك! لقد علمت وسمعت ما قال الأنصار بالأمس سراً وجهراً، وما تقلبت عليه بطنا ظهرا، فهل ذكرتك أو أشارت بك أو طلبت رضاها من عندك؟ وهؤلاء المهاجرون من الذي قال منهم أنك صاحب هذا الأمر، أو أوما إليك بعينه، أو همم[6] بك في نفسه، أتظن أن الناس ضلوا من أجلك، وعادوا كفاراً زهداً فيك؟ أو باعوا الله تعالى بهواهم بغضاً لك وتحاملاً عليك؟ لا والله! وقد جاءني عقيل بن زياد الخزرجي في نفر من أصحابه ومعهم شرحبيل بن يعقوب الخزرجي في قوم من الأنصار فقالوا: إن عليا ينتظر الإمامة، ويزعم أنه أولى بها من أبي بكر، وينكر على من يعقد الخلافة فأنكرت عليهم، ورددت القول في نحورهم حتى قالوا: إنه ينتظر

(1) جرحنا.
(2) المتح: نزع رشاء الدلو من البئر وكل هذه العبارة كناية عن القدرة الفائقة.
(3) أي عميت بها عما تريد.
(4) الجوى: النقمة الشديدة.
(5) عصام القربة وما شابهها: حبل تشد به. ويعني كلمة له عواقبها الوخيمة غير المحصورة.
(6) الهمهمة: الكلام الخفي.

الوحي ويتوكف[1] مناجاة الملك. فقلت ذاك أمر طواه الله بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - أكان الأمر معقوداً بأنشوطة[2]، وأمشدوداً بأطراف ليطة[3]؟ كلا؟ والله لا عجماء بحمد الله إلا أفصحت، ولا شوكاء[4] إلا وقد تفتحت. ومن أعجب شأنك قولك: لولا سابق عقد وسالف عهد لشفيت غيظي بخنصري وبنصري. وهل ترك الدين لأحد أن يشفى غيظه بيده أو لسانه؟ تلك جاهلية استأصل الله شأفتها[5]، واقتلع جرثومتها، ونور ليلها، وغور سيلها، وأبدل منها الروح والريحان، والهدى والبرهان. وزعمت أنك ملجم؛ فلعمري إن من اتقى الله وآثر رضاه. وطلب ما عنده، أمسك لسانه، وأطبق فاه، وغلب عقله ودينه على هواه، وجعل سعيه ما وراه. وأما قولك: إني لأعرف منزع قوسي، فإذا عرفت منزع قوسك، عرف غيرك مضرب سيفه، ومطعن رمحه[6] وأما ما تزعمه من الأمر الذي جعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم- لك[7] فتخلفت إعذاراً إلى الله وإلى العارفة به من المسلمين! فلو عرفة المسلمون لجنحوا[8] إليه، وأصفقوا عليه[9]، وما كان الله ليجمعهم على العمى، ولا ليضربهم بالضلال بعد الهدى، ولو كان لرسول الله فيك رأي وعليك عزم ثم بعثه الله فرأي اجتماع أمته على أبي بكر لما سفه آراءهم، ولا ضلل أحلامهم، ولا آثرك عليهم، ولا أرضاك بسخطهم، ولأمرك باتباعهم والدخول معهم فيما ارتضوه لدينهم.

فقال علي: مهلا أبا حفص أرشدك الله، خفض عليك والله ما بذلت ما بذلت وأنا أريد نكثه، ولا أقررت ما أقررت وأنا أبتغي عنه حولا، وإن أخسر الناس صفقة

(1) يتوقع وينتظر.
(2) الأنشوطة: عقدة تحل إذا جذب أحد طرفيها.
(3) الليطة: قشرة القصبة التي تلزق بها.
(4) الشوكاء: النخلة أول طلوع شوكها وأي نبتة ذات شوك.
(5) شأفة الشيء وجرثومته أصله.
(6) العبارة كناية عن التفوق على عليّ في العلم والقوة...
(7) يعني الإيصاء لعلي - تصريحا أو تلميحا - بالخلافة.
(8) اتجهوا.
(9) أجمعوا عليه.

عند الله من استبطن النفاق، واحتضن الشقاق؛ وفي الله خلف في كل فائت، وعوض من كل ذاهب، وسلوه عن كل حادث وعليه التوكل في جميع الحوادث؛ ارجع أبا حفص إلى مجلسك ناقع القلب مبرود الغليل، فصيح اللسان، فسيح اللبان[1]، رحب الصدر، متهلل الوجه، فليس وراء ما سمعته منى إلا ما يشد الأزر[2]، ويحط الوزر[3]، ويضع الإصر[4]، ويجمع الألفة، ويرفع الكلفة، إن شاء الله. فانصرف عمر إلى مجلسه.

قال أبو عبيدة: فلم اسمع، ولم أر كلاما ولا مجلسا، كان أصعب علي من ذلك الكلام والمجلس.

قال أبو حيان في كتابه البصائر: روى لنا هذا كله أبو حامد ثم أخرج لنا أصله فقابلناه به فما كان غادر منه إلا ما بال له، فأما ما روه لنا أبو منصور الكاتب فإن خالف في أحرف في حواشي الكتاب كل حرف بإزاء نظيره الذي هو مبد منه، وقد كان أبو منصور بلغة العرب أبصر، وفي غرائبها أنفذ، وإنما قدمت رواية أبي حامد؛ لأنه بشأن الشريعة أعلم، ولأعاجيبها أحفظ، وفيما أشكل منها أفقه.

(1) اللبان: الصدر.

(2) الأزر: الظهر، والقوة.

(3) الوزر: الإثم والثقل.

(4) الإصر: الذنب والثقل.

مما نسب لعلي بن أبي طالب الخطبة الشقشقية*

أما والله لقد تقمصها[1] فلان[2] وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحا، ينحدر عني السيل[3] ولا يرقى إلى الطير، فسدلت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً[4] وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء[5] أو أصبر على طخية عمياء[6] يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه فرأيت أن الصبر على هاتا[7] أحجى[8] فصبرت وفي العين قذى[9]، وفي الحلق شجاً[10] أرى تراثي نهباً، حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى[11] بها إلى فلان بعده[12] (ثم تمثل بقول الأعشى):

* نهج البلاغة 33. قميحة، أدب، 367.

(1) يقصد تولي الخلافة تشبيها لها بالقميص.

(2) أبو بكر الصديق.

(3)+(8) كناية عن السمو والرفعة والمكانة.

(4) الكشح: ما بني الخاصرة إلى الضلع الخلف وهو: كناية عن ميله وانصرافه عنها.

(5) الجذاء: المقطوعة.

(6) الطخية: الظلمة. ويقصد أنه كان بين حالين إما أن يقاتل دفاعا عن حقه في الخلافة وكنه لم يكن يملك ما يمكنه من ذلك، وإما أن يصبر على هذه الحال السيئة فآثر الأخرى.

(7) هاتا: هذه.

(8) أحجى: ألزم وأجدر.

(9) القذى: ما يقع في العين والشراب.

(10) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

والعبارتان السابقتان كناية عن أن صبره كان على مضض وكراهية.

(11) أدلى: ألقى.

(12) هو عمر بن الخطاب.

شتان ما يومي على كورها ويوم حيان أخي جابر[1]

فيا عجبا!! بيناً هو يستقيلها في حياته[2] إذ عقدها لآخر بعد وفاته[3]، لشد ما تشطرا ضرعيها[4] فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها[5]، ويخشن مسها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة[6] إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها تقحم[7]، فمنى الناس[8] - لعمر الله - بخبط[9] وشماس[10] وتلون[11] واعتراض[12]؛ فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أني أحدهم، فيالله وللشورى!! متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر[13]!! لكني أسففت إذ أسفوا[14] وطرت إذ طاروا؛ فصغى

(1) الكور: رحل الناقة. شتان: بعدما بينهما. ومعنى البيت: ما أبعد الفرق بين يومي بشقائه ومعاناته على رجل ناقتي ويوم حيان برفاهيته ونعيمه. واستشهد على بهذا البيت لبيان الفرق بين يومه في خلافته ويوم عمر في حكمه.

(2) إشارة إلى ما نسبه بعضهم إلى أبي بكر من أنه قال بعد البيعة "أقيلوني فلست بخيركم".

(3) إذ أوصى بها لعمر على ملأ من المسلمين.

(4) تشطرا ضرعيها: أي اقتسما فوائد الخلافة ومنافعها.

(5) أي: جعل الخلافة من بعده خطيرة صعبة خشنة جرحها لا يندمل.

(6) الناقة العصبة: الشرسة غير الذلول.

(7) أي: إن شد راكبها زمامها خرم أنفها. وإن أسلس لها قيادها ألقت به إلى الهلكة.

(8) أي: ابتلوا وأصيبوا.

(9) الخبط: الضلال والسير على غير هدي.

(10) الشماس: العناد والتصلب.

(11) التلون: التغير.

(12) الاعتراض: السير على غير خط مستقيم.

(13) يقصد الخمسة الآخرين وهم: عثمان، وسعد، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف.

(14) يقصد أنه سايرهم ولم يخالفهم: والإسفاف: ارتكاب أمر الدنيء. وهو: من أسف الطائر إذا اقترب من الأرض في طيرانه.

رجل منهم لضغنه[1] ومال الآخر لصهره[2] مع هن وهن[3].

إلى أن قام ثالث[4] القوم نافجاً حضنيه[5] بين نثيله ومعتلفه[6]، قام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم[7] الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث فتله، وأجهز عليه عمله[8] وكبت به بطنته[9] فما راعني إلا والناس كعرف الضبع[10] إلي ينثالون[11] على من كل جانب؛ حتى قد وطئ الحسنان، وشق عطفاي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم[12].

فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط[13] آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول:

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعقبة للمتقين ﴾ [14]

بلى! والله لقد سمعوها ووعوها، ولكنهم حليت[15] الدنيا في أعينهم وراقهم

(1) أي: استجاب أحدهم إى ضغينته. وهو يقصد سعد بن أبي وقاص.

(2) يقصد عبد الرحمن بن عوف فزوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمه.

(3) يشير إلى أشياء أخرى يكره ذكرها.

(4) عثمان بن عفان.

(5) نافجا: رافعا. ونافجا حضنيه كناية عن التكبر أو امتلاء بالبطن بالطعام.

(6) النثيل: الروث. والمعتلف: موضع العلف.

(7) الخضم: الأكل مطلقا أو الأكل بأقصى الأضراس.

(8)أي: أن عمله السيئ أدى إلى مصرعه.

(9) البطنة: الأكل البطر والأشر والتخمة. وكبا الجواد سقط لوجهه.

(10)عرف الضبع: الشعر الكثيف على عنقها، ويضرب به المثل والازدحام.

(11)ينثالون: يتتابعون ويتزاحمون.

(12) ربيضة الغنم: الجماعة الرابضة من الغنم.

(13) قسط: جار وظلم.

(14) القصص الآية 83.

(15) صارت كالمرأة إذا تزينت بحليها.

زبرجها[1].

أما والذي فق الحبة، وبرأ النسمة[2] لولا حضور الحاضر[3] وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم[4] ولا سغب[5] مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها[6]، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنيكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز[7].

قالوا: وقام إليه رجل من أهل السواد[8] عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته فناوله كتابا، فأقبل ينظر فيه، قال له ابن عباس - رضي الله عنهما -: يا أمير المؤمنين، لو اطردت خطبتك من حيث أفضيت؟

فقال: هيهات يا ابن عباس، تلك شقشقة[9] هدرت ثم قرت.

قال ابن عباس: فو الله ما أسفت على كلام قط كأسفي على هذا الكلام أن لا يكون أمير المؤمنين عليه السلام بلغ منه حيث أراد.

---

(1) الزبرج: الزينة.

(2) خلق الروح.

(3) وجود من بايعه بالخلافة.

(4) الكظة: ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام والمراد بكظة الظالم: استئثاره بالحقوق.

(5) الشغب: شدة الجوع. والمراد بسغب المظلوم هنا: ضياع حقوقه.

(6) كناية عن عدم الاهتمام وعدم الحرص على طلب الشيء.

(7) عبطة العنز: ما تنثره من أنفها.

(8) العراق.

(9) الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه البعير من فمه إذا هاج. والهدير: هو الصوت المصاحب لإخراجها.

مما نسب لعلي بن أبي طالب الفتنة وبنو أمية(*)

أما بعد أيها الناس فإني فقأت عين الفتنة[1] ولم يكن ليجتري عليها أحد غيري بعد أن ماج غيهبها[2] واشتد كلبها[3].

فاسألوني قبل أن تفقدوني؛ فو الذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة، ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا أنبأتكم بناعقها[4] وقائدها، وسائقها، ومناخ ركابها، ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً، ومن يموت منهم موتاً، ولو قد فقدتموني ونزلت بكم كرائه الأمور[5] وحوازب الخطوب[6] لأطرق كثير من السائلين وفشل كثير من المسئولين، وذلك إذا قلصت[7] حربكم وشمرت عن ساق[8]، وضاقت الدنيا عليكم ضيقاً تستطيلون معه أيام البلاء عليكم حتى يفتح الله لبقية الأبرار منكم.

إن الفتن إذا أقبلت شبهت وإذا أدبرت نبهت[9]: ينكرن مقبلات، ويعرفن مدبرات، يحمن حول الرياح، ويصبن بلدا ويخطن بلداً.

ألا إن أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية؛ فإنها فتنة عمياء مظلمة؛ عمت خطتها[10]

---

* نهج البلاغة 116. قميحة، أدب، 371.

(1) أي: قضت عليها. وكان ذلك بعد أن هزم الخوارج في النهروان.

(2) الغيهب: الظلام. وماج غيهبها: ساد ظلامها.

(3) الكلب: السعار.

(4) ناعقها: الداعي إليها.

(5) كرائه الأمور: شدائدها.

(6) حوازب: جمع حازب وهو الأمر الشديد.

(7) قلصت: تمادت واستمرت.

(8) كناية عن شدة الحرب وهولها.

(9) أي: الفتن إذا أقبلت دخل فيها من دخل اعتقادا؛ أنه على الحق، ولكن بعد انتهائها يكشف أنه كان على باطل ولات حين مندم.

(10) الخطة: الأمر.

المواعظ

وخصت بليتها[1]، وأصاب البلاء من أبصر فيها وأخطأ البلاء من عمى عنها[2].

وايم الله لتجدن بني أمية لكم أرباب سوء يعدي الناب الضروس[3] تعذم[4] بفيها، وتخبط بيدها، وتزبن[5] برجلها، وتمنع درها[6]، لا يزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعاً لهم أو غير ضائر بهم، ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلا كانتصار العبد من ربه، والصاحب من مستصحبه[7] ترد عليكم فتنتهم شوهاء[8] مخشية وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى، ولا علم يرى[9]، نحن أهل البيت منها بمنجاة ولسنا فيها بدعة، ثم يفرجها الله عنكم كتفريج الأديم[10] بمن يسومهم خسفاً ويسوقهم عنفا، ويسقيهم بكأس مصبَّرة[11] لا يعطيهم إلا السيف، ولا يجلسهم إلا الخوف[12]، فعند ذلك تود قريش الدنيا وما فيها، لو يرونني مقاماً واحداً، ولو قدر جزر جزور[13] لأقبل منهم ما أطلب اليوم بعضه فلا يُعطونني[14].

---

(1) أي: أن بليتها خصت آل البيت؛ لأن غيرهم انتزع حقوقهم.

(2) أي: أن من أبصر باطل بنى أمية وكشف عوراهم، نزل به انتقامهم، أما من تغافل عن ذلك فلا ينزل به بلاء.

(3) الناب: الناقة المسنة. الضروس: السيئة الخلق.

(4) تعذم: تعض.

(5) تزبن: تضرب.

(6) لبنها.

(7) أي: التابع من متبوعه، أي انتصار الأذلاء.

(8) قبيحة: ممسوخة.

(9) دليل يهتدي به.

(10) أي: يكشفها الله عنكم ككشف الجلد عن اللحم.

(11) الصبر: بكسر الصد وضمها واحد الأصبار وهو: الخزف والكأس المصبرة: المملوءة تماما.

(12) أي: ولا يشعرهم إلا الخوف. وأحلس البعير: أي ووضع عليه الحلس: وهو كساء يوضع فوق ظهر البعير.

(13) أي: ولد لمدة قصيرة لا تتعدى مدة ذبح البعير.

(14) أي: بعد أن يقضي على بني أمية تود قريش أن يروني - ولو للحظات - لأقبل منهم أكثر مما أطلب اليوم بعضه فلا يتحقق لي. ولكن سيكون ذلك بعد فوات الأوان.

المواعظ

* كن في الفتنة كابن اللبون[1]: لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب.

* أزرى بنفسه من استشعر الطمع[2]، ورضى بالذل من كشف عن ضره، وهانت عليه نفسه من أمَّرَ عليها لسانه.

* البخل عار. والجبن منقصة. والفقر يخرس الفطن عن حجته. والمقل غريب في بلدته[3]. والعجز آفة، والصبر شجاعة. والزهد ثروة. والورع جنة.

* نعم القرين الرضى. والعلم وراثة كريمة. والآداب حلل مجددة. والفكر مرآة صافية.

* صدر العاقل صندوق سره[4]. والبشاشة حبالة لمودة. والاحتمال قبر العيوب(أو) و المسالمة خباء العيوب. ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه.

* الصدقة دواء منجح. وأعمال العباد في عاجلهم نصب أعينهم في آجلهم.

* اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم[5] ويسمع بعظم، ويتنفس من خرم.

---

(1) ابن اللبون - بفتح اللام وضم الباء-: ابن الناقة إذا استكمل سنتين لا له ظهر قوي فيركبونه ولا له ضرع فيحلبونه، يريد نجنب الظالمين في الفتنة لا ينتفعوا بك.

(2) أزرى بها: حقرها: واستشعره تبطنه وتخلق به، ومن كشف ضره للناس دعاهم للتهاون به. فقد رضي بالذل. وأمر لسانه: جعله أميرا.

(3) المقل - بضم فكسر -: الفقير. والجنة بالضم: الوقاية.

(4) لا يفتح الصندوق فيطلع الغير على ما فيه. والحالة - بالضم-: شبكة الصيد. والبشوش يصيد مودات القلوب. والاحتمال: تحمل الأذى، ومن تحمل الأذى خفيت عيوبه كأنما دفنت في قبر.

(5) الشحم: شحم الحدقة. واللحم: اللسان. والعظم: عظام في الأذن يضر بها الهواء فيتقرع عصب الصماخ فيكون السماع.

* إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره. وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

* خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم، وإن عشتم حنوا إليكم.

* أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

* إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر[1].

* من ضيَّعه الأقرب أتيح له الأبعد[2]

* ما كل مفتون يعاتب[3].

* تنل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير[4].

وسئل علي عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم "غيروا الشيب[5] ولا تشبهوا باليهود" فقال عليه السلام: إنما قال صلى الله عليه وآله ذلك والدين قل، فأما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤٌ وما اختار .

* (وقال: في الذين اعتزلوا القتال معه): خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل.

---

(1) أطراف النعم: أوائلها، فإذا بطرتم ولم تشكروها بأداء الحقوق منها نفرت عنكم أقاصيها أي أواخرها فحر متموها.

(2) أتيح له: قدر له، وكم من شخص أضاعه أقار به فقدر الله له من الأباعد من يحفظه ويساعده.

(3) أي لا يتوجه العتاب واللوم على كل داخل في فتنه، فقد يدخل فيها من لا محيص له تنها لأمر اضطره فلا لوم عليه.

(4) الحنف - بفتح فسكون-: الهلاك.

(5) غيروا الشيب بالخضاب ليراكم الأعداء كهولا أقوياء، ذلك الدين قل * بضم القاف - أي قليل أهله. والنطاق - ككتاب-: الحزام العريض، واتساعه كناية عن العظم والانتشار. والجران - على وزن النطاق مقدم عنق البعير يضرب به على الأرض إذا استراح وتمكن، أي بعد قوة الإسلام الإنسان مع اختياره إن شاء خضب وإن شاء ترك.

* من جرى في عنان أمله عثر بأجله[1].

* أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم[2] فما يعثر منهم عاثر إلا ويد الله بيديه يرفعه.

* قرنت الهيبة بالخيبة[3]، والحياء بالحرمان. والفرصة تمر مر السحاب فانتهزوا فرص الخير.

* لنا حق فإن اعطيناه وإلا ركبنا أعجاز الإبل وإن طال السُّرى . ومعناه أنا إن لم نعط حقنا كنا أذلاء[4]وذلك أن الرديف يركب عجز البعير كالعبد والأسير ومن يجري مجراهما).

* من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

* من كفارات الذنوب العظام أغاثة الملهوف والتنفيس عن المكروب.

* يا ابن آدم إذا رأيت ربك سبحانه يتابع عليك نعمة وأنت تعصيه فاحذره.

* ما أضمر أحد شيئا إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه.

* إمش بدائك ما مشى بك[5].

* أفضل الزهد إخفاء الزهد.

* إذا كنت في إدبار والموت في إقبال[6] فما أسرع الملتقى.

---

(1) أي من كن جر به إلى سعادته بعنان الأم يمنى نفسه بلوغ مطلبه بلا عمل سقط في أجله بالموت قبل أن يبلغ شيئا مما يريد. والعنان - ككتاب-: سير اللجام تمسك به الدابة.

(2) العثرة: السقطة. وأقاله عثرته: رفعه من سقطته. والمروءة - بضم الميم:- صفة للنفس تحملها على فعل الخير لأنه خير. وقوله يرفعه جملة حالية من لفظ الجلالة وإن كان مضافا إليه لوجود شرطه.

(3)من تهيب أمراً خاب من إدراكه ، والإفراط في الحياء مذموم، كطرح الحياء. والمحمود الوسط.

(4) وقد يكون المعنى إن لم نعط حقنا تحملنا المشقة في طلبه وإن طابت الشقة. وركوب مؤخرات الإبل مما يشق احتماله والصبر عليه.

(5) أي ما دام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل في شؤونك فاعمل، فإن أعياك فاسترح له.

(6) يطلبك الموت من خلفك ليلحقك وأنت مدبر إليه تقرب عليه المسافة.

* الحذر الحذر، فو الله لقد ستر حتى كأنه قد عفر[1].

* (وسئل عن الإيمان فقال) الإيمان على أربع دعائم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد. والصبر منها على أربع شعب: على الشوق والشفق[2] والزهد والترقب. فمن اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار أجتنب المحرمات، ومن زهد في الدنيا استهان بالمصيبات، ومن ارتقب الموت سارع إلى الخيرات. واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة، وتأول الحكمة[3]، وموعظة العبرة، وسنة الأولين. فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة، ومن تبينت له الحكمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنما كان في الأولين. والعدل منها على أربع شعب: على غائص الفهم، وغور العلم، وزهرة الحكم[4]، ورساخة الحلم. فمن فهم علم غور العلم، ومن علم غور العلم صدر عن شرائع الحكم[5]، ومن حلم لم يفرط في أمره وعاش في الناس حميداً. والجهاد منها على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن[6]، وشنآن الفاسقين، فمن أمر بالمعروف شد ظهور المؤمنين، ومن نهى عن المنكر ارغم أنوف المنافقين، ومن صدق في المواطن قضي ما عليه، ومن شنئ الفاسقين وغضب الله غضب الله له وأرضاه يوم القيامة.

* الكفر على أربع دعائم: على التعمق والتنازع والزيغ[7] والشقاق، فمن

(1) الضمير لله، ستر مخازى عباده حتى ظن أنه غفرها لهم ويوشك أن يأخذهم بمكره.

(2) الشفق - بالتحريك -: الخوف.

(3) تأول الحكمة: الوصول إلى دقائقها. والعبرة: الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأولين وما رزئوا به عند الغفلة وما حظوا به عند الانتباه.

(4) غور العلم: سره وباطنه. وزهرة الحكم - بضم الزاي - أي حسنه.

(5) الشرائع: جمع شريعة وهي الظاهر المستقيم من المذاهب ومورد الشاربة. وصدر عنها أي رجع عنها بعدما اغترف ليفيض على الناس مما اغترف فيحسن حكمه.

(6) مواطن القتال في سبيل الحق. والشنآن - بالتحريك.

(7) التعمق: الذهاب خلف الأوهام على زعم طلب الأسرار. والزيغ: الحيدان عن مذاهب الحق والميل مع الهوى الحيواني. والشقاق: العناد.

تعمق لم ينب إلى الحق[1] ومن كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق، ومن زاغ ساءت عنده الحسنة وحسنت عنده السيئة وسَكِر سُكر الضلالة، ومن شاق وعرت عليه طرقه وأعضل عليه أمره[2]، وضاق عليه مخرجه. والشك على أربع شعب: على التماري والهول والتردد والاستسلام[3]، فمن جعل المراء ديدناً لم يصبح ليله. ومن هاله ما بين يديه نكص على عقبيه، ومن تردد في الريب وطئته سنابك الشياطين[4]، ومن استسلم لهلكة الدنيا والآخرة هلك فيهما.

* فاعل الخير خير منه، وفاعل الشر شر منه.

* كن سمحاً ولا تكن مبذراً، وكن مقدراً ولا تكن مقترا[5].

* أشرف الغنى ترك المنى[6].

* من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه بما لا يعلمون.

* من أطال الأمل أساء العمل[7].

(1) لم ينب أي لم يرجع، أناب ينيب رجع.

(2) وعر الطريق - ككرم ووعد وولع -: خشن ولم يسهل السير فيه. وأعضل: اشتد وأعجزت صعوبته.

(3) النمارى: التجادل لإظهاره قوة الجدل لا لا حقاق الحق. والهول - بفتح فسكون -: مخافتك من الأمر لا تدري ما هجم عليك منه فتنذهش. والتردد انتقاض العزيمة وانفساخها ثم عودها ثم انفساخها. والاستسلام: إلقاء النفس في تيار الحادثات، أي ما أتى عليها يأبى والمراء - بكسر الميم -: الجدل. والديدن: العادة. وقوله لم يصبح ليلة أي لم يخرج من ظلام الشك إلى نهار اليقين.

(4) الريب: الظن أي الذي يتردد في ظنه ولا يعقد العزيمة في أمره تطوه سنابك الشياطين: جمع سنبك - بالضم - طرف الحافر، أي تسترله شياطين لهوى فتطرحه في الهلكة.

(5) المقدر: المقتصد كأنه يقدر كل شيء بقيمته فينفق على قدره. والمقتر: المضيق في النفقة كأنه لا يعطي إلا القتر أي الرمقة من العيش.

(6) المنى: جمع منية ما يتمناه الإنسان لنفسه، وفي تركها غنى كامل لأن من زهد شيئاً استغني عنه.

(7) طول الأمل: الثقة بحصول الأماني بدون عمل لها أو استطالة العمر والتسويف بأعمال الخير.

* (وقال: وقد لقيه عند مسيره إلى الشام دهاقين الأنبار[1] فترجلو له واشتدوا بين يديه): ما هذا الذي صنعتموه؟ فقال: خلق منا نعظم به أمراءنا. فقال: والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم. وإنكم لتشقون به على أنفسكم في دنياكم[2] وتشقون به في أخرتكم، وما أخسر المشقة وراءها العقاب، وأربح الدعة معها الأمان من النار.

* (وقال لابنه الحسن): يا بني احفظ عني أربعاً وأربعًا لا يضرك ما عملت معهن: أغنى الغنى العقل. وأكبر الفقر الحمق. وأوحش الوحشة العجب[3]. وأكرم الحسب حسن الخلق. يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك. وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه[4]، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه[5]. وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرب عليك البعيد ويبعد عليك القريب.

* وقال: لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض[6].

* لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه.

* وقد روى عنه هذا المعنى بلفظ آخر وهو قوله: قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه، ومعناهما واحد (وقال لبعض أصحابه في علة اعتلها): جعل الله ما كان من شكواك حظا لسيئاتك، فإن المرض لا أجر فيه ولكنه يحط السيئات، ويحتها

(1) جمع دهقان زعيم الفلاحين في العجم. والأنبار من بلاد العراق. وترجلوا ي نزلوا عن خيولهم مشاة. واشتدوا: أسرعوا.

(2) تشقون - بضم الشين وتشديد القاف - من المشقة. وتشقون الثانية - بسكون الشين-: من الشقاوة. والدعة - بفتحات-: الراحة.

(3) العجب: بضم فسكون. ومن أعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له أنيس فهو في وحشة دائماً.

(4) أحوج حال من الكاف في عنك.

(5) التافه: القليل.

(6) كمن ينقطع للصلاة والذكر ويفر من الجهاد.

حت الأوراق[1]. وإنما الأجر في القول باللسان والعمل بالأيدي والأقدام. وإن الله سبحانه يدخل بصدق النية والسريرة الصالحة من يشاء من عباده الجنة.

* وقال في خباب: يرحم الله خباب بن الأرت فلقد أسلم راغباً، وهاجر طائعًا، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله وعاش مجاهداً.

* طوبى لمن ذكر المعاد، وعمل للحساب، وقنع بالكفاف، ورضي عن الله.

* لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني[2]. ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني. وذلك أنه قضي فانقضي على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله أنه قال: "يا علي لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق.

* سيئة تسوءك خير عند الله من حسنة تعجبك[3].

* قدر الرجل على قدر همته. وصدقه على قدر مروءته وشجاعته على قدر أنفته. وعفته على قدر غيرته.

* الظفر بالحزم. والحزم بإجالة الرأي. والرأي بتحصين الأسرار.

* إحذروا صولة الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع.

* قلوب الرجال وحشية فمن تألفها أقبلت عليه.

* عيبك مستور ما أسعدك جدك[4].

* أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة.

(1) حت الورق عن الشجرة: قشره. والصبر على العلة رجوع إلى الله واستسلام لقدره. وفي ذلك خروج إليه من جميع السيئات توبة منها، لهذا كان يحت الذنوب. أما الأجر فلا يكون إلا على عمل بعد النوبة.

(2) الخيشوم: أصل الأنف. والجمات: جمع جمة - بفتح الجيم - هو من السقينة مجتمع الماء المترشح من ألواحها، أي لو كفأت عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها.

(3) لأن الحسنة المعجبة ربما جر الإعجاب بها إلى سيئات. والسيئة المسيئة ربما بعث الكدر منها إلى حسنات.

(4) الجد - بالفتح-: الحظ أي ما دامت الدنيا مقبلة عليك.

* السخاء ما كان ابتداء، فأما ما كان عن مسألة فحياءٌ تذمم[1].

* لا غنى كالعقل. ولا فقر كالجهل. ولا ميراث كالأدب ولا ظهير كالمشاورة.

* الصبر صبران: صبر على ما تكره، وصبر عما تحب.

* الغني في الغربة وطن. والفقر في الوطن غربة.

* القناعة مال لا ينفد.

* إذا حييت بتحية فحيِّ بأحسن منها، وإذ أسديت إليك يد فكافئها بما يربى عليها، والفضل مع ذلك للبادئ.

* المال مادة الشهوات.

* من حذرك كمن بشرك.

* اللسان سبع إن خُلِّي عنه عقر.

* الشَّفيع جناح الطالب.

* أهل الدنيا كوكب يسار بهم وهم نيام.

* فقد الأحبة غربة.

* فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.

* لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه.

* العفاف زينة الفقر.

* إذا لم يكن ما تريد فلا تُبَلْ ما كنت[2].

* لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً.

* إذا تم العقل نقص الكلام

---

(1) التذمم: الغرار من الذم، كالتآثم والتحرج.

(2) إذا كان لك مرام لم تنله فاذهب في طلبه كل مذهب ولا تبال أن حقروك أو عظموك، فإن محط السير الغاية وما دونها فداء لها. وقد يكون المعنى إذا عجزت عن مرادك فارض بأي حال، على رأي القائل.

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ما تستطيع

* الدهر يخلق الأبدان[1]، ويجدد الآمال، ويقرب المنية، ويباعد الأمنية، من ظفر به نصب، ومن فاته تعب.

* من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره. وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم.

* نفس المرء خطاه إلى أجله[2].

* كل معدود منقضٍ وكل متوقع آت.

* إن الأمور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأولها[3].

* ومن خبر ضرار بن ضمرة الضبابي عند دخوله على معاوية ومسألته. له عن أمير المؤمنين، قال: فأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه. وقد أرخى الليل سدوله، وهو قائم في محرابه[4] قابض على لحيته، يتململ تململ السليم[5]، ويبكي بكاء الحزين ويقول:

يا دنيا إليك عني، أبي تعرضت، أم إلَّي تشوقت. لا حان حينك[6] هيهات غُرِّي غيري. لا حاجة لي فيك. قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها. فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير آه من قلة الزاد، وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد[7].

* ومن كلام له للسائل لما سأله أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر حيث قال له: ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً وقدراً حاتماً. ولو كان كذلك لبطل الثواب

---

(1) أي يبليها. ونصب - من باب تعب-: أعيى. ومن ظفر بالدهر لزمته حقوق وحفت به شؤون يعيبه ويعجزه مراعتها وأداؤها، هذا إلى ما يتجدد له من الآمال التي لا نهاية لها وكلها تحتاج إلى طلب ونصب.

(2) كأن كل نفس يتنفسه الإنسان خطوة يقطعها إلى الأجل.

(3) أي يقاس آخرها على أولها فعلى حسب البدايات تكون النهايات.

(4) سدوله: حجب ظلامه.

(5) السليم: الملدوغ من حية ونحوها.

(6) تعرض به - كتعرضه-: قصداه وطلبه. ولا حان حينك: لا جاء وقت وصولك لقلبي وتمكن حبك منه.

(7)المورد: موقف الورود على الله في الحساب.

والعقاب، وسقط الوعد والوعيد[1]. إن الله سبحانه أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً. ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكرهاً، ولم يرسل الأنبياء لعباً، ولم تنزل الكتب للعباد عبثاً، ولا خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً "ذلك ضن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار".

* خذ الحكمة أنى كانت، فإن الحكمة تكون في صدر المنافق فتلجلج في صدره[2] حتى تخرج فتسكن إلى صواحبها في صدر المؤمن.

* الحكمة ضاله المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق.

* قيمة كل امرئ ما يحسنه .

* أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل[3] لكانت لذلك أهلاً. لا يرجون أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه ولا يستحين أحد إذا سئل عماً لا يعلم أن يقول لا أعلم. ولا يستحين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه. وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه.

* لرجل أفرط في الثناء عليه وكان له متهماً: أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك.

* بقية السيف أبقى عدداً وأكثر ولداً[4].

---

(1) القضاء: علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها في أوضاعها. والقدر إيجاده لها عند وجود أسبابها، ولا شيء منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله. فالعبد وما يجد من نفسه من باعث على الخير والشر، ولا يجد شخص إلا أن اختياره دافعه إلى ما يعمل، والله يعلمه فاعلا باختياره إما شقيا به وإما سعيداً. والدليل ما ذكره الإمام.

(2) تلجلج أي تتحرك.

(3) الآباط: جمع ابط. وضرب الآبط كناية عن شد الرحال وحث المسير.

(4) بقية السيف هم الذين يبقون بعد الدين قتلوا في حفظ شرفهم ودفع الضيم عنهم، وفضلوا الموت على الذل، فيكون الباقون شرفاء نجداء، فعددهم أبقى وولدهم يكون أكثر، بخلاف الأذلاء فإن مصيرهم إلى المحو والفناء.

* من ترك قول لا أدري أصيبت مقاتله[1].

* رأي الشيخ أحب إلى من جلد الغلام[2] (وروى من مشهد الغلام).

* عجبت لمن يقنط ومعه الاستغفار[3].

* وحكى عنه أبو جعفر محمد بن على الباقر أنه قال:

كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به. أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأما الأمان الباقي فالاستغفار قال الله تعالى: ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ﴾

* من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه. ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

* الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤيسهم من روح الله[4]، ولم يؤمنهم من مكر الله.

* إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكم[5].

* أوضع العلم ما وقف على اللسان[6]، وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان.

* لا يقولن أحد كم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة لأنه ليس أحد إلا وهو مشتمل

---

(1) مواضع قتله، لأن من قال ما لا يعلم عرف بالجهل، ومن عرفه الناس بالجهل مقتوه فحرم خيره كله فهلك.

(2) جلد الغلام: صبره على القتال. ومشهده: إيقاعه بالأعداء. والرأي في الحرب أشد فعلا في الأقدام.

(3) أي التوبة.

(4) روح الله: لطفه ورأفته، وهو بالفتح. ومكر الله: أخذه للعبد بالعقاب من حيث لا يشعر. فالفقيه هو الفاتح للقلوب بابي الخوف والرجاء.

(5) طرائف الحكم: غرائبها لتبسط إليها القلوب كما تنبسط الأبدان لغرائب المناظر.

(6) أوضع العلم أي أدنه ما وقف على اللسان ولم يظهر أثره في الأخلاق والأعمال. وأركان البدن أعضاؤه الرئيسة كالقلب والمخ.

على فتنة، ولكن من استعاذ فليستعذ من مضلات الفتن ، فإن الله سبحانه يقول : "واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة" . ومعنى ذلك أنه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبين الساخط لرزقه والراضي بقسمه ، وإن كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم ، ولكن لتظهر الافعال التي بها يستحق الثواب والعقاب ، لأن بعضهم يحب الذكور ويكره الإناث ، وبعضهم يحب تثمير المال ويكره انثلام الحال . وسئل عن الخير ما هو؟ فقال : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ، ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك ، وأن تباهي الناس بعبادة ربك، فإن أحسنت حمدت الله ، وإن أسأت استغفرت الله . ولا خير في الدنيا إلا لرجلين : رجل أذنب ذنوباً فهو يتداركها بالتوبة، ورجل يسارع في الخيرات.

* لا يقل عملٌ مع التقوى . وكيف يقل ما يُتَقَبَّلُ

* إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به . ثم تلا "إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا".

(ثم قال): إن ولي محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته[1]، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته.

* (وقد سمع رجلاً من الحرورية[2] يتهجد ويقرأ فقال): نوم على يقين خير من صلاة في شك.

* إعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل رعاية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل.

(وسمع رجلاً يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال علي): إن قولنا: إنا لله إقرارٌ على أنفسنا بالملك. وقولنا: إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهلك[3].

(ومدحه قوم في وجهه فقال): اللهم إنك اعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي

(1) لحمته - بالضم - أي نسبه.

(2) الحرورية - بفتح الحاء-: الخوارج الذين خرجوا عليه بحر وراء. ويتهجد أي يصلى بالليل.

(3) الهلك - بالضم -: الهلاك.

منهم، اللهم اجعلنا خيراً مما يظنون، واغفر لنا ما لا يعلمون .

* لا يستقيم قضاء الحوائج إلا بثلاث : باستصغارها لتعظم وباستكتامها لتظهر ، وبتعجيلها لتهنؤ.

* يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه إلا الملاحل[1]، ولا يظرف فيه إلا الفاجر، ولا يضعف فيه إلا المنصف. يعدون الصدقة فيه غرماً. وصلة الرحم منا. والعبادة استطالة على الناس. فعند ذلك يكون السلطان بمشورة النساء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان.

* (ورؤى عليه إزار خلق مرقوع فقيل له في ذلك فقال): يخشع له القلب، وتذل به النفس، ويقتدي به المؤمنون.

* إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسبيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها أبغض الآخرة وعاداها. وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما، كلما قرب من واحد بعد من الآخر، وهما بعد ضرتان

(وعن نوف البكالى قال رأيت أمير المؤمنين علي ذات ليلة وقد خرج من فراشه فنظر في النجوم، فقال لي يا نوف: أراقد أنت أم رامق؟ فقلت بل رامق يا أمير المؤمنين[2]، قال يا نوف): طوبى للزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة. أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشا، وماءها طيباً، والقرآن شعاراً[3]، والدعاء دثاراً. ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح.

يا نوف إن داود عليه السلام قام في مثل هذه الساعة من الليل فقال: إنها ساعة

(1) الملحل: الساعي في الناس بالوشاية عند السلطان. ولا يظرف أي لا يعد ظريفاً. ولا يضعف أي لا يعد ضعيف. والغرم - بالضم-: الغرامة. والمن: ذكرك النعمة على غيرك مظهراً بها الكرامة عليه. والاستطالة على الناس: التفوق عليهم والتزيد عليهم في الفضل.

(2) أراد بالرامق منتبه العين في مقابلة الراقد بمعنى النائم، يقال رمقه إذا لحظه لحظا خفيفا.

(3) شعاراً يقرأونه سراً للاعتبار بمواعظه والتفكر في دقائقه. والدعاء دثاراً يجهرون به إظهاراً للذلة والخضوع لله. وأصل الشعار ما يلي البدن من الثياب. والدثار ما علا منها. وقرضوا الدنيا: مزقوها كما يمزق الثوب بالقراض على طريقة المسيح في الزهادة.

لا يدعو فيها عبد إلا استجيب له إلا أن يكون عشاراً[1] أو عريفاً أو شرطياً أو صاحب عرطبة - وهي الطنبور - أو صاحب كوبة - وهي الطبل-. (وقد قيل أيضاً: إن العرطبة الطبل، والكوبة الطنبور[2].

* إن الله افترض عليكم الفرائض فلا تضيعوها، وحد لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها[3] وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها.

* لا يترك الناس شيئاً من أمر دينهم لاستصلاح دنياهم إلا فتح عليهم ما هو أضر منه.

* رب عالم قد قتله جهله[4] وعلمه معه لا ينفعه.

* لقد علق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه[5] وذلك القلب. وله مواد من الحكمة وأضداد من خلافها. فإن سنح له الرجاء[6] أذله الطمع. وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص. وإن ملكه اليأس قتله الأسف. وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ وإن أسعده الرضى نسي التحفظ[7]. وإن ناله الخوف شغله الحذر.

وإن اتسع له الأمن استلبته الغرة[8]. وإن أفاد مالاً أطغاه الغنى. وإن أصابته

(1) العشار من يتولى أخذ أعشار الأموال وهو المكاس. والعريف من يتجسس على أحوال الناس وأسرارهم فيكشفها لأميرهم مثلا. والشرطي - بضم فسكون - نسبة إلى الشرطة واحد الشرط كرطب وهم أعوان الحاكم.

(2) الكوبة - بالضم: الطبل الصغير، وهو المعروف بالدربكة.

(3) أي لا تنتهكوا نهيه عنها باتيانها. والانتهاك: الإهانه والإضعاف. ولا تتكلفوا أي لا تكلفوا أنفسكم بها بعد ما سكت الله عنها.

(4) وهذا هو العالم الذي يحفظ ولا يدري، أو يعلم ولا يعمل، أو ينقل ولا بصيرة له.

(5) النياط - ككتاب-: عرق معلق به القلب.

(6) سنح له: بدا وظهر.

(7) التحفظ هو التوقي والتحرز من المضرات.

(8) الغرة بالكسر الغفلة. واستلبته أي سلبته وذهبت به عن وشله. وأفاد المال: استفاده. الفاقة الفقر.

مصيبة فضحه الجزع. وإن أفرط به الشبع كظته البطنة[1] فكل تقصير به مضر وكل إفراط له مفسد.

* نحن النمرقة الوسطى[2] بها يلحق التالي، وإليها يرجع الغالي.

* لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع[3] ولا يضارع ولا يتبع المطامع.

* (وقد توفى سهل بن حنيف الأنصاري بالكوفة بعد مرجعه معه من صفين وكان من أحب الناس إليه) لو أحبني جبل لتهافت[4] (معنى ذلك أن المحنة تغلظ عليه فتسرع المصائب إليه، ولا يفعل ذلك إلا بالأتقياء الأبرار والمصطفين الأخيار، وهذا مثل قوله كرم الله وجهه: من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً وقد يؤول ذلك على معنى آخر[5] ليس هذا موضع ذكره).

* لا مال أعود من العقل[6]. ولا وحدة أوحش من العجب. ولا عقل كالتدبير. ولا كرم كالتقوى. ولا قرين كحسن الخلق. ولا ميراث كالأدب. ولا قائد كالتوفيق. ولا تجارة كالعمل الصالح. ولا ربح كالثواب. ولا ورع كالوقوف عند الشبهة. ولا زهد كالزهد في الحرام. ولا علم كالتفكر. ولا عبادة كأداء الفرائض. ولا إيمان كالحياء والصبر. ولا حسب كالتواضع. ولا شرف كالعلم ولا مظاهره أوثق من المشاورة.

*إذا استولى الصلاح على الزمان وأهله ثم أساء رجل الظن برجل لم تظهر منه

(1) كظته أي كربته وآلمته. والبطنة-بالكسر-: امتلاء البطن حتى يضيق النفس: التخمة.

(2) النمرقة- بضم فسكون فضم ففتح-: الوسادة، وآل البيت أشبه بها للاستناد إليهم في أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء. ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها، فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة ما بجانبه. وآل البيت على الصراط الوسط العدل، يلحق بهم من قصر ويرجع إليهم من غلا وتجاوز.

(3) لا يصانع أي لا يداري في الحق. والمضارعة: المشابهة. والمعنى أنه لا يشتبه في عمله بالمبطلين. واتباع المطامع الميل معها وإن ضاع الحق.

(4) تهافت: تساقط بعد ما تصدع.

(5) هو أن من أحبهم فليخلص لله حبهم فليست الدنيا تطلب عندهم.

(6) أعود: أنفع.

خزية[1] فقد ظلم. وإذا استولى الفساد على الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر.

* وقيل له: كيف نجدك يا أمير المؤمنين، فقال كيف يكون من يفنى ببقائه[2]، ويسقم بصحته، ويؤتي من مأمنه وقال : كم من مستدرج بالإحسان إليه[3]، ومغرور بالستر عليه. ومفتون بحسن القول فيه. وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له هلك فيّ رجلان محب غال[4] ومبغض قال

إضاعة الفرصة غصة

مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها والسم الناقع في جوفها. يهوى إليها الغر الجاهل ويحذرها ذو اللب العاقل

(وسئل : عن قريش فقال): أما بنو مخزوم فريحانة قريش تحب حديث رجالهم والنكاح في نسائهم. وأما بنو عبد شمس[5] فأبعدها رأياً وأمنعها لما وراء ظهورها. وأما نحن فأبذل لما في أيدينا، وأسمح عند الموت بنفوسنا. وهم أكثر وأمكر وأنكر. ونحن أفصح وأنصح وأصبح.

شتان ما بين عملين[6]. عملٍ تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤونته ويبقى أجره.

(1) الخزية - بفتح فسكون-: البلية تصيب الإنسان فتذله وتفضحه. وغرر أي أوقع بنفسه في الغرر أي الخطر.

(2) كلما طال عمره وهو البقاء تقدم إلى الفناء، وكلما مدت عليه الصحة تقرب من مرض الهرم. وسقم - كفرح-: مرض. ويأتينه الموت من مأمنه أي الجهة التي يأمن إتيانه منها، فإن أسبابه كامنة في نفس البدن.

(3) استدرجه الله تابع نعمته عليه وهو مقيم في عصيانه إبلاغا للحجة وإقامة للمعذرة في آخذه. والإملاء له: الإمهال.

(4) الغالي: المتجاوز الحد في حبه بسبب غيره أو دعوى حلول اللاهوت فيه أو نحو ذلك. والقالي: المبغض الشديد البغض.

(5) ومنهم بنو أمية أي وهم أي بنو عبد شمس أكثر الخ ونحن أي بنو هاشم.

(6) الأول عمل في شهوات النفس والثاني عمل في طاعة الله.

(وتبع جنازة فسمع رجلاً يضحك فقال) كأن الموت فيها على غيرنا كتب. وكأن الحق فيها على غيرنا وجب. وكأن الذي نرى من الأموات سفر[1] عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم ثم قد نسينا كل واعظ وواعظة ورمينا بكل جائحة[2].

وقال: طوبى لمن ذل في نفسه وطاب كسبه وصلحت سريرته وحسنت خليقته[3] وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه، وعزل عن الناس شره، ووسعته ألسنة، ولم ينسب إلى البدعة .

وقال: غيرة المرأة كفر[4] وغيرة الرجل إيمان.

وقال: لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي. الإسلام هو التسليم. والتسليم هو اليقين. واليقين هو التصديق. والتصديق هو الإقرار. والإقرار هو الأداء. والأداء هو العمل الصالح.

وقال: عجبت للبخيل يستعجل الفقر[5] الذي منه هرب، ويفوته الغنى الذي إياه طلب. فيعيش في الدنيا عيش الفقراء. ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء. وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة. وعجبت لمن شك في الله وهو يرى خلق الله. وعجبت لمن نسي الموت وهو يرى الموتى وعجبت لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى. وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء.

(1) سفر أي مسافرون. ونبوئهم أي ننزلهم في أجداثهم أي قبورهم. والتراث أي الميراث.

(2) الجائحة: الآفة تهلك الأصل والفرع.

(3) الخليقة: الخلق والطبيعة.

(4) أي تؤدي إلى الكفر فإنها تحرم على الرجل ما أحل الله له من زواج متعددات، أما غيرة الرجل فتحريم لما حرمه الله وهو الزنا.

(5) الفقر ما قصر بك عن درك حاجاتك. والبخيل تكون له الحاجة فلا يقضيها ويكون عليه الحق فلا يؤديه، فحاله حال الفقراء يحتمل ما يحتملون، فقد استعجل بالفقر وهو يهرب منه بجمع المال.

* وقال: من قصر في العمل ابتلى بالهمم[1] ولا حاجة لله فيمن ليس لله من ماله ونفسه نصيب.

* وقال: توقوا البرد في أوله، وتلقوه في آخره فإنه يفعل في الأبدان كفعله في الأشجار. أوله يحرق وآخره يورق[2].

* وقال: عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك

* وقال: وقد رجع من صفين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة يا أهل الديار الموحشة[3] والمحال المقفرة، والقبور المظلمة. يا أهل التربة. يا أهل الغربة، يا أهل الوحدة يا أهل الوحشة أنتم لنا فرط سابق[4] ونحن لكم تبع لاحق. أما الدور فقد سكنت[5]. وأما الأزواج فقد نكحت. وأما الأموال فقد قسمت. هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ (ثم ألتفت إلى أصحابه فقال): أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى.

* (وقال وقد سمع رجلاً يذم الدنيا): أيها الذام للدنيا المغتر بغرورها، المخدوع بأباطيلها ثم تذمها. أتغتر بالدنيا ثم تذمها. أنت المتجرم عليها[6] أم هي المتجرمة

(1) الهم هم الخسرة على فوات ثمراته: ومن لم يجعل لله نصيبه في ماله بالبذل في سبيله ولا روحه باحتمال التعب في إعزاز دينه فلا يكون له رجاء في فضل الله فإنه لا يكون في الحقيقة عبد لله بل عند نفسه والشيطان.

(2) ولأنه في أوله يأتي على عهد من الأبدان بالحر فيؤذيها، أما في آخره فيمسها بعد تعودها عليه وهو إذ ذاك أخف.

(3) الوحشة: الموجبة للوحشة ضد الأنس. والمحال: جمع محل أي الأماكن المقفرة من أقفر المكان إذا لم يكن به ساكن ولا نابت.

(4) الفرط - بالتحريك-: المتقدم إلى الماء للواحد والجمع. والكلام هنا على الإطلاق أي المتقدمون. والتتع - بالتحريك - أيضاً التابع.

(5) أي أن دياركم سكنها غيركم، ونساؤكم تزوجت، وأموالكم قسمت، فهذه أخبارنا إليكم.

(6) تجرم عليه: أدعى عليه الجرم بالضم أي الذنب.

عليك؟ متى استهوتك[1] أم متى غرتك؟ أ بمصارع آبائك من البلى[2]؟ أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بكفيك[3].وكم مرضت بيديك.

تبغي لهم الشفاء[4] وتستوصف لهم الأطباء. لم ينفع أحدهم إشفاقك[5] ولم تسعف فيه بطلبتك. ولم تدفع عنهم بقوتك. قد مثلت لك به الدنيا نفسك[6] وبمصرعه مصرعك. إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها[7]، ودار موعظة لمن أتعظ بها. مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله. اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة. فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها[8]، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء، وشوقتهم بسرورها إلى السرور راحت بعافية[9] وابتكرت بفجيعة. ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذمها رجال غداة الندامة[10]، وحمدها آخرون يوم القيامة. ذكرتهم الدنيا فتذكروا، وحدثتهم فصدقوا، ووعظتهم فاتعظوا

(1) استهواه ذهب بعقله وأذله فحيره.

(2) البلى - بكسر الباء-: الفناء بالتحلل. والمصرع: مكان الانصراع أي السقوط أي أماكن سقوط آبائك من الفناء. والثرى: التراب.

(3) علل المريض: خدمة في علته. كمرضه: خدمة في مرضه.

(4) الضمير في لهم يعود على الكثير المفهوم من كم. واستوصف الطبيب: طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء.

(5) اشفاقك: خوفك. والطلبة - بالكسر-: المطلوب: وأسعفه بمطلوبة: أعطاه إياه على ضرورة إليه.

(6) أي أن الدنيا جعلت الهالك قبلك مثالا لنفسك تقيسها عليه.

(7) أي أخذ منها زاده للآخرة.

(8) آذنت: بمد الهمزة - أي أعلمت أهلها ببينها أي ببعدها وزوالها عنهم. ونعاه إذا أخبر بفقده. والدنيا أخبرت بفنائها وفناء أهلها بما ظهر من أحوالها.

(9) راح إليه: وافاه وقت العشي، أي أنها تمشي بعافية وتبتكر أي تصبح بفجيعة أي بمصيبة فاجعة.

(10) أي ذموها عند ما أصبحوا نادمين على ما فرطوا فيها أما الذين حمدوها فهم الذين عملوا فجنوا ثمره أعمالهم ذكرتهم بحوادثها فانتبهوا لما يجب عليهم. وكأنها بتقلبها تحدثهم بما فيه العبرة وتحكي لهم ما به العظة.

* إن لله ملكًا ينادي في كل يوم: لدوا للموت[1]، واجمعوا للفناء، وابنو للخراب.

* وقال: الدنيا دار ممر إلى دار مقر. والناس فيها رجلان: رجل باع فيها نفسه فأوبقها[2]، ورجل ابتاع نفسه فأعتقها.

* وقال: لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث[3] في نكبته، وغيبته ووفاته.

* وقال: من أعطى أربعاً لم يحرم أربعاً: من أعطى الدعاء لم يحرم الإجابة[4] ومن أعطى التوبة لم يحرم القبول، ومن أعطى الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أعطى الشكر لم يحرم الزيادة وتصديق ذلك كتاب الله تعالى قال الله تعالى في الدعاء "ادعوني استجب لكم" وقال في الاستغفار "ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً" وقال في الشكر "لئن شكرتم لأزيدنكم" وقال في التوبة "إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون".

* وقال: الصلاة قربان كل تقي. والحج جهاد كل ضعيف، ولكل شيء زكاة وزكاة البدن الصيام، وجهاد المرأة حسن التبعل[5].

* وقال: استنزلوا الرزق بالصدقة.

* وقال: من أيقن بالخلف جاد بالعطية.

* وقال: تنزل المعونة على قدر المؤونة.

---

(1) أمر من الولادة.

(2) باع نفسه لهواه وشهواته فأوبقها أي أهلكها. وابتاع نفسه أي اشتراها وخلصها من أسر الشهوات.

(3) أي لا يضيع شيئاً من حقوقه في الأحوال الثلاثة.

(4) المراد بالدعاء الجاب ما كان مقرونا باستعداد بأن يصحبه العمل لنيل المطلوب. والتوبة والاستغفار ما كانا ندما على الذنب يمنع من العود إليه. والشكر تصريف النعم في وجوهها المشروعة.

(5) التبعل إطاعة الزوج.

* وقال: ما أعال من اقتصد[1]

* وقال: وقلة العيال أحد اليسارين والتودد نصف العقل.

* وقال" الهم نصف الهرم.

* وقال: ينزل الصبر على قدر المصيبة. ومن ضرب يده على فخذه عند مصيبته حبط عمله[2].

وقال: كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ. وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر والعناء. حبذا نوم الأكياس وإفطارهم[3].

* وقال: سوسوا إيمانكم بالصدقة[4]، وحصنوا أموالكم بالزكاة وأدفعوا أمواج البلاء بالدعاء.

* (وقال كميل بن زياد: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فأخرجني إلى الجبان[5]، فلما أصحر تنفس الصعداء ثم قال): يا كميل إن هذه القلوب أوعية[6] فخيرها أوعاها. فاحفظ عنى ما أقول لك.

الناس ثلاثة: فعالم رباني[7] ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق.

---

(1) من اقتصد أي أنفق في غير أسراف، فلا يعول على وزن يكرم أي لا يفتقر. وفي نسخة عال بلا همز، ومعناه ما جار عن الحق من أخذ بالاقتصاد.

(2) أي حرم من ثواب أعماله فكأنها بطلت.

(3) الأكياس: جمع كيس - بتشديد الياء - أي العقلاء العارفون يكون نومهم وفطرهم أفضل من صوم الحمقى وقيامهم.

(4) السياسة حفظ الشيء بما يحوطه من غيره، فسياسة العرية حفظ نظامها بقوة الرأي والأخذ بالحدود، والصدقة تستحفظ الشفقة، والشفقة تزيد الإيمان وتذكر الله. والزكاة أداء حق الله من المال، وأداء الحق حصن النعمة.

(5) الجبان - كالجبانة-: المقبرة. وأصحر أي صار في الصحراء.

(6) أوعية: جمع وعاء. وأوعاها أحفظها.

(7) العالم الرباني هو المتأله العارف بالله. والمتعلم عن طريق النجاة إذا أتم علمه نجا. والهمج - محركة-: الحمقى من الناس. والرعاع - كسحاب-: الأحداث الطغام الذين لا منزلة لهم في الناس. والناعق مجاز عن الداعي إلى الباطل أو حق.

يا كميل العلم خير من المال. والعلم يحرسك وأنت تحرس المال. المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق، وصنيع المال يزول بزواله[1].

يا كميل العلم دين يدان به. به يكسب الإنسان الطاعة في حياته، وجميل الأحدوثة بعد وفاته. والعلم حاكم والمال محكوم عليه.

يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر. أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة. ها، إن ههنا لعلماً جماً (وأشار إلى صدره) لو أصبت له حملةً[2]، بلى أصبت لقناً غير مأمون عليه[3]، مستعملاً آلة الدين للدنيا، ومستظهراً بنعم الله على عباده، وبحججه على أوليائه، أو منقاداً لحملة الحق[4] لا بصيره له في أحنائه، ينقدح الشك في قلبه لأول عارض من شبهةٍ. ألا لاذا ولا ذاك[5]، أو منهوماً باللذة[6] سلس القياد للشهوة، أو مغرماً بالجمع والإدخار ليسا من رعاة الدين في شيء. أقرب شيء شبهاً بهما الأنعام السائمة، كذلك يموت العلم بموت حامليه.

---

(1) من كان صنيعا لك متحبباً إليك لما لك زال ما تراه منه بزوال مالك، أما صنيع العلم فيبقى ما بقي العلم، فإنما العالم في قومه كالنبي في أمته، فالعلم أشبه شيء بالدين - بكسر الدال- يوجب على المتدينين طاعة صاحبه في حياته والثناء عليه بعد موته.

(2) الحملة - بالتحريك -: جمع حامل. وأصبت بمعنى وجدت، أي لو وجدت له حاملين أبرزته وبثثته.

(3) اللقن- بفتح فكسر-: من يفهم بسرعة، إلا أن العلم لا يطبع أخلاقه على الفضائل، فهو يستعمل وسائل الدين لجلب الدنيا، ويستعين بنعم الله على إيذاء عباده.

(4) المنقاد لحاملي الحق هو المقلد في القول والعمل ولا بصيرة له في دقائق الحق وخفاياه، فذاك يسرع الشك إلى قلبه لأقل شبهة.

(5) لا يصلح لحمل العلم واجد منهما.

(6) المنهوم: المفرط في شهوة الطعام. وسلس القياد: سهله. والمغرم بالجمع: المولع بكسب المال واكتنازه، وهذان ليسا ممن يرعى الدين في شيء. والأنعام أي البهائم السائمة أقرب شبهاً بهذين، فهما أحط درجة من راعية البهائم لأنها لم تسقط عن منزلة أعدتها لها الفطرة، أما هما فقد سقطا واختارا الأدنى على الأعلى.

اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة. إما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً[1] لئلا تبطل حجج الله وبيناته. وكم ذا[2]؟ وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عدداً والأعظمون قدراً. يحفظ الله بهم حجه وبيناته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلانوا ما استوعره المترفون[3]، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى. أولئك خلفاء الله في أرضه والدعاة إلى دينه. آه آه شوقاً إلى رؤيتهم.

* وقال: المرء مخبوء تحت لسانه[4]

* وقال: هلك امرؤ لم يعرف قدره.

* وقال: (لرجل سأله أن يعظه): لا تكن ممن يرجوا الآخرة بغير العمل، ويرجى التوبة[5] بطول الأمل. يقول في الدنيا بقول الزاهدين، ويعمل فيها بعمل الراغبين. إن أعطى منها لم يشبع، وإن منع منها لم يقنع. يعجز عن شكر ما أوتى، ويبتغي الزيادة فيما بقي ينهى ولا ينتهي ويأمر بمالا يأتي يحب الصالحين ولا يعمل عملهم، ويبغض المذنبين وهو أحدهم يكره الموت لكثرة ذنوبه، ويقيم على ما يكره الموت له[6] إن سقم ظل نادماً[7]، وإن صح أمن لاهياً. يعجب بنفسه إذا عوفي ويقنط إذا ابتلى. إن أصابه بلاء دعا مضطراً وإن ناله رخاء اعترض مغتراً. تغلبه نفسه على ما تظن ولا يغلبها

---

(1) غمره الظلم حتى غطاه فهو لا يظهر.

(2) استفهام عن عدد القائمين لله بحجته، واستقلال له. وقوله وأين أولئك: استفهام عن أمكنتهم وتنبيه على خفائها.

(3) عدوا ما استخشنه المنعمون لينا وهو الزهد.

(4) إنما يظهر عقل المرء وفضله بما يصدر عن لسانه فكأنه قد خبئ تحت لسانه فإذا تحرك اللسان انكشف.

(5) يرجى بالتشديد أي يؤخر التوبة.

(6) الذي يكره الموت لأجله هو الذنوب. وأقام عليها: داوم على إتيانها.

(7) إن أصابه السقم لازم الندم على التفريط أيام الصحة، فإذا عادت له الصحة غره الأمن وغرق في اللهو.

على ما يستيقن[1]. يخاف على غيره بأدنى من ذنبه. ويرجو لنفسه بأكثر من عمله. إن استغنى بطر و فتن[2]، وإن افتقر قنط ووهن. يقصر إذا عمل، ويبالغ إذا سأل إن عرضت له شهوة أسلف المعصية[3] وسوف التوبة. وإن عرته محنة انفرج عن شرائط الملة[4]. يصف العبرة ولا يعتبر[5] ويبالغ في الموعظة ولا يتعظ. فهو بالقول مدل[6] ومن العمل مقل. ينافس فيما يفنى، ويسمح فيما يبقى. يرى الغنم مغرمًا[7]، والغرم مغنمً. يخشى الموت ولا يبادر الفوت[8]. يستعظم من معصية غيره ما يستقل أكثر منه من نفسه، ويستكثر من طاعته ما يحقر من طاعة غيره. فهو على الناس طاعن ولنفسه مداهن. اللغو مع الأغنياء أحب إليه من الذكر مع الفقراء. يحكم على غيره لنفسه ولا يحكم عليها لغيره، ويرشد غيره ويغوي نفسه. فهو يطاع ويعصى، ويستوفى ولا يوفى، ويخشى الخلق في غير ربه[9] ولا يخشى ربه في خلقه.

* وقال: لكل امرئ عاقبة حلوة أو مرة.

* وقال: لكل مقبل إدبار وما أدبر كأن لم يكن.

* وقال: لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان.

وقال: الراضي بفعل قوم كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل في باطل إثمان

(1) هو على يقين من أن السعادة في الزهادة والشرف في الفضيلة، ثم لا يقهر نفسه على اكتسابهما، وإذا ظن بل توهم لذة حاضرة أو منفعة عاجلة دفعته نفسه إليها وإن هلك.

(2) بطر - كفرح-: اغتر بالنعمة، والغرور فتنة، والقنوط: اليأس. والوهن: الضعف.

(3) أسلف: قدم. وسوف: أخر.

(4) شرائط الملة: الثبات والصبر واستعانة الله على الخلاص عند عرو المحن أي طروق البلايا. وانفرج عنها أي انخلع وبعد.

(5) العبرة-بالكسر-: تنبه النفس لما يصيب غيرها فتحترس من اتيان أسبابه.

(6) أدل على أقرانه: استعلى عليهم.

(7) الغنم-بالضم-: الغنيمة. والمغرم: الغرامة. والأعمال العظيمة غنيمة العقلاء. والشهوات خسارة الأعمار.

(8) الفوت فوات الفرصة وانقضاؤها. وبادره: عاجله قبل أن يذهب.

(9) أي يخشى الخلق فيعمل لغير الله خوفاً منه، ولكنه لا يخاف الله فيضر عباده ولا ينفع خلقه.

إثم العمل به وإثم الرضى به.

* وقال: اعتصموا بالذمم في أوتادها[1].

* وقال: عليكم بطاعة من لا تعذرون بجهالته[2].

* وقال: قد بصرتم إن أبصرتم[3]، وقد هديتم إن اهتديتم وأسمعتم إن استمعتم.

* وقال: عاتب أخاك بالإحسان إليه، واردد شره بالإنعام عليه.

* وقال: من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن

* وقال: من ملك استأثر[4]

* وقال: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها.

* وقال: من كتم سره كانت الخيرة بيده[5].

* وقال: الفقر الموت الأكبر.

* وقال: من قضى حق من لا يقضي حقه فقد عبده[6]

* وقال: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

* وقال: لا يعاب المرء بتأخير حقه[7] إنما يعاب من أخذ ما ليس له

(1) تحصنوا بالذمم أي العهود واعقدوها بأوتادها أي الرجال أهل النجدة الذين يوفون بها، وإياكم والركون لعهد من لا عهد له.

(2) أي عليكم بطاعة عاقل لا تكون له جهالة تعتذرون بها عند البراءة من عيب السقوط في مخاطر أعماله فيقل عذركم في اتباعه.

(3) كشف الله لكم عن الخير والشر فإن كانت لكم أبصار فأبصروا، وكذا يقال فيما بعده.

(4) استبد.

(5) مثلا لو أسر عزيمته فله الخيار في أنفاذها أو فسخها، بخلاف مالوا أفشاها فربما ألزمته البواعث على فعلها أو أخبرته العوائق التي تعرض له من افشائها على فسخها، وعلى هذا القياس.

(6) لأن العبادة خصوع لمن لا تطالبه بجزائه اعترافا بعظمته.

(7) المتسامح في حقه لا يعاب وإنما يعاب سالب حق غيره.

* وقال: الإعجاب يمنع من الازدياد[1].

* وقال: الأمر قريب[2]، والاصطحاب قليل

* وقال: قد أضاء الصبح لذي عينين

* وقال: ترك الذنب أهون من طلب التوبة

* وقال: كم من أكلة منعت أكلات[3]

* وقال: الناس أعداء ما جهلوا.

* وقال: من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ[4]

* وقال: من أحد سنان الغضب لله قوي على قتل أشداء الباطل[5]

* وقال: إذا هبت أمراً فقع فيه[6] فإن شدة توقيه أعظم مما تخاف منه

* وقال: آلة الرياسة سعة الصدر

* وقال: إزجر المسيء بثواب المحسن[7]

* وقال: احصد الشر من صدر غيرك بقلعة من صدرك

* وقال: اللجاجة تسل الرأي[8]

* وقال: الطمع رق مؤبد

* وقال: ثمرة التفريط الندامة، وثمرة الحزم السلامة.

* وقال: لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل.

(1) من أعجب بنفسه وثق بكمالها فلم يطلب لها الزيادة في الكمال فلا يزيد بل ينقص.

(2) أمر الآخرة قريب، والاصطحاب في الدنيا قصير الزمن قليل.

(3) رب شخص أكل مرة فأفرط فابتلى بالتخمة ومرض المعدة وامتنع عليه الأكل أياما.

(4) من طالب الآراء من وجوهها الصحيحة انكشف له موقع الخطأ فاحترس منه.

(5) أحد - بفتح الهمزة والحاء وتشديد الدان - أي شحذ. والسنان نصل الرمح، أي من اشتد غضبه له اقتدر على قهر أهل الباطل وإن كانوا أشداء.

(6) إذا تخوفت من أمر فادخل فيه فإن أمل الخوف منه أشد من مصيبة الوقوع فيه.

(7) إذا كافأت المحسن على إحسانه أقلع المسيء عن إساءته طلباً للمكافأة.

(8) اللجاجة: شدة الخصام تعصبا لا للحق، وهي تسل الرأي أي تذهب به وتنزعه.

* وقال: ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة[1].

* وقال: ما شككت في الحق مذ أريته

* وقال: ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي.

* وقال: للظالم البادي غداً بكفه عضة[2]

* وقال: الرحيل وشيك[3]

* وقال: من أبدى صفحته للحق هلك[4]

* وقال: من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع

* وقال: واعجباه أتكون الخلافة بالصحابة والقرابة. وروى له شعر في هذا المعنى:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم

فكيف بهذا والمشيرون غيب[5]

وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم[6]

فغيرك أولى بالنبي وأقرب

* وقال: إنما المرء في الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا[7]، وتهب تباده المصائب.

(1) لأن الحق واحد.

(2) يعض الظالم على يده ندما يوم القيامة.

(3) الرحيل من الدنيا إلى الآخرة قريب.

(4) من ظهر بمقاومة الحق هلك. وإبداء الصفحة: إظهار الوجه. وقد يكون المعنى من أعرض عن الحق. والصفحة تظهر عند الأعراض بالجانب.

(5) جمع غائب، يريد بالمشيرين أصحاب الرأي في الأمر وهم على وأصحابه من بني هاشم.

(6) يريد احتجاج أبي بكر رضي الله عنه علي الأنصار بأن المهاجرين شجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

(7) الغرض - بالتحريك-: ما ينصب ليصيبه الرامي، وتنتضل فيه أي تصيبه. وتثبت فيه المنايا جمع منية وهي الموت. والنهب- بفتح فسكون-: ما ينهب.

ومع كل جرعة شرق[1]، وفي كل أكلة غصص ولا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى، ولا يستقبل يوماً من عمره إلا بفراق آخر من أجله، فنحن أعوان المنون[2]، وأنفسنا نصب الحتوف فمن أين ترجو البقاء وهذا الليل والنهار لم يرفعا من شيء شرفاً[3] إلا أسرعا لكرة في هدم ما بنيا وتفريق ما جمعا.

(وكان يقول): متى أشفى غيظي إذا غضبت. أحين أعجز عن الانتقام فيقال لي لو صبرت، أم حين أقدر عليه فيقال لي لو عفوت[4].

* وقال (وقد مر بقذر على مزبلة): هذا ما بخل به البالخلون[5] (وروى في خبر آخر أنه قال): هذا ما كنتم تتنافسون فيه بالأمس

* وقال: لم يذهب من مالك ما وعظك[6]

* وقال: إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة

* وقال (لما سمع قول الخوارج لا حكم إلا لله): كلمة حق يراد بها باطل[7].

* وقال (في صفة الغوغاء):[8] هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا، وإذا تفرقوا لم يعرفوا: هم الذين إذا اجتمعوا ضروا، وإذا تفرقوا نفعوا (فقيل قد عرفنا مضرة

(1) اشرق بالتحريك وقوف الماء في الحلق، أي مع كل لذة ألم.

(2) المنون - بفتح الميم-: الموت وكلما تقدمنا في العمر تقر بنا منه، فنحن بمعيشتنا أعوانه على أنفسنا، وأنفسنا نصب الحتوف أي تجاهها. والحتوف: جمع حتف أي هلاك.

(3) الشرف المكان العالي. والمراد به هنا كل ما علا من مكان وغيره.

(4) لا يصح التشفي على أي حال، أما في حال العجز فالصبر أشفى، وأما عند القدرة فالعفو أجمل.

(5) تلك الأقذار هي لذائذ الأطعمة التي كان يبخل ببذلها البخلاء، وهي ما كان الناس يتنافسون فيه كل يطلبه.

(6) إذا أحدث فيك ضياع المال بصيرة وحذرا فما اكتسبته خير مما ضاع.

(7) فأنهم قصدوا بها الاحتجاج على خروجهم من طاعة الخليفة.

(8) الغوغاء- بغينين معجمتين-: مجموعة الناس يجتمعون على غير ترتيب، وهم يغلبون على ما اجتمعوا عليه، ولكنهم إذا تفرقوا لا يعرفهم أحد لانحطاط درجة كل منهم.

اجتماعهم فما منفعة افتراقهم؟ فقال): يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم فينتفع الناس بهم، كرجوع البناء إلى بنائه، والنساج إلى منسجه، والخباز إلى مخبزه(وأتى بجان ومعه غوغاء فقال): لا مرحباً بوجوه لأي ترى إلا عند ك سوأة.

وقال: إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه، فإذا جاء القدر خلياً بينه وبينه، وإن الأجل جنة حصينة.

* وقال (وقد قال له طلحة والزبير نبايعك على أنا شركاؤك في هذا الأمر): لا ولكنكما شريكان في القوة والاستعانة، وعونان على العجز والأود[1]

* وقال: أيها الناس اتقوا الله الذي إن قلتم سمع، وإن أضمرتم علم. وبادروا الموت الذي إن هربتم أدرككم، وإن أقمتم أخذكم، وإن نسيتموه ذكركم.

* وقال: لا يزهدنك في المعروف من لا يشكر لك، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع منه، وقد تدرك من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر، والله يحب المحسنين.

* وقال: كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع[2]

* وقال: أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل

* وقال: إن لم تكن حليماً فتحلم فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم.

* وقال: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمن، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم.

* وقال: لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها[3]. ولا عقيب ذلك "ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين".

(1) الأود- بفتح فسكون-: بلوغ الأمر من الإنسان مجهوده لشدته وصعوبة احتماله.

(2) وعاء العلم هو العقل، وهو يتسع بكثرة العلم.

(3) الشماس- بالكسر-: امتناع ظهر الفرس من الركوب. والضروس - بفتح فضم-: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها، أي أن الدنيا ستنقاد لنا بعد جموحها وتلين بعد خشونتها كما تنعطف الناقة على ولدها وإن أبت على الحالب.

* وقال: اتقوا الله تقية من شمر تجريداً، وجد تشميراً، وكمش في مهل[1]، وبادر عن وجل، ونظر في كرة المؤئل وعاقبة المصدر ومغبة المرجع.

* وقال: الجود حارس الأعراض. والحلم فدام السفيه[2]. والعفو زكاة الظفر. والسُّلُوُّ عوضك ممن غدر[3]. والاستشارة عين الهداية. وقد خاطر من استغنى برأيه. والصبر يناضل الحدثان[4]. والجزع من أعوان الزمان. وأشرف الغني ترك المنى[5]. وكم من عقل أسير تحت هوى أمير[6] ومن التوفيق حفظ التجربة. والمودة قرابة مستفادة. ولا تأمنن ملولاً[7].

* وقال: عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله[8]

---

(1) كمش - بتشديد الميم-: جد في السوق أي وبالغ في حث نفسه على المسير إلى الله لكن مع تمهل البصيرة. والوجل: الخوف. والمؤئل: مستقر السير، يريد به هنا ما ينتهي إليه الإنسان من سعادة وشقاء. وكرته: حملته واقباله. والمغبة- بفتح الميم والغين وتشديد الباء-: العاقبة أيضاً، إلا أنه يلاحظ فيها مجرد كونها بعد الأمر. أما العاقبة ففيها أنها مسببة عنه. والمصدر عملك الذي كون عنه ثوابك وعقابك. والمرجع ما ترجع إليه بعد الموت ويتبعه إما السعادة أو الشقاء.

(2) الفدام - ككتاب وسحاب، وتشدد الدال أيضاً مع الفتح-: شيء تشده العجم على أفواهها عند السقي، وإذا حلمت فكأنك ربطت فم السفيه بالفدام فمنعته عن الكلام.

(3) أي من غدرك فلك خلف عنه وهو أن تسلوه وتهجره كأنه لم يكن.

(4) الحدثان - بكسر فسكون-: نوائب الدهر. والصبر يناضلها أي يدافعها. والجزع- وهو شدة الفزع- بعين الزمان على الإضرار بصاحبه.

(5) المنى - بضم ففتح-: جمع منية وهي ما يتمناه الإنسان، وإذا لم تتمن شيئا فقد استغنيت عنه.

(6) كثير من الناس جعلوا أهواءهم مسلطة على عقولهم، فعقولهم أسرى تحت حكمها.

(7) الملول - بفتح الميم-: السريع الملل والسآمة، وهو لا يؤمن، إذ قد يمل عند حاجتك إليه فيفسد عليك عملك.

(8) العجب حجاب بين العقل وعيوب النفس، فإذا لم يدركها سقط بل أوغل فيها فيعود عليه بالنقص، فكأن العجب حاسد يحول بين العقل ونعمة الكمال.

* وقال: أغض على القذى والألم ترض أبداً[1]

* وقال: من لان عوده كثفت أغصانه[2]

* وقال: الخلاف يهدم الرأي.

* وقال: من نال استطال[3]

* وقال: في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال

* وقال: حسد الصديق من سقم المودة[4]

* وقال: كثر مصارع العقول تحت بروق المطامع

* وقال: ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن[5]

* وقال: بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد

* وقال: من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم[6]

* وقال: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه

* وقال: بكثرة الصمت تكون الهيبة، وبالنصفة يكثر المواصلون[7]، وبالإفضال تعظم الأقدار، وبالتواضع تتم النعمة، وبلحتمال المؤن يجب السودد[8]، وبالسيرة

---

(1) القذى: الشيء يسقط في العين. والأغضاء عليه كناية عن تحمل الأذى، ومن لم يتحمل يعش ساخطا لأن الحياة لا تخلو من أذى.

(2) يريد من لين العود طراوة الجثمان الإنساني ونضارته بحياة الفضل وماء الهمة. وكثافة الأغصان كثرة الآثار التي تصدر عنه كأنها فروعه، و يريد بها كثرة الأعوان.

(3) نال أي أعطى، يقال نلته - على وزن قلته-: أعطيته، وهذا مثل قولهم من جادسادفان الاستطالة الاستعلاء بالفضل.

(4) لولا ضعف المودة ما كان الحسد، وأول الصداقة انصراف النظر عن رؤية التفاوت.

(5) الواثق بظنه واهم فلا بد لمزيد العدل من طلب اليقين بموجب الحكم

(6) أي عدم التفاته لعيوب الناس وإشاعتها وأن علمها.

(7) النصعة بالتحريك الأنصاف، ومتى أنصف الإنسان كثر مواصلوه أي محبوه.

(8) المؤن بضم ففتح جمع مؤونة هي القوت أي أن السودد والشرف بلحتمال المؤنات عن الناس.

العادلة يقهر المناوي[1]، وبالحلم عن السفيه تكثر الأنصار عليه.

* وقال: العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد[2]

* وقال: الطامع في وثاق الذل

(وسئل عن الإيمان فقال): الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل الأركان.

* وقال: من أصبح على الدنيا حزيناً فقد أصبح لقضاء الله ساخطاً. ومن أصبح يشكو مصيبة نزلت به فقد أصبح يشكو ربه. ومن أتى غنيا فتواضع لغناه ذهب ثلثا دينه[3]. ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً. ومن لهج قلبه بحب الدنيا التاط قلبه منها بثلاث[4]: هم لا يغبه، وحرص لا يتركه، وأملٍ لا يدركه.

* وقال: كفى بالقناعة ملكاً، وبحسن الخلق نعيماً

* (وسئل عن قوله تعالى ﴿ فلنحيينه حياة طيبة ﴾ فقال): هي القناعة

* وقال: شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق فإنه أخلق للغني وأجدر بإقبال الحظ عليه[5].

* وقال: في قوله تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ : العدل الإنصاف، والإحسان التفضل

وقال: من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة .

---

(1) المناوى المخالف المعاند.

(2) أي من العجيب أن يحسد الحاسدون على المال والجاه مثلا ولا يحسدون الناس على سلامة أجسادهم مع أنها من أجل النعم.

(3) لأن استعظام المال ضعف في اليقين بالله، والخضوع أداء عمل لغير الله فلم يبق إلا الإقرار باللسان.

(4) التاط: التصق.

(5) أي إذا رأيتم شخصًا أقبل عليه الرزق فاشتركوا معه في عمله من تجارة أو زراعة أو غيرهما فإنه مظنة الربح.

وقال لابنه الحسن: لا تدعون إلى مبارزة[1] وإن دعيت إليها فأجب فإن الداعي باغ والباغي مصروع

* وقال: خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل[2] فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكن من نفسها. وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها. وإذا كانت جبانة فرقت[3] من كل شيء يعرض لها.

* (وقيل له: صف لنا العاقل) فقال : هو الذي يضع الشيء مواضعه (فقيل فصف لنا الجاه فقال): قد فعلت (يعني أن الجاهل هو الذي لا يضع الشيء مواضعه فكأن ترك صفته صفة له إذ كان بخلاف وصف العاقل).

* وقال: والله لدنياكم هذه أهون في عيني من عراق خنزير في يد مجذوم[4]

* وقال: إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار[5]، وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد[6]، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار[7].

وقال: المرأة شر كلها وشر ما فيها أنه لا بد منها

وقال: من أطاع التواني ضيع الحقوق، ومن أطاع الواشي ضيع الصديق

وقال: الحجر الغصيب في الدار رهن على خرابها[8].

---

(1) المبارزة: بروز كل للآخر ليقتتلا، ومصروع: مغلوب مطروح.

(2) الزهو - بالفتح-: الكبر. وزهى - كعنى-: مبنى للمجهول، أي تكبر، ومنه مزهوة أي متكبرة.

(3) فرقت - كفرحت - أي فزعت.

(4) العراق - بكسر العين - هو من الحشا ما فوق السرة معترضا البطن، والمجذوم المصاب بمرض الجذام، وما أقذر كرش الخنزير وأمعاءه إذا كانت في يد شوهها الجذام.

(5) لأنهم يعبدون لطلب عوض.

(6) لأنهم دلوا للخوف.

(7) لأنهم عرفوا حقاً عليهم فأدوه وتلك شيمة الأحرار.

(8) الغصيب أي المغصوب، أي أن الأغتصاب قاض بالحراب كما يقضي الرهن بأداء الدين المرهون عليه.

* وقال: يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم

* وقال: اتق الله بعض التقى وإن قل، واجعل بينك وبين الله ستراً وإن رق.

* وقال: إذا ازدحم الجواب خفى الصواب[1]

* وقال: إن لله في كل نعمة حقًا فمن أداه زاده منها، ومن قصر عنه خاطر بزوال نعمته.

* وقال: إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة[2]

* وقال: احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود[3]

* وقال: الكرم أعطف من الرحم[4]

* وقال: من ظن بك خيراً فصدق ظنه[5]

* وقال: أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه[6].

* وقال: عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحل العقود[7].

* وقال: مرارة الدنيا حلاوة الآخرة، وحلاوة الدنيا مرارة الآخرة[8]

---

(1) ازدحام الجواب تشابه المعاني حتى لا يدري أيها أوفق بالسؤال، وهو مما يوجب خفاء الصواب.

(2) فإن من ملك زهد.

(3) نفار النعم: نفورها، ونفورها بعدم أداء الحق منها فتزول.

(4) إن الكريم ينعطف للإحسان بكرمه أكثر مما ينعطف القريب لقرابته، وهي كلمة من أعلى الكلام.

(5) بعمل الخير الذي ظنه بك.

(6) وهو ما خالفت فيه الشهوة.

(7) العقود جمع عقد بمعنى النية تنعقد على فعل أمر. والعزائم جمع عزيمة، وفسخها نقضها. ولولا أن هناك قدرة سامية فوق إرادة البشر وهي قدرة الله لكان الإنسان كلما عزم على شيء أمضاه لكنه قد يعزم والله يفسخ الله لكان الإنسان كلما عزم على شيء أمضاه كنه قد يعزم والله يفسخ.

(8) حلاوة الدنيا باستيفاء اللذات، ومرارتها بالعفاف عنها. وفي الأول مرارة العذاب في الآخرة، وفي الثاني حلاوة الثواب فيها.

* وقال: فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك، والصلاة تنزيهاً عن الكبر، والزكاة تسبيباً للرزق، والصيام ابتلاءً لإخلاص الخلق، والحج تقربةً للدين[1]، والجهاد عزاً للإسلام، والأمر بالمعروف مصلحة للعوام، والنهي عن المنكر ردعاً للسفهاء، وصلة الرحم منماةً للعدد[2]، والقصاص حقناً للدماء، وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم وترك شرب الخمر تحصيناً للعقل، ومجانبة السرقة إيجاباً للعفة، وترك الزنا تحصيناً للنسب، وترك اللواط تكثيراً للنسل، والشهادة استظهاراً على الجاحدات[3]، وترك الكذب تشريفاً للصدق، والسلام أماناً من المخاوف، والأمانات نظاماً للأمة[4]، والطاعة تعظيماً للإمامة.

* (وكان يقول) أحلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنه برئ من حول الله وقوته، فإنه إذ حلف بها كاذباً عوجل العقوبة، وإذا حلف بالله الذي لا إله إلا هو لم يعاجل لأنه قد وحد الله تعالى

* وقال: يا ابن آدم كن وصي نفسك في مالك واعمل فيه ما تؤثر أن يعمل فيه من بعدك[5]

* وقال: الحدة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم.

* وقال: صحة الجسد من قلة الحسد.

---

(1) أي سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض إذ يجتمعون من جميع الأقطار من مقام واحد لغرض واحد، وفي نسخة تقويه فإن تجديد الألفة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوى الإسلام.

(2) فإنه إذا تواصل الأقرباء على كثرتهم كثر بهم عدد الأنصار.

(3) إنما فرضت الشهادة وهي الموت في نصر الحق ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جحوده.

(4) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال أدى كل عامل ما يجب عليه فتنظم شئون الأمة، أما لو كثرت الخيانات فقد فسدت الأعمال وكثر الإهمال فاختل النظام.

(5) أي اعمل من مالك وأنت حتى ما تؤثر أي تحب أن يعمل فيه خلفاؤك ولا حاجة أن تدخر ثم نوصى ورثتك أن يعملوا خيرا بعدك.

* وقال: يا كميل مر أهلك أن يروحوا في كسب المكارم. ويدلجوا في حاجة من هو نائم[1] فو الذي وسع سمعه الأصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً إلا وخلق الله له من ذلك السرور لطفاً، فإذا نزلت به نائبة جرى إليها[2] كالماء في انحداره حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الإبل

* وقال: إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة[3]

* وقال: الوفاء لأهل الغدر غدر عند الله، والغدر بأهل الغدر وفاء عند الله.

* وقال: كم من مستدرج بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه. وما ابتلى الله سبحانه أحداً بمثل الإملاء له .

* وفي حديثه: إذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى (والنص منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في السير لأنه أقصى ما تقدر عليه الدابة، وتقول نصصت الرجل عن الأمر إذا استقصيت مسألته عنه لتستخرج ما عنده فيه. فنص الحقاق يريد به الإدراك لأنه منتهى الصغر والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حد الكبير. وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر، فإذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمها إذا كانوا محرماً مثل الإخوة والأعمام وبتزويجها إن أرادوا ذلك. والحقاق محاقة الأم للعصبة في المرأة وهو الجدال والخصومة وقول كل واحد منهما للآخر أنا أحق منك بهذا، يقال منه حاققته حقاقاً مثل جادلته جدالاً. وقد قيل إن نص الحقاق بلوغ العقل وهو الإدراك لأنه عليه السلام أراد منتهى الأمر الذي تجب فيه الحقوق والأحكام. ومن رواه نص الحقائق فإنما أراد جمع حقيقة.

* وفي حديثه قال: إن الإيمان يبدو لمظة في القلب كلما ازداد الإيمان ازدادت

(1) الرواح السير من بعد الظهر، والإدلاج السير في أول الليل، والمراد من المكارم المحامد، وكسبها بعمل المعروف، وكأنه يقول أوص أهلك أن يواصلوا أعمال الخير فرواحهم في الإحسان وادلاجهم في قضاء الحوائج وإن نام عنها أربابها.

(2) الضمير في جرى للطف، وفي إليها للنائبة، وغريبة الإبل لا تكون من مال صاحب المرعي فيطردها من بين ماله.

(3) أي إذا افتقرتم فتصدقوا فإن الله يعطف الرزق عليكم بالصدقة، فكأنكم عاملتم الله بالتجارة. وههنا لا يعلم.

اللمظة[1] (واللمظة مثل النكتة أو نحوها من البياض. ومنه قيل فرس ألمظ إذا كان بجحفلته شيء من البياض[2])

* وفي حديثه قال: إن الرجل إذا كان له الدين الظنون يجب عليه أن يزكيه لما مضى إذا قبضه (فالظنون الذي لا يعلم صاحبه أيقبضه من الذي هو عليه أم لا، فكأنه الذي يظن به فمرة يرجوه ومرة لا يرجوه.. وكذلك كل أمرٍ تطلبه ولا تدري على أي شيء أنت منه فهو ظنون[3]. وعلى ذلك قول الأعشى

ما يجعل الجد الظنون الذي ... جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتي إذا ما طما ... يقذف بالبوصى والماهر

والجد: البئر[4]. والظنون التي لا يعلم هل فيها ماء أم لا)

* وفي حديثه (أنه شيع جيشاً يغزيه فقال): أعذبوا عن النساء ما استطعتم (ومعناه اصدفوا عن ذكر النساء[5] وشغل القلب بهن، وامتنعوا من المقاربة لهن لأن ذلك يفت في عضد الحمية[6] ويقدح في معاقد العزيمة، ويكسر عن العدو، ويلفت عن الإبعاد في الغزو. وكل من امتنع من شيء فقد أعذب عنه. والعاذب والعذوب الممتنع من الأكل والشرب)

* وفي حديثه: كالياسر الفالج ينتظر أول فوزة من قداحه (الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور[7]. والفالج القاهر الغالب، يقال قد فلج عليهم

(1) اللمظة بضم اللام وسكون الميم.

(2) الجحفلة - بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء الساكنة - للخيل والبغال والحمير بمنزلة الشفة للإنسان.

(3) هو بفتح الظاء.

(4) الجد بضم الجيم وتقدم تفسير الأبيات في الخطبة الشقشقية فراجعه.

(5) أعذبوا واصدفوا بكسر عين الفعل، أي اعرضوا واتركوا.

(6) الفت: الدق والكسر. وفت في ساعده من باب نصر أي أضعفه كأنه كسره. ومعاقد العزيمة: مواضع انعقادها وهي القلوب. وقدح فيها بمعنى خرقها كناية عن أوهنها. والعدو- بفتح فسكون-: الجرى، ويكسر عنه أي يقعد عنه.

(7) الجزور - بفتح الجيم-: الناقة المجزورة أي المنحورة. والمضاربة بالسهام المقامرة على النصيب من الناقة. وفلج من باب ونصر.

وفلجهم. وقال الراجز:

لما رأيت فالجاً قد فلجا

* وفي حديثه قال: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وآله فلم يكن منا أقرب إلى العدو منه (ومعنى ذلك أنه إذا عظم الخوف من العدو واشتد عضاض الحرب[1] فزع المسلمون إلى قتال رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه[2] فينزل الله عليهم النصر به ويأمنون مما كانوا يخافونه بمكانه).

* وقوله: إذا احمر البأس (كناية عن اشتداد الأمر. وقد قيل في ذلك أقوال أحسنها أنه شبه حمى الحرب بالنار[3] التي تجمع الحرارة والحمرة بفعلها ولونها، ومما يقوى ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله وقد رأى مجتلد الناس يوم حنين[4] وهي حرب هوازن "حمى الوطيس" فالوطيس مستوقد النار، فشبه رسول الله صلى الله عليه وآله ما استحر من جلاد القوم[5] باحتدام النار وشدة التهابها)

* وقال (لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأنبار فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة[6] فأدركه الناس وقالوا يا أمير المؤمنين نحن نكفيكهم)

* فقال: والله ما تكفونني أنفسكم فكيف تكفونني غيركم. إن كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف رعاتها، وإنني اليوم لأشكو حيف رعيتي، كأنني المقود وهم القادة، أو الموزوع وهم الوزعة[7] فلما قال رضي الله عنه هذا القول، في كلام طويل ، تقدم إليه رجلان من أصحابه فقال أحدهما: إني لا أملك إلا نفسي وأخي فمرنا بأمرك يا

(1) العضاض بكسر العين أصله عض الفرس مجاز عن إهلا كها للمتحار بين.
(2)فزع المسلمون لجأوا إلى طلب رسول الله ليقاتل بنفسه.
(3) الحمى - بفتح فسكون - مصدر حميت النار. اشتد حرها.
(4) مجتلد مصدر ميمي من الاجتلاد أي الاقتتال.
(5) استحر: اشتد. والجلاد القتال.
(6) النخيلة - بضم ففتح-: موضع بالعراق اقتتل فيه الإمام مع الخوارج بعد صفين.
(7) المقود اسم مفعول. والقادة: جمع قائد. والوزعة - محركة-: جمع وازع بمعنى الحاكم. والموزوع المحكوم.

أمير المؤمنين ننفذ له.

* قال: وأين تقعان مما أريد[1]؟

وقيل إن الحارث بن حوت أتاه فقال: أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة[2].

فقال: يا حارث إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت[3] إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه. فقال الحارث: فإني اعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر فقال رضي الله عنه: إن سعيداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل.

* وقال: صاحب السلطان كراكب الأسد يغبط بموقعه وهو أعلم بموضعه[4]

* وقال: أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم[5]

* وقال: إن كلام الحكماء إذا كان صواباً كان دواءً، وإذا كان خطأ كان داءً[6]

* (وسأله رجل أن يعرفه الإيمان) فقال

إذا كان الغد فأتيني حتى أخبرك على أسماع الناس، فإن نسيت مقالتي حفظها عليك غيرك، فإن الكلام كالشاردة ينقفها هذا[7] ويخطئها هذا.

* وقال: يا ابن آدم لا تحمل هم يومك الذي لم يأتك على يومك الذي قد أتاك، فإنه إن يك من عمرك يأت الله فيه برزقك.

(1) أي أين أنتما وما هي منزلتكما من الأمر الذي أريده وهو يحتاج إلى قوة عظيمة فلا موقع لكما منه.
(2) تراني بضم التاء منى للمجهول، أي أتظنني.
(3) نظرت أي أصاب فكرك أدني الرأي ولم يصب أعلاه، وحار أي تحير. وأتى الحق: أخذ به.
(4) يغبط مبنى للمجهول أي يغبطه الناس ويتمنون منزلته لعزته، ولكنه أعلم بموضعه من الخوف والحذر، فهو وإن أخاف بمركوبه إلا أنه يخشى أن يغتاله.
(5) أي كونوا رحماء بأبناء غيركم يرحم غيركم أبناءكم.
(6) لشدة لصوقه بالعقول في الحالين.
(7) نقفه: ضربه، أي يصيبها واحد فيصيدها، ويخطئها الآخر فتنفلت منه.

* وقال: أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما[1]

* وقال: الناس للدنيا عاملان: عامل عمل للدنيا قد شغلته دنياه عن آخرته يخشى على من يخلفه الفقر ويأمنه على نفسه فيفني عمره في منفعة غيره، وعامل عمل في الدنيا لما بعدها فجاءه الذي له من الدنيا بغير عمل، فأحرز الحظين معاً، وملك الزادين جميعاً، فأصبح وجيهاً عند الله[2] لا يسأل الله حاجة فيمنعه.

* وروى أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في أيامه حلى الكعبة وكثرته، فقال قوم لو أخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، وما تصنع الكعبة بالحلي؟ فهم عمر بذلك، وسأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. فقال:

إن القرآن أنزل على النبي صلى الله عليه وآله والأموال أربعة: أموال المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفيء فقسمه على مستحقيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله حيث جعلها. وكان حلى الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله ولم يتركه نسياناً، ولم يخف عليه مكاناً[3] فأقره حيث أقره الله ورسوله. فقال له عمر: لولاك - لافتضحنا، وترك الحلي بحاله.

* (وروي أنه رفع إليه رجلان سرقا من مال الله: أحدهما عبد من مال الله، والآخر من عروض الناس[4]

فقال: أما هذا فهو من مال الله ولا حد عليه. مال الله أكل بعضه بعضاً، وأما الآخر فعليه الحد فقطع يده.

---

(1) الهون - بالفتح - الحقير، والمراد منه هنا الخفيف لا مبالغة فيه، أي لا تبالغ في الحب ولا في البغض فعسى أن ينقلب كل إلى ضده فلا تعظم ندامتك على ما قدمت منه

(2) وجيها أي ذا منزلة عليه من القرب إليه سبحانه.

(3) أي لم يكن مكان حلي الكعبة خافياً على الله، فمكانا تمييز نسبة الخفاء إلى الحلي.

(4) أي أن السارقين كانا عبدين: أحدهما عبد لبيت المال، والآخر عبد لأحد الناس من عروضهم جمع عرض - بفتح فسكون - هو المتاع غير الذهب والفضة، وكلاهما سرق من بيت المال.

* وقال: لو قد استوت قدماى من هذه المداحض لغيرت أشياء[1] وقال عليه السلام: اعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته أكثر مما سمى له في الذكر الحكيم[2]، ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته وبين أن يبلغ ما سمى له في الذكر الحكيم. والعارف لهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعةٍ. والتارك له الشاك فيه أعظم الناس شغلاً في مضرة ورب منعم عليه مستدرج بالنعمى[3]، ورب مبتلى مصنوع له بالبلوى. فزد أيها المستمع في شكرك، وقصر من عجلتك[4]، وقف عند منتهى رزقك.

* وقال: لا تجعلوا علمكم جهلاً ويقينكم شكا[5] إذا علمتم فاعملوا، وإذا تيقنتم فأقدموا.

* وقال: إن الطمع مورد غير مصدر[6]، وضامن غير وفي، وربما شرق شارب الماء قبل ريه[7]، وكلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده. والأماني تعمى أعين البصائر. والحظ يأتي من لا يأتيه.

---

(1) المداحض: المزالق يريد بها الفتن التي ثارت عليه، ويقول أنه لو ثبتت قدماه في الأمر وتفرغ لغير أشياء من عادات الناس وأفكارهم التي تبعد عن الشرع الصحيح.

(2) الذكر الحكيم: القرآن، وليس لإنسان أن ينال من الكرامة عند الله فوق ما نص عليه القرآن، ولن يحول الله بين أحد وبين ما عين في القرآن وأن اشتد طلب الأول وقويت مكيدته الخ وضعف حال الثاني، فكل مكلف مستطيع أن يؤدي ما فرض الله في كتابه وينال الكرامة المحدودة له، وقد يراد من الذكر الحكيم علم الله، أي ما قدر لك فلن تعدوه ولن نقصر عنه.

(3) أي لا يغتر المنعم عليه بالنعمة فربما تكون استدراجا من الله له يمتحن بها قلبه ثم يأخذه من حيث لا يشعر، ولا يقنط مبتلى فقد تكون البلوى صنعا من الله له يرفع بها منزلته عنده.

(4) أي قصر من العجلة في طلب الدنيا.

(5) من لم يظهر أثر علمه في عمله فكأنه جاهل وعلمه م يزد على الجهل، ومن لم يظهر أثر يقينه في عزيمته وفعله فكأنه شاك متردد، إذا لو صح اليقين ما مرض العزم.

(6) أي من ورده هلك فيه ولم يصدر عنه.

(7) شرق - كتعب - أي غص تمثيل لحالة الطامع بحال الظمآن فربما يشرق بالماء عند الشرب قبل أن يرتوي به، وربما هلك الطامع في الطلب قبل الانتفاع بالمطلوب.

* وقال: اللهم إني أعوذ بك أن تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح فيما أبطن لك سريرتي، محافظاً على رثاء الناس من نفسي بجميع ما أنت مطلع عليه منى، فأبدى للناس حسن ظاهري وأفضى إليك بسوء عملي تقرباً إلى عبادك، وتباعداً من مرضاتك[1]

* وقال: لا والذي أمسيتنا منه في غبر ليلة دهماء تكشر عن يوم أغر ما كان كذا وكذا[2].

* وقال: قليل تدوم عليه أرجى من كثير مملول[3]

* وقال: إذا أضرت النوافل بالفرائض فارفضوها

* وقال: من تذكر بعد السفر استعد

* وقال: ليست الروية كالمعاينة مع الإبصار[4] فقد تكذب العون أهلها ولا يغش العقل من استنصحه

* وقال: بينكم وبين الموعظة حجاب من الغرة[5]

---

(1) يستعيذ بالله من حسن ما يظهر منه لناس وفتح ما يبطنه لله من السريرة. وقوله محافظاً حال من الياء في سريرتي. ورثاء الناس - بهمزتين أو بياء بعد الراء - إظهار العمل لهم ليحمدوه. وقوله بجميع متعلق برثاء.

(2) غبر الليلة - بضم الغين وسكون الباء-: بقيتها. والدهماء: السوداء. وكشر عن أسنانه - كضرب - أبداها في الضحك ونحوه. والأغر أبيض الوجه. يحلف بالله الذي أمسى بتقديره في بقية ليلة سوداء تنفجر عن فجر ساطع الضياء. ووجه التشبيه ظاهر.

(3) اعمل قليلا وداوم عليه فهو أفضل من كثير تسأم منه فتتركه.

(4) الروية - بفتح فكسر فتشديد-: أعمال العقل في طلب الصواب، وهي أهدى إليه من المعاينة بالبصر، فإن البصر قد يكذب صاحبه فيريه العظيم البعيد صغيراً، وقدير به المستقيم معوجا كما في الماء، أما العقل فلا يغش من طلب نصيحته. وفي نسخة ليست الرؤية (بضم فهمز) مع الأبصار، أي أن الرؤية الصحيحة ليست هي رؤية البصر، وليس العلم قاصراً على شهود المحسوس، فإن البصر قد يغش، وإنما البصر بصر العقل فهو الذي لا يكذب ناصحه.

(5) الغرة - بالكسر-: الغفلة.

* وقال: جاهلكم مزداد وعللكم مسوف[1]

* وقال: قطع العلم عذر المتعللين.

* وقال: كل معاجل يسأل الإنظار وكل مؤجل يتعلل بالتسويف[2]

* وقال: ما قال الناس لشيء طوبى له إلا وقد خبأ له الدهر يوم سوء.

* (وسئل عن القدر فقال): طريق مظلم فلا تسلكوه، وبحر عميق فلا تلجوه، وسر الله فلا تتكلفوه[3]

* وقال: إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم[4]

* وقال: كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يعظمه في عيني صغر الدنيا في عينه، وكان خارجاً من سلطان بطنه فلا يشتهي مالا يجد، ولا يكثر إذا وجد، وكان أكثر دهره صامتاً، فإن قال بد القائلين[5] ونقع غالب السائلين. وكان ضعيفاً مستضعفاً. فإن جاء الجد فهو ليث غاب وصل واد[6]، لا يدلى بحجة حتى يأتي قاضيا[7]. وكان لا يلوم أحداً على ما يجد العذر في مثله حتى يسمع اعتذاره[8]، وكان لا يشكو وجعاً إلا عند برئه. وكان يفعل ما يقول ولا يقول ما لا يفعل. وكان إذا غلب على الكلام لم يغلب على

---

(1) أي جاهلكم يغالي ويزداد في العمل على غير بصيرة، وعللكم يسوف بعمله، أي يؤخره عن أوقاته ويئست الحال هذه.

(2) كل بالتنوين في الموضعين مبتدأ خبره معاجل بفتح الجيم في الأول ومؤجل بفتحها كذلك في الثاني، أي كل واحد من الناس يستعجله أجله ولكنه يطلب الأنظار أي التأخير، وكل منهم قد أجل الله عمره وهو لا يعمل تعللا بتأخير الأجل والفسحة في مدته وتمكنه من تدارك الفائت في المستقبل.

(3) فليعمل كل عمله المفروض عليه ولا يتكل في الإهمال على القدر.

(4) أرذله: جعله رذيلا، وحظر عليه أي حرمه منه.

(5) بدهم أي كفهم عن العول ومنعهم. ونقع الغليل: أزال العطش.

(6) الليث: الأسد. والغاب: جمع غابة وهي الشجر الكثير الملتف يستوكر فيه الأسد. والصل - بالكسر -: الحية. والوادي معروف. والجد - بالكسر-: ضد الهزل.

(7) أدلى بحجته: أحضرها.

(8) أي كان لا يلوم في فعل يصح في مثله الاعتذار إلا بعد سماع العذر.

السكوت. وكان على ما يسمع أحرص منه على أن يتكلم وكان إذا بدهه أمران[1] نظر أيهما أقرب إلى الهوى فخالفه. فعليكم بهذه الخلائق فألزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوا فاعلموا أن أخذ القليل خير من ترك الكثير.

* وقال: لو لم يتوعد الله على معصيته[2] لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه

* (وقال وقد عزى الأشعث بن قيس عن ابن له):

يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحقت ذلك منك الرحم.

وإن تصبر ففي الله من كل مصيبة خلف. يا أشعث إن صبرت جرى عليك القدر وأنت مأجور. وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور[3]. إبنك سرك وهو بلاء وفتنة[4] وحزنك وهو ثواب ورحمة

* وقال على قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله ساعة دفن)

إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصاب بك لجليل، وإنه قبلك وبعدك لجلل[5]

* وقال: لا تصحب المائق[6] فإنه يزين لك فعله ويود أن تكون مثله.

* وقال: أصدقاؤك ثلاثة، وأعدؤك ثلاثة، فأصدقاؤك صديقك وصديق صديقك وعدو عدوك. وأعداؤك عدوك وعدو صديقك وصديق عدوك

* وقال لرجل رآه يسعى على عدو له بما فيه إضرار بنفسه: إنما أنت كالطاعن نفسه ليقتل ردفه[7]

(1) بدهه الأمر: فجأه وبغته.
(2) التوعد: الوعيد، أي لو لم يوعد على معصيته بالعقاب.
(3) أي مقترف للوزر وهو الذنب.
(4) سرك أي أكسبك سروراً، وذلك عند ولادته وهو إذ ذاك بلاء بتكاليف تربيته وفتنة بشاغل محبته. وحزنك: أكسبك الحزن وذلك عند الموت.
(5) أي أن المصائب قبل مصيبتك وبعدها هينة حقيرة. والجلل - بالتحريك-: الهين الصغير، وقد يطلق على العظيم وليس مراداً هنا.
(6) المائق: الأحمق.
(7) الردف - بالكسر-: الراكب خلف الراكب.

* وقال: ما أكثر العبر وأقل الاعتبار.

* وقال: من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها ظلم[1] ولا يستطيع أن يتقى الله من خاصم.

* وقال: ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين[2]

* وسئل: (كيف يحاسب الله الخلق على كثرتهم) فقال: كما يرزقهم على كثرتهم

(فقيل كيف يحاسبهم ولا يرونه)

قال: كما يرزقهم ولا يرونه

* وقال: رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك

* وقال: ما المبتلى الذي قد اشتد به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء

* وقال: الناس أبناء الدنيا، ولا يلام الرجل على حب أمه

* وقال: إن المسكين رسول الله[3] فمن منعه فقد منع الله، ومن أعطاه فقد أعطى الله

* وقال: ما زنى غيور قط

* وقال: كفى بالأجل حارساً

* وقال: ينام الرجل على الثكل ولا ينام على الحرب[4] (ومعنى ذلك أنه يصبر على قتل الأولاد ولا يصبر على سلب الأموال)

(1) قد يصيب الظلم من يقف عند حقه في المخاصمة فيحتاج للمبالغة حتى يرد إلى الحق، وفي ذلك أثم الباطل وإن كان لنيل استحقاق.
(2) كن إذا كسب ذنباً فأحزنه وأعطى مهلة من الأجل بعده صلى ركعتين تحقيقاً للتوبة.
(3) لأن الله هو الذي حرمه الرزق فكأنه أرسله إلى الغني ليمتحنه به.
(4) الثكل - بالضم-: فقد الأولاد. والحرب - بالتحريك-: سلب المال.

* وقال: مودة الآباء قرابة بين الأبناء[1] والقرابة إلى المودة أحوج من المودة إلى القرابة

* وقال: اتقوا ظنون المؤمنين فإن الله تعالى جعل الحق على ألسنتهم.

* وقال: لا يصدق إيمان عبد حتى يكون بما في يد الله أوثق منه بما في يده[2]

* وقال ل أنس بن مالك وقد كان بعثه إلى طلحة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكرهما شيئاً سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما فلوى عن ذلك فرجع إليه فقال[3]: (إني أنسيت ذلك الأمر)

* فقال: إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة (يعني البرص، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه فكان لا يرى إلا مبرقعاً)

* وقال: إن للقلوب إقبالاً وإدباراً[4] فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض

* وقال: في القرآن نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم[5]

* وقال: ردوا الحجر من حيث جاء فإن الشر لا يدفعه إلا الشر[6] وقال لكاتبه

(1) إذا كان بين الآباء مودة كن أثرها في الأبناء أثر القرابة من التعاون والمرافدة. والمودة أصل في المعاونة، والقرابة من أسبابها، وقد لا تكون مع القرابة معاونة إذا فقدت المحبة، فالأقرباء في حاجة إلى المودة. أما الأوداء فلا حاجة بهم إلى القرابة.

(2) أي حتى تكون ثقته بما عند الله من ثواب وفضل أشد من ثقته بما في يده.

(3) الضمير في قال ورجع ولوى لأنس. روى أن أنساً كان في حضرة النبي صلى الله عليه وهو يقول لطلحة والزبير إنكما تحاربان علياً وأنتما له ظالمان.

(4) إقبال القلوب: رغبتها في العمل. وإدبارها: مللها منه.

(5) نبأ ما قبلنا أي خبرهم في قصص القرآن، ونبأ ما بعدنا، الخبر عن مصير أمورهم، وهو يعلم من سنة الله فيمن قبلنا. وحكم ما بيننا في الأحكام التي نص عليها.

(6) رد الحجر كناية عن مقابلة الشر بالدفع على فاعله ليرتدع عنه، وهذا إذا لم يمكن دفعه بالأحسن.

عبيد الله بن رافع: ألق دواتك، وأطل جلفة قلمك[1]، وفرج بين السطور وقرمط بين الحروف فإن ذلك أجدر بصباحة الخط

* وقال: إنا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الفجار (ومعنى ذلك أن المؤمنين يتبعونني والفجار يتبعون المال كما تتبع النحل يعسوبها وهو رئيسها)

* (وقال له بعض اليهود: ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فيه)

فقال له: إنما اختلفنا عنه لا فيه[2] ولكنكم ما جفت أرجلكم من البحر حتى قلتم لنبيكم "اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون"

* (وقيل له بأي شيء غلبت الأقران؟)

فقال: ما لقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه (يومئ بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب)

* وقال لابنه محمد بن الحنفية: يا بني إني أخاف عليك الفقر فاستعذ بالله منه فإن الفقر منقصة للدين[3] مدهشة للعقل، داعية للمقت

* (وقال لسائل سأله عن معضلة[4]: سل تفقها ولا تسأل تعنتاً، فإن الجاهل المتعلم شبيه بالعالم، وإن العالم المتعسف شبيه بالجاهل المتعنت

* (وقال لعبد الله بن العباس وقد أشار عليه في شيء لم يوافق رأيه علي بن أبي طالب): لك أن تشير على وأرى، فإن عصيتك فاطعني[5]

(1) جلفة القلم - بكسر الجيم-: ما بين عبراه وسنته. وإلاقة الدواة: وضع الليقة فيها. والقرمطة بين الحروف: المقاربة بينها وتضييق فواصلها.

(2) أي في أخبار وردت عنه لا في صدقة وأصول الاعتقاد بدينه.

(3) إذا اشتد الفقر فربما يحمل على الخيانة أو الكذب أو احتمال الذل أو القعود عن نصرة الحق، وكلها نقص في الدين.

(4) أي أحجية بقصد المعاياة لا بقصد الاستفادة.

(5) وذلك عندما أشار عليه أن يكتب لابن طلحة بولاية البصرة ولابن الزبير بولاية الكوفة ولمعاوية بإقراره في ولاية الشام حتى تسكن القلوب وتتم بيعة الناس وتلقى الخلافة بوانيها، فقال أمير المؤمنين لا أفسد ديني بدنيا غيري، ولك أن تشير الخ.

* وروى أنه لما ورد الكوفة قادماً من صفين مر بالشباميين[1] فسمع بكاء النساء على قتلى صفين، وخرج إليه حرب ابن شرحبيل الشبامى وكان من وجوه قومه)

فقال علي له: تغلبكم نساؤكم على ما أسمع[2]، ألا تنهونهن عن هذا الرنين (وأقبل يمشى معه وهو رضي الله عنه راكب فقال علي له): ارجع فإن مشى مثلك مع مثلى فتنة للوالي ومذلة للمؤمن[3]

* (وقال رضي الله عنه وقد مر بقتلي الخوارج يوم النهروان): بؤساً لكم، لقد ضركم من غركم (فقيل له من غرهم يا أمير المؤمنين؟ فقال): الشيطان المضل والانفس الأمارة بالسوء غرتهم بالأماني وفسحت لهم بالمعاصي، ووعدتهم الإظهار فاقتحمت بهم النار.

* وقال: اتقوا معاصي الله في الخلوات فإن الشاهد هو الحاكم

* وقال لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر): إن حزننا عليه على قدر سرورهم به، إلا أنهم نقصوا بغيضاً ونقصنا حبيباً

* وقال: العمر الذي أعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة[4]

* وقال: ما ظفر من ظفر الإثم به، والغالب بالشر مغلوب[5]

* وقال: إن الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بما متع به غنى والله تعالى سائلهم عن ذلك.

---

(1) شبام - ككتاب-: اسم حي.

(2) على ما أسمع أي من البكاء، وتغلبكم عليه أي يأنينه قهراً عنكم. والرنين صوت البكاء.

(3) أي مشيك وأنت من وجوه القوم معى وأنارا كب فتنة للحاكم تنفخ فيه روح الكبر، ومذلة أي موجبة لذل المؤمن ينزلونه منزلة العبد والخادم.

(4) إن كان يعتذر ابن آدم فيما قبل الستين بغلبة الهوى عليه وتملك القوى الجسمانية لعقله فلا عذر له بعد الستين إذا اتبع الهوى ومال إلى الشهوة لضعف القوى وقرب الأجل.

(5) إذا كانت الوسيلة لظفرك بخصمك ركوب اثم واقتراف معصية فإنك لم تظفر حيث ظفرت بك المعصية فألقت بك إلى النار، وعلى هذا قوله: الغالب بالشر مغلوب.

* وقال: الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به[1]

* وقال: أقل ما يلزمكم لله أن لا يستعينوا بنعمة على معاصيه

* وقال: إن الله سبحانه جعل الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط العجزة[2]

* وقال: السلطان وزعه الله في أرضه[3]

* (وقال في صفة المؤمن): المؤمن بشره في وجهه[4]، وحزنه في قلبه. أوسع شيء صدراً، وأذل شيء نفساً[5]. يكره الرفعة، ويشنو السمعة. طويل غمه. بعيد همه. كثير صمته. مشغول وقته. شكور صبور. مغمور بفكرته[6]. ضنين بخلته[7] سهل الخليقة. لين العريكة. نفسه أصلب من الصلد[8] وهو أذل من العبد

* وقال: لو رأى العبد الأجل ومصيره لأبغض الأمل وغروره.

* وقال: لكل امرئ في مآله شريكان: الوارث والحوادث

---

(1) العذر وإن صدق لا يخلو من تصاغر عند الموجه إليه، فإنه اعتراف بالتقصير في حقه، فالعبد عم يوجب الاعتذار أعز.

(2) العجزة - جمع عاجز-: المقصرون في أعمالهم لغلبة شهواتهم على عقولهم، والأكياس جمع كيس وهم العقلاء فإذا منع الضعيف إحسانه على فقير مثلا كان ذلك غنيمة للعاقل في الإحسان إليه وعلى ذلك بقية الأعمال الخيرية.

(3) الوزعة - بالتحريك-: جمع وازع وهو الحاكم يمنع من مخالفة الشريعة، والأخبار بالجمع لأن أل في السلطان للجنس.

(4) البشر- الكسر-: البشاشة والطلاقة، أي لا يظهر عليه إلا السرور وإن كان في قلبه حزيناً كناية عن الصبر والتحمل.

(5) ذل نفسه لعظمه ربه وللمتضعين من خلقه وللحق إذا جرى عليه. وكراهته المرفعة: بغضه للتكبر على الضعفاء، ولا يحب أن يسمع أحد بما يعمل لله فهو يشنؤ أي يبغض السمعة، وطول غمه خوفا مما بعد الموت. وبعد همه لأنه لا يطلب إلا معالي الأمور.

(6) مغمور أي غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه وملته.

(7) الخلة- بالفتح-: الحاجة أي يحيل بإظهار فقرة للناس. والخليقة الطبيعة. والعريكة: النفس.

(8) الصلد: الحجر الصلب. ونفس المؤمن أصلب منه في الحق، وإن كان في تواضعه أذل من العبد.

* وقال: الداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر[1]

* وقال: العلم علمان: مطبوع ومسموع، ولا ينفع المسموع إذا لم يكن المطبوع[2]

* وقال: صواب الرأي بالدول يقبل بإقبالها ويذهب بذهابها[3]

* وقال: العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى

* وقال: يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم

* وقال: الأقاويل محفوظة، والسرائر مبلوة[4] و(كل نفسٍ ما كسبت رهينة). والناس منقوصون مدخولون[5] إلا من عصم الله. سائلهم متعنت، ومجيبهم متكلف. يكاد أفضلهم رأياً يرده عن فضل رأيه الرضى والسخط[6]، ويكاد أصلبهم عوداً تنكؤه اللحظة وتستحيله الكلمة الواحدة[7]. معاشر الناس اتقوا الله فكم من مؤمل مالا يبلغه، وبانٍ مالا يسكنه، وجامع ما سوف يتركه. ولعله من باطل جمعه، ومن حق منعه.

---

(1) الرامي من قوس بلا وتر يسقط سهمه ولا يصيب، والذي يدعو الله ولا يعمل لا يجيب الله دعاءه.

(2) مطبوع العلم: ما رسخ في النفس وظهر أثره في أعماها، ومسموعه: منقولة ومحفوظة. والأو هو العلم حقه.

(3) إقبال الدولة: كنية عن سلامتها وعلوها كأنها مقبلة على صاحبها تطلبه للأخذ بزمامها وأن لم يطلبها. وعلو الدولة يعطي العقل مكنة الفكر، ويفتح له باب الرشاد. وادبارها يقع بالعقل في الحيرة والارتباك فيذهب عنه صائب الرأي.

(4) بلاها الله واختبرها وعلمها يريد أن ظاهر الأعمال وخفيها معلوم لله، والأنفس مرهونة بأعمالها فإن كانت خيراً خلصتها وإن كانت شراً حبستها.

(5) المدخول: المغشوش مصاب بالدخل - بالتحريك - وهو مرض العقل والقلب. والمنقوص: المأخوذ عن رشده وكماله كأنه نقص منه بعض جمهره.

(6) لو كان فيهم ذو رأي غلب على رأيه رضاه وسخطه فإذا رضي حكم لمن استرضاه بغير حق، وإذا سخط حكم على من أسخطه بباطل.

(7) أصلبهم عودا: أشدهم بدينه تمسكا، واللحظة النظرة إلى مشتهى. وتنكؤه - كتمنعه - أي تسيل جرحه وتأخذ بقلبه. وتستحيله: تحوله عما هو عليه، أي نظرة إلى مرغوب تجذبه إلى موقعه الشهوة، وكلمة من عظيم تميله إلى موافقة الباطل.

أصابه حراماً، واحتمل به آثاماً، فناء بوزره، وقدم على ربه آسفاً لاهفاً قد "خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين"

* وقال: من العصمة تعذر المعاصي[1]

* وقال: ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره

* وقال: الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق[2]، والتقصير عن الاستحقاق عيٌّ وحسد

* وقال: أشد الذنوب ما استهان به صاحبه

* وقال: من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره. ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته. ومن سل سيف البغي قتل به ومن كابد الأمور عطب[3]. ومن اقتحم اللجج غرق. ومن دخل مداخل السوء اتهم. ومن كثر كلامه كثر خطؤه. ومن كثر خطؤه قل حياؤه. ومن قل حياؤه قل ورعه. ومن قل ورعه مات قلبه. ومن مات قلبه دخل النار. ومن نظر في عيوب الناس فأنكرها ثم رضيها لنفسه فذاك الأحمق بعينه[4] والقناعة مال لا ينفد، ومن أكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير. ومن علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه.

* وقال: للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية[5]، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة

* وقال: عند تناهي الشدة تكون الفرجة. وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء

---

(1) هو من قبيل قولهم: "إن من العصمة أن لا تجد": وروى حديثاً.

(2) ملق - بالتحريك-: تملق. والعي-بالكسر-: العجز.

(3) كابدها: قاساها بلا إعداد أسبابها، فكأنه يجاذبها وتطارده.

(4) لأنه قد أقام الحجة لغيره على نفسه ورضي برجوع عيبه على ذاته.

(5) معصية أوامره ونواهيه أو خروجه عيه ورفضه لسلطته وذلك ظلم، لأنه عدوان على الحق. والغلبة: القهر. ويظاهر أي يعاون. والظلمة: جمع ظالم.

* وقال لبعض أصحابه: لا تجعلن أكثر شغلك بأهلك وولدك، فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله فإن الله لا يضيع أولياءه. وإن يكونوا أعداء الله فما همك وشغلك بأعداء الله.

* وقال: أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله

* (وهنَّأ بحضرته رجل رجلاً بغلام ولد له فقال له ليهنك الفارس) فقال: لا تقل ذلك، ولكن قل: شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب، وبلغ أشدَّه، ورزقت برَّه.

* (وبنى رجل من عماله بناء فخماً[1]) فقال: أطلعت الورق رؤوسها[2] إن البناء يصف لك الغنى

* (وقيل له لو سُدَّ على رجلٍ بابٍ بيته وترك فيه من أين كان يأتيه رزقه؟)

فقال: من حيث يأتيه أجله.

(وعزى قوماً عن ميت مات لهم) فقال:

إن هذا الأمر ليس بكم بدأ ولا إليكم انتهى[3]. وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض أسفاره، فإن قدم عليكم وإلا قدمتم عليه

* وقال: يا أيها الناس ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من النقمة فرقين[4]، إنه من وسِّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً. ومن ضيِّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيع مأمولاً.

---

(1) أي عظيماً ضخما.

(2) الورق - بفتح فكسر-: الفضة أي ظهرت الفضة فأطلعت رءوسها كناية عن الظهور، ووضح هذا بقوه البناء يصف لك الغني، أي يدل عليه.

(3) هذا الأمر أي الموت لم يكن تناوله لصاحبكم أول فعل هل ولا آخر فعل له، بل سبقه ميتون وسيكون بعده، وقد كان ميتكم هذا يسافر لبعض حاجاته فاحسبوه مسافراً، فإذا طالب زمن سفره فأنكم ستتلاقون معه وتقدمون عليه عند موتكم.

(4) وجلين: خائفين. وفرقين: فزعين. كونوا بحيث يراكم الله خائفين من مكره عند النعمة كما يراكم فزعين من بلائه عند النقمة، فإن صاحب النعمة إذا لم يظن نعمته استدراجا من الله فقداً من مكر الله، ومن كان في ضيق فلم يحسب ذلك امتحانا من الله فقد أيس من رحمة الله وضيع أجراً مأمولا

* وقال: يا أسرى الرغبة أقصروا[1] فإن المعرج على الدنيا لا يروعه منها إلا صريف أنياب الحدثان[2]. أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها واعدوا بها عن ضراوة عاداتها[3]

* وقال: لا تظنن بكلمة خرجت من أحد سوءاً وأنت تجد لها في الخير محتملاً

* وقال: إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله ثم سل حاجتك فإن الله أكرم من أن يسأل حاجتين[4] فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى.

* وقال: من ضن بعرضه فليدع المراء[5]

* قال: من الخرق المعاجلة قبل الإمكان والأناة بعد الفرصة[6]

* وقال: لا تسأل عماً لم يكن ففي الذي قد كان لك شغل[7]

* وقال: الفكر مرآة صافية والاعتبار منذر ناصح[8] وكفى أدباً لنفسك تجنبك ما كرهته لغيرك.

* وقال: العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل. والعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل عنه[9]

---

(1) أسرى: جمع أسير. والرغبة الطمع. وأقصر واكفوا.

(2) المعرج المائل إليها أو المعول عليها أو المقيم بها. وبروعه: يفزعه. والصريف: صوت الأسنان ونحوها عند الاصطكاك. والحدثان- بالكسر-: النوائب.

(3) الضراوة: اللهج بالشيء والولوع به، أي كفوا أنفسكم عن اتباع ما تدفع إليه عاداتها.

(4) الحاجتان الصلاة على النبي وحاجتك، والأولى مقبولة مجابة قطعا.

(5) ضن: بخل. والمراء الجدال في غير حق. وفي تركه صوت لعرض عن الطعن.

(6) الحرق - بالضم-: الحق وضد الرفق. والأناه التأني. والفرصة ما يمكنك من مطلوبك، ومن الحكم أن لا تتعجل حتى تتمكن، وإذا تمكنت فلا تمهل.

(7) لا تتمن من الأمور بعيدها فكفاك من قريبها ما يشغلك.

(8) الاعتبار الاتعاظ بما يحصل للغير ويترتب على أعماله.

(9) العلم يطلب العمل وينادبه فإن وافق العمل العلم وإلا ذهب العلم فحافظ العلم العمل.

* وقال: يأيها الناس متاع الدنيا حطام موبىء فتجنبوا مرعـاه[1]. قلعتـها أحظى من طمأنينتها[2] وبلغتها أزكي من ثروتها[3]. حكم على مكثر بها بالفاقة[4] وأعين من غنى عنها بالراحة[5]. ومن راقه زبرجها أعقبت ناظريه كمهاً[6].

ومن استشعر الشَّعف بها ملأت ضميره أشجاناً[7] لهن رقص على سويداء قلبه[8] همٌّ يشغله وهم يحزنه، كذلك حتى يؤخذ بكظمه فيلقى بالقضـاء[9]. منقطعاً أبـراه هيناً على الله فناؤه وعلى الإخـوان إلقـاؤه[10]، وإنما ينظـر المؤمـن إلى الدنيـا بعـين الاعتبـار. ويقتات منها ببطن الاضطرار[11]. ويسمع فيها بأذن المقت والإبغاض. إن قيل أثـرى قيـل أكدى[12]. وإن فرح له بالبقاء حزن له بالفناء. هذا ولم يأتهم يوم فيه يبلسون[13]

---

(1) الحطام - كغراب-: ما تكسر من ييبس النبات. وموبـئ أي ذو وبـاء مـهلك. ومرعـاه محـل رعيه والتناول منه.

(2) القلعة - بالضم-: عدم سكونك للتوطن. وأحظى أي أسعد.

(3) البلغة-بالضم-: مقدار ما يتبلغ به من القوت.

(4) المكثر بالدنيا حكم الله عليه بالفقر، لأنه كلما أكثر زاد طمعه وطلبه فهو في فقر دائم إلى ما يطمع فيه.

(5) غنى - كرضى-: استغنى، وغنى القلب عن الدنيا في راحة تامة.

(6) الزبرج - بكسر فسكون فكسر-: الزينة. وراقه: أعجبه وحسن في عينه. والكمه-محركـة- العمى، فمن نظر لزينتها بعين الاستحسان أعمت عينيه عن الحق.

(7) الشعف-بالعين محركة-: الولوع وشدة التعلق. والأشجان: الأحزان.

(8) رقص - بالفتح والتحريك -: حركة واثب. وسويداء القلب: حبتـه. ولهـن أي للاسـجان، فهي تلعب بقلبه.

(9) الكظم - محركة-: مخرج النفس، أي حتى يخنقه الموت فيطرح بالقضـاء. والأبـهران: وريـدا العنق. وانقطاعهما كناية عن الهلاك.

(10) القاؤه: طرحه في قبره.

(11) أي يأخذ من القوت ما يكفي بطن المضطر وهو ما يزيل الضرورة.

(12) بيان لحال الإنسان في الدنيا فل يقل فلان أثرى أي ستغني حتى يسمع بعد مدة بأنه أكـدى أي افتقر وصف لقلب الحال.

(13) أبلس: يئس وتحير. يوم الحيرة: يوم القيامة.

* وقال: إن الله سبحانه وضع الثواب على طاعته والعقاب على معصيتـه ذيـادة لعباده عن نقمته[1] وحياشة لهم إلى جنته[2]

* (وروى أنه قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام خطبتـه): أيـها النـاس اتقـوا الله فما خلق امرؤ عبثاً فيلهو، ولا ترك سدى فيغلو[3]. وما دنيا التي تحسنت له بخلف مـن الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده. وما المغرُرُ الـذي ظفـر مـن الدنيـا بـأعلى همَّتـه كالآخر الذي ظفر من الآخرة بأدنى سهمته[4].

* وقال: لا شرف أعلى من الإسلام. ولا عز أعز من التقوى ولا معقل أحصـن من الورع. ولا شفيع أنجح من التوبة. ولا كنز أغنى من القناعة. ولا مال أذهب للفاقة من الرضى بالقوت. ومن اقتصر علـى بلغـة الكفـاف فقـد انتظـم الراحـة[5] وتبـوأ خفض الدعة. والرغبة مفتاح النصب[6] ومطيـة التعـب. والحـرص والكـبر والحسـد دواع إلى التقحم في الذنوب. والشر جامع مساوي العيوب.

* وقال: يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا رسمه ومن الإسلام إلا اسمه. مساجدهم يومئذ عامرة من البُنى خراب من الهدى. سكانها وعُمَّارهـا شـرٌّ أهـل الأرض، منهم تخرج الفتنة وإليهم تأوى الخطيئة يردون من شذ عنـها فيـها. ويسـوقون من تأخر عنها إليها يقول الله تعالى في الحديث " فبي حلفت لأبعثن على أولئك فتنة أترك الحليم فيها حيران"، وقد فعل. ونحن نستقيل الله عثرة الغفلة.

---

(1) ذيادة - بالذال - أي منعا لهم عن المعاصي الجالبة للنقم.

(2) حياشة: من حاش الصيد جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبلة ويسوقه إليها ليصيده أي سـوقا أي جنته.

(3) لها: تلهى بلذاته. ولغا: أتى باللغو وهو مالا فائدة فيه.

(4) الهمة - بالضم-: النصيب. وأدنى حظ من الآخرة أفضل من أعلاه في الدنيا والفـرق بـين الباقي والفاني وإن كان الأول قليلا والثاني كثيراً لا يخفى.

(5) من قولك أنتظمه بالرمح أي أنفذه فيه كأنه ظفر بالراحة. وتبوأ: نـزل الخفـض أي السـعة. والدعة - بالتحريك-: كالخفض. والإضافة على حد كرى النوم.

(6) الرغبة: الطمع. وانصب - بالتحريك-: أشد التعب.

* (وقال لجابر بن عبد الله الأنصاري) يا جابر قوام الدنيا بأربعة: عالم مستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه. فإذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم[1]، وإذا بخل الغني بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه[2] يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام لله فيها بما يجب عرَّضها للدَّوام والبقاءِ[3]، ومن لم يقم فيما بما يجب عرضها للزوال والفناء

* (وروى ابن جرير الطبري في تاريخه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه - وكان ممن خرج لقتال الحجاج مع ابن الأشعث - أنه قال فيما كان يحض به الناس على الجهاد: إني سمعت عليا يقول يوم لقينا أهل الشام):

أيها المؤمنون إنه من رأى عدواناً يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ[4]، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه. ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين.

(وفي كلام آخر له يجري هذا المجرى) فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير، ومنهم المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده، فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة، ومنهم المنكر بقلبه والتارك بيده ولسانه فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث وتمسك بواحدة[5]، ومنهم تارك لإنكار المنكر بلسانه وقلبه ويده فذلك ميت الأحياء وما أعمال البر كلها والجهاد

(1) لاستواء العلم والجهل في نظره.
(2) لأنه يضطر للخيانة أو الكذب حتى ينال بهما من الغني شيئا.
(3) عرضها أي جعلها عرضة أي نصيبها له.
(4) برئ من الأثم وسلم من العقاب أن كان عاجزاً.
(5) أشرف الخصلتين من إضافة الصفة للموصوف، أي الخصلتين الفائقتين في الشرف عن الثالثة، وليس من قبيل إضافة اسم التفضيل إلى متعدد.

في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة في بحر لجي[1]، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقربان من أجل، ولا ينقصان من رزق. وأفضل من ذلك كله كلمة عدل عند إمام جائر.

* (وعن أبي جحيفة قال سمعت أمير المؤمنين يقول): أول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد بأيديكم ثم بألسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف بقلبه معروفاً ولم ينكر منكراً قُلِبَ فجعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه.

* وقال: إن الحق ثقيل مريءٌ، وإن الباطل خفيف وبيءٌ[2].

* وقال: لا تأمنن على خير هذه الأمة عذاب الله لقوله تعالى: ﴿ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ﴾ ولا تيأسن لشر هذه الأمة من روح الله[3] لقوله تعالى: ﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾

* وقال: البخل جامع لمساوي العيوب، وهو زمام يقاد به إلى كل سوء

* وقال: الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك، كفاك كل يوم ما فيه. فإن تكن السنة من عمرك فإن الله تعالى سيؤتيك في كل غدٍ جديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهمِّ لما ليس لك؟ ولن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب. ولن يبطئ عنك ما قد قدر لك

* وقال: رب مستقبل يوماً ليس بمستدبره، ومغبوط في أول ليلة قامت بواكيه في آخره[4]

(1) النفثة - كالنفخة - يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ.
(2) مريء من مرأ الطعام - مثلثة الراء - مراءة فهو مريء أي هنيء حميد العاقبة، والحق وإن ثقل إلا أنه حميد العاقبة، والباطل، وإن خف فهو وبئ وخيم العاقبة، أرض وبيئة كثيرة الوباء وهو المرض العام.
(3) روح الله - بالفتح-: رحمته.
(4) ربما يستقبل شخص يوما فيموت ولا يستدبره أي لا يعيش بعده فيخلفه وراءه. والمغبوط: المنظور إلى نعمته، وقد يكون المرء كذلك في أول الليل فيموت في آخره فتقوم بواكيه جمع باكية.

* وقال: الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به[1]، فإذا تكلمت بـه صـرت في وثاقـه، لسانك كما تخزن ذهبك وورقك. فرب كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة.

* وقال: لا تقل مالا تعلـم، بـل لا تقـل كـل مـا تعلـم، فـإن الله فـرض علـى جوارحك فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة.

* وقال: احذر أن يراك الله عنـد معصيتـه ويفقـدك عنـد طاعتـه[2] فتكـون مـن الخاسرين، وإذا قويت فاقو على طاعة الله، وإذا ضعفت فاضعف عن معصية الله

* وقال: الركون إلى الدنيا مع ما تعاين منها جهل[3] والتقصير في حسن العمل إذا وثقت بالثواب عليه غبن. والطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار عجز

* وقال: مـن هـوان الدنيـا علـى الله أنه لا يعصـى إلاّ فيها ولا ينـال مـا عنـده إلاّ بتركها.

* وقال: من طلب شيئاً ناله أو بعضه[4]

* وقال: ما خير بخير بعده النار. وما شر بشر بعده الجنة[5]. وكل نعيم دون الجنة محقورٌ، وكل بلاء دون النارً عافية.

---

(1) الوثاق - كسحاب-: ما يشد به ويربط، أي أنت مالك لكلامك قبل أن يصدر عنـك، فـإذا تكلمت به صرت مملوكا له، فأما نفعك أو ضرك، وخزن-كنصر-: حفظ ومنع الغير مـن الوصول إلى مخزونه. والورق - بفتح فكسر-: الفضة.

(2) فقده يفقده أي عدمه فلم يجده. والكلام من الكنايـة، أي أن الله يـراك في الحـالين فـاحذر أن تعصيه ولا تطيعه.

(3) تعاين من الدنيا تقلباً وتحولا لا ينقطع ولا يختص بخـير ولا شـرير، فالثقـة بـها عمـى عمـا تشاهد منها. والغبن - بالفتح-: الخسارة الفاحشـة. وعنـد اليقـين بثـواب الله لا خسـارة أفحش من الحرمان بالتقصير في اعمل مع القدرة عليه.

(4) أي أن الذي يطلب ويعمل لما يطلبه ويداوم على ذلك لا بد أن يناله أو ينال بعضا منه.

(5) ما استفهامية انكارية، أي لا خير فيما يسميه أهل الشهوة خـيراً مـن الكسـب بغـير الحـق والتغلب بغير شرع حيث أن وراء ذلك النار. ولا شر فيما يدعوه الجهلة شراً مـن الفقـر أو الحرمان مع الوقوف عند الاستقامة فوراء ذلك الجنة. والمحقور: الحقير المحقر.

* وقال: ألا وإن من البلاء الفاقة. وأشد من الفاقـة مـرض البـدن. وأشـد مـن مرض البدن مرض القلب. ألا وإن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحـة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب.

* وقال: للمؤمن ثلاث ساعات: فساعة ينلجي فيها ربه، وسـاعة يـرم معاشـه[1]، وساعة يخلى بين نفسه وبين لذتها فيما يحل ويجمل. وليس للعاقل أن يكـون شـاخصاً إلا في ثلاثٍ: مرمةٍ لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذة في غير محرم.

* وقال: أزهد في الدنيا يبصرك الله عوراتها، ولا تغفل فلست بمغفولٍ عنك.

* وقال: تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه.

* وقال: خذ من الدنيا ما أتاك، وتولَّ عما تولّى عنك، فإن أنت لم تفعـل فـأجمل في الطلب[2]

* وقال: رب قول أنفذ من صول[3]

* وقال: كل مقتصر عليه كاف[4]

* وقال: المنية ولا الدنية. والتقلل ولا التوسل[5]. ومـن لم يعـط قـاعداً لم يعـط قائماً[6]. والدهـر يومـان يـوم لك ويـوم عليك، فـإذا كـان لـك فـلا تبطـر، وإذا كـان عليك فاصبر

* وقال: مقاربة الناس في أخلاقهم أمن من غوائلهم[7]

---

(1) يرم - بكسر الراء وفتحها - أي يصلح. والمرمة - بالفتح - الإصلاح. والمعاد ما تعود إليه في القيامة.

(2) أي فان رغبت في طلب ما تولى وذهب عنك منها فليكن طلبك جميلا واقفا بك عند الحق.

(3) الصول - بالفتح-: السطوة.

(4) مقتصر - بفتح الصاد-: اسم مفعول، وإذا اقتصرت على شيء فقنعت به فقد كفاك.

(5) المنية أي الموت يكون ولا يكون ارتكـاب الدنيـة كـالتذلل والنفـاق. والتقلـل أي الاكتفـاء بالقليل يرضي به الشريف ولا يرضى بالتوسل إلى الناس.

(6) كنى بالقعود عن سهولة الطلب وبالقيام عن التعسف فيه.

(7) المنافرة في الأخلاق أخلاقهم حافظة لمودتهم لكن لا تجوز الموافقة في غير حق.

* وقال: لبعض مخاطبيه (وقد تكلم بكلمة يستصغر مثله عن قول مثلها[1] :

لقد طرت شكيراً، وهدرت سقباً (والشكير ههنا أول ما ينبت من ريش الطائر قبل أن يقوى ويستحصف[2]، والسقب الصغير من الإبل، ولا يهدر إلا بعد أن يستفحل).

* وقال: من أومأ إلى متفاوت خذلته الحيل[3]

* وقال (وقد سئل عن معنى قلوهم لا حول ولا قوة بالله) إنا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك إلا ما ملكنا، فمتى ما ملكنا ما هو أملك به منا كلفنا[4]، ومتى أخذه منا وضع تكليفه عنا.

* وقال: لعمار بن ياسر (وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً): دعه يا عمار فإنه لم يأخذ في الدين إلا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمدٍ لبس على نفسه[5] ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته

* وقال: ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله[6]

* وقال: ما استودع الله امرأ عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما[7]

* وقال: من صارع الحق صرعه

(1) كلمة عظيمة مثله في صغره قاصر عن قول مثلها.

(2) كأنه قال لقد طرت وأنت فرخ لم تنهض.

(3) أومأ: أشار، والمراد طلب وأراد: والمتفاوت: المتباعد، أي من طلب تحصيل المتباعدات وضم بعضها إلى بعض خذلته الحيل فيما يريد فلم ينجح فيه.

(4) أي متى ملكنا القوة على العمل وهي في قبضته أكثر مما هي في قبضتنا فرض علينا العمل.

(5) على عمد متعلق بلبس، أي أوقع نفسه في الشبهة عامداً لتكون الشبهة عاذراً له في زلاته.

(6) لأن تيه الفقير وأنفته على الغني أدل على كمال اليقين بالله، فإنه بذلك قد أمات طمعا ومحا خسوفا وصابر في يأس شديد، ولا شيء من هذا في تواضع الغني.

(7) أي أن الله لا يهب العقل إلا حيث يريد النجاة، فتى أعطى شخصا عقلا خلصه به من شقاء الدارين.

* وقال: القلب مصحف البصر[1]

* وقال: التقى رئيس الأخلاق

* وقال: لا تجعلن ذرب لسانك على من أنطقك، وبلاغة قولك على من سددك[2]

* وقال: كفا أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك

* وقال: من صبر صبر الأحرار وإلا سلا سلو الأغمار[3]

(وفي خبر آخر أنه قال للأشعث بن قيس معزياً)

إن صبرت صبر الأكارم وإلا سلوت سلو البهائم

* وقال في صفة الدنيا: تغر وتضر وتمر. إن الله تعالى لم يرضها ثواباً لأوليائه ولا عقاباً لأعدائه، وإن أهل الدنيا كركب بيناهم حلوا إذ صاح بهم سائقهم فارتحلوا[4]

وقال لابنه الحسن: يا بني لا تخلفن وراءك شيئاً من الدنيا، فإنك تخلفه لأحد رجلين: إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به، وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فكنت عوناً له على معصيته. وليس أحد هذين حقيقاً أن تؤثره على نفسك.

* (ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو):

أما بعد فإن الذي في يدك من الدنيا قد كان له أهل قبلك، وهو صائر إلى أهل بعدك، وإنما أنت جامع لأحد رجلين: رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله فسعد بما شقيت به، أو رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له، وليس أحد هذين أهلاً أن تؤثره على نفسك ولا أن تحمل له على ظهرك، فارجع لمن مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله

(1) أي ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنه يكتب فيه.

(2) الذرب: الحدة. والتسديد: التقويم والتثقيف، أي لا تطل لسانك على من علمك النطق، ولا تظهر بلاغتك على من ثقفك وقوم عقلك.

(3) الأغمار جمع غمر مثلث الأول وهو الجاهل لم يجرب الأمور، ومن فاته شرف الجلد والصبر فلا بد يوما أن يسلو بطول المدة، فالصبر أولى.

(4) أي بينما هم قد حلوا يفاجئهم صائح الأجل وهو سائقهم بالرحيل فارتحلوا.

* وقال (لقائل قال بحضرته استغفر الله): ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين. وهو اسم واقع على ستة معان: أولها الندم على ما مضى. والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً. والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة. والرابع أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها. والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السُّحت[1] فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد. والسادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول استغفر الله.

* وقال: الحلم عشيرة[2]

* وقال: مسكين ابن آدم مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تؤلمه البقة، وتقتله الشرقة، وتنتنه العرقة[3]

* (وروي أنه كان جالساً في أصحابه فمرت بهم امراة جميلة فرمقها القوم بأبصارهم) فقال علي رضي الله عنه:

إن أبصار هذه الفحول طوامح[4]، وإن ذلك سبب هبابها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجبه فليلامس أهله فإنما هي امرأة كامرأة (فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه! فوثب القوم ليقتلوه) فقال: رويداً إنما هو سب بسبب أو عفو عن ذنب[5]

(1) السحت - بالضم: المال من كسب حرام.

(2) خلق الحلم يجمع إليك من معاونة الناس لك ما يجتمع ك بالعشيرة، لأنه يولبك محبة الناس فكأنه عشيرة.

(3) مكنون أي مستور العلل والأمراض لا يعلم من أين تأتيه، إذ عضته بقة تألم، وقد يموت بجرعة ماء إذا شرق بها، ونتن ريحه إذا عرق عرقه.

(4) جمع طامح أو طامحة، طمح البصر إذا ارتفع، وطمح أبعد في الطلب، وأن ذلك أي طموح الأبصار سبب هبابها بالفتح أي هيجان هذه الفحول لملامسة الأنثى.

(5) أن الخارجي سب أمير المؤمنين بالكفر في الكلمة السابقة، فأمير المؤمنين لم يسمح بقتله، ويقول إما أن أسبه أو أعفو عن ذنبه.

* وقال: كفاك من عقلك أوضح لك سبيل غيِّك من رشدك.

* وقال: افعلوا الخير ولا تحقروا منه شيئاً، فإن صغيره كبير، وقليله كثير، ولا يقولن أحدكم إن أحداً أولى بفعل الخير مني فيكون والله كذلك. إن للخير والشر أهلاً فما تركتموه منهما كفاكموه أهله[1]

* وقال: من أصلح سريرته أصلح الله علانيته. ومن عمل لدينه كفاه أمر دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس.

* وقال: الحلم غطاء ساتر، والعقل حسام قاطع، فاستر خلل خلقك بحلمك، وقاتل هواك بعقلك.

* وقال: إن لله عباداً يختصهم الله بالنعم لمنافع العباد فيقرها في أيديهم ما بذلوها[2]، فإذا منعوها نزعها منهم ثم حولها إلى غيرهم

* وقال: لا ينبغي للعبد أن يثق بخصلتين: العافية والغنى، بيناً تراه معافى إذ سقم، وبينا تراه غنيا إذ افتقر

* وقال: من شكا الحاجة إلى مؤمن فكأنما شكاها إلى الله ومن شكاها إلى كافر فكأنما شكا الله.

* وقال: في بعض الأعياد: إنما هو عيد لمن قبل الله من صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد.

* وقال: إن أعظم الحسرات يوم القيامة حسرة رجل كسب مالاً في غير طاعة الله، فورثه رجل فأنفقه في طاعة الله سبحانه، فدخل به الجنة ودخل الأول به النار.

* وقال: إن اخسر الناس صفقة[3] وأخيبهم سعياً رجلٌ أخلق بدنه في طلب ماله ولم تساعده المقادير على إرادته، فخرج من الدنيا بحسرته وقدم على الآخرة بتبعته.

(1) ما تركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم، وما تركتموه من الشر يؤديه عنكم أهله، فلا تختاروا أن تكونوا للشر أهلا، ولا أن يكون عنكم في الخير بدل.

(2) يقرها أي يبقيها ويحفظها مدة بذلهم لها

(3) الصفقة أي البيعة، أي أخسرهم بيعا وأشدهم خيبة في سعيه ذلك الرجل الذي أخلق بدنه أي أبلاه ونهكه في طلب المال ولم يحصله. بفتح فكسر - حق الله وحق الناس عنده يطالب به.

* وقال: الرزق رزقان: طالب ومطلوب، فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها، ومن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي رزقه منها.

* وقال: إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها، واشتغلوا بآجلها[1] إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا منها ما خشوا أن يميتهم[2]، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم، ورأوا استكثار غيرهم منها استقلالاً. ودركهم لها فوتاً. أعداء ما سالم الناس، وسلم ما عادى الناس[3]. بهم علم الكتاب وبه علموا. وبهم قام الكتاب وبه قاموا. لا يرون مرجوا فوق ما يرجون، ولا مخوفاً فوق ما يخافون[4].

* وقال: اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات

* وقال: اخبر تقله[5] (ومن الناس من يروى هذا للرسول صلى الله عليه وآله. ومما يقوى أنه من كلام أمير المؤمنين ع ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي: قال المأمون: لولا أن عليا قال (أخبُر تقله)

لقلت: اقله تخبُر

* وقال: ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر ويغلق عنه باب الزيادة. ولا ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة[6]. ولا ليفتح لعبد باب التوبة ويغلق عنه باب المغفرة.

---

(1) إضافة الآجل إلى لدنيا لأنه يأتي بعدها أو لأنه عاقبة الأعمال فيها والمراد منه ما بعد الموت.

(2) أماتوا قوة الشهوة والغضب التي يخشون أن تميت فضائلهم، وتركوا للذات العاجلة التي ستتركهم، ورأوا أن الكثير من هذه اللذات قليل من جانب الأجر على تكره وإدراكه فوات لأنه يعقب حسرات العقاب.

(3) الناس يسللون الشهوات وأولياء الله يحاربونها، والناس يحاربون العفة والعدالة وأولياء الله يالموهما وينصرونهما.

(4) أي مرجو فوق ثواب الله وأي مخوف أعظم من غضب الله.

(5) اخبر - بضم الباء-: أمر من خبرته من باب قتل، أي علمته، وتقله مضارع مجزوم بعد الأمر، وهاؤه للوقوف، من قلاه يقليه - كرماه يرميه - بمعنى أبغضه، أي إذا أعجبك ظاهر الشخص فاختبره فربما وجدت فيه مالا يسرك فتبغضه. ووجه ما اختاره المأمون أن المحبة ستر للعيوب فإذا أبغضت شخصاً أمكنك أن تعلم حاله كما هو.

(6) تكرر الكلام في أن الدعاء والإجابة والاستغفار والمغفرة إذا صدقت النيات وطابق الرجاء العمل وإلا فليست من جانب الله في شيء إلا أن تخرق سعة فضله سوابق سنته.

* (وسئل أيما أفضل العدل أو الجود) فقال: العدل يضع الأمور مواضعها، والجود يخرجها من جهتها. والعدل سائس عام، والجود عارض خاص. فالعدل أشرفهما وأفضلهما.

* وقال: الناس أعداء ما جهلوا.

* وقال: الزهد كله بين كلمتين من القرآن قال الله سبحانه "لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ومن لم يأس على الماضي[1] ولم يفرح بالآتي فقد أخذ الزهد بطرفيه.

* وقال: ما أنقض النوم لعزائم اليوم[2]

* وقال: الولايات مضامير الرجال[3]

* وقال: ليس بلد بأحق بك من بلد[4]، خير البلاد ما حملك

* وقال: (وقد جاءه نعى الأشتر رحمه الله): مالك ومـا مـالك![5] لـو كـان جبلاً لكان فنداً، لا يرتقيه الحافر ولا يوفى عليه الطائر (والفند المنفرد من الجبال)

* وقال: قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه.

* وقال : إذا كان في رجل خلة ذائعة فانتظروا أخواتها[6]

---

(1) أي لم يحزن على ما نفذ به القضاء.

(2) تقدمت هذه الجملة بنصها، ومعناها قد يجمع العازم على أمر فإذا نام وقام وجد انحلا في عزيمته، أو ثم يغلبه لنوم عن إمضاء عزيمته.

(3) المضامير جمع مضمار وهو المكن الذي تضمر فيه الخيل للسباق، والولايات أشبه بالمضامير إذ يتبين فيها الجواد من البردون.

(4) يقول كل البلاد تصلح سكنا، وإنما أفضلها ما حملك أي كنت فيه على راحة فكأنك محمول عليه.

(5) مالك هو الأشتر النخعي. والفند - بكسر الفاء-: الجبل العظيم، والجملتان بعده كناية عن رفعته وامتناع همته. وأوفى عليه: وصل إليه.

(6) الخلة-بالفتح-: الخصلة أي إذا أعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون إليه وانتظر سائر الخلال.

* وقال لغالب بن صعصعة أبي الفرزدق في كلام دار بينهما): ما فعلت إبلك الكثيرة؟ قال ذعذعتها الحقوق[1] يا أمير المؤمنين فقال: ذلك أحمد سبلها.

* وقال: من اتجر بغير فقه فقد ارتطم في الربا[2]

* وقال: من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها[3]

* وقال: من كرمت عليه نفسه هانت عليه شهواته

* وقال: ما مزح امرؤ مزحة إلا مج من عقله مجة[4]

* وقال: زهدك في راغب فيك نقصان حظ[5]، ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس.

* وقال: الغني والفقر بعد العرض على الله[6]

* وقال: ما لابن آدم والفخر، أوله نطفة، وآخره جيفة، لا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه.

* (وسئل من أشعر الشعراء) فقال:

إن القوم لم يجروا في حلبة تعرف الغاية عند قصبتها[7]، فإن كان ولا بد فالملك الضليل (يريد امرأ القيس)

---

(1) ذعذع المال: فرقة وبدده، أي فرق أبلى حقوق الزكاة والصدقات، وذلك أحمد سبلها - جمع سبيل - أي أفضل طرق إفنائها.

(2) ارتطم وقع في الورطة فلم يمكنه الخلاص. والتاجر لم يكن على علم بالفقه لا يأمن الوقوع في الربا جهلا.

(3) من تفاقم به الجزع ولم يجمل منه الصبر عند المصائب الخفيفة حمله الهم إلى ما هو أعظم منها.

(4) المزح والمزاحة والمزاح بمعنى واحد وهو المضاحكة بقول أو فعل، وأغلبه لا يخلو عن سخرية. ومج الماء من فيه رماه، وكأن المازح يرمى بعقله ويقذف به في مطارح الضياع.

(5) بعدك عمن يتقرب منك ويلتمس مودتك تضيع لحظ من الخير يصادفك وأنت تلوي عنه، وتقربك لمن يبتعد عنك ذل ظاهر.

(6) العرض على الله يوم القيامة، وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقة والفقر بالشقاء الحقيقي.

(7) الحلبة - بالفتح-: القطعة من الخيل تجتمع للسباق عبرهما عن الطريقة الواحدة والقصبة ما ينصبه طلبة السباق حتى إذا سبق سابق أخذه ليعلم أنه السابق بلا نزاع. وكانوا يجعلون هذا من قصب، أي لم يكن كلامهم في مقصد واحد، بل ذهب بعضهم مذهب الترغيب، وآخر مذهب الترهيب، وثالث مذهب الغزل والتشبيب، والضليل من الضلال لأنه كان فاسقاً

* وقال: ألا حُرٌّ يدع هذه اللماظة لأهلها[1]؟ إنه ليس لأنفسكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها.

* وقالوا: منهومان لا يشبعان[2]: طالب علم وطالب دنيا.

* وقال: الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك، وأن لا يكون في حديثك، فضل عن عملك[3]، وأن تتقى الله في حديث غيرك.

* وقال: يغلب المقدار على التقدير[4] حتى تكون الآفة في التدبير (وقد مضى هذا المعنى فيما تقدم برواية تخالف هذه الألفاظ)

* وقال: الحلم والأناه توأمان ينتجهما علو الهمة[5]

* وقال: الغيب جهد العاجز[6]

* وقال: رب مفتون بحسن القول فيه .

* وقال: الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها[7]

* وقال: إن لبنى أمية مروداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم[8]

---

(1) اللماظة- بالضم:- بقية الطعام في الفم يريد بها الدنيا، أي ألا يوجد حر يترك هذا الشيء الدنيء لأهله.

(2) المنهوم: المفرط في الشهوة، وأصله في شهوة الطعام.

(3) أي لا تقول أزيد مما تفعل. وحديث الغير: الرواية عنه. والتقوى فيه: عدم الافتراء، أو حديث الغير التكلم في صفاته نهى عن الغيبة.

(4) المقدار القدر الآلهي. والتقدير والقياس.

(5) الحلم- بالكسر-: حبس النفس عند الغضب، والأناة يريد بها التأني. والتوأمان المولودان في بطن واحد والتشبيه الاقتران والتولد من أصل واحد.

(6) الغيبة- بالكسر: ذكرك الآخر بما يكره وهو غائب، وهي سلاح العاجز ينتقم به من عدوه، وهي جهده أي غاية ما يمكنه.

(7) خلقت الدنيا سبيلا إلى الآخرة، ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلد.

(8) مرود بضم فسكون ففتح فسره صاحب الكتاب بالمهلة وهي مدة اتحادهم فلو اختلفوا ثم كادتهم أي مكرت بهم أو حاربتهم الضباع دون الأسود لقهرتهم.

(والمرود هنا مفعل من الإرواد .

* وقال في مدح الأنصار: هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو مع غنائهم بأيديهم السباط وألسنتهم السلاط[1]

وقال: ووليهم والٍ فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه[2]

* وقال: يأتي على الناس زمان عضوض[3] يعض الموسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله سبحانه ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ تنهد فيه الأشرار[4] وتستذل الأخيار. ويبايع المضطرون، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن بيع المضطرين[5]

* وقال: يهلك فيَّ رجلان: محب مفرط وباهت مفتر[6].

* (وسئل عن التوحيد والعدل) فقال:

التوحيد أن لا تتوهمه، والعدل أن لا تتهمه[7]

* وقال: لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل.

* وقيل له (لو غيرت شيبك يا أمير المؤمنين؟) فقال:

---

(1) ربوا من التربية والإنماء. والفلو-بالكسر، أو بفتح فضم فتشديد، أو بضمتين فتشديد: المهر إذا فطم أو بلغ السنة. والغناء بالفتح - ممدودا-: الغني

(2) الجران-ككتاب-: مقدم عنق البعير ضرب على الأرض عند الاستراحة كناية عن التمكن. والوالي يريد به النبي صلى الله عليه وسلم، ووليهم أي تولى أمورهم وسياسة الشريعة فهم. وقل قائل يريد به عمر بن الخطاب

(3) العضوض - بالفتح-: الشديد. والموسر: الغني، ويعض على ما في يده: يمكسه بخلا على خلاف ما أمره الله في قوله ولا تنسوا الفضل بينكم أي الإحسان.

(4) تنهد أي ترتفع.

(5) بيع - بكسر ففتح-: جمع بيعة بالكسر هيئة البيع كالجلسة لهيئة الجلوس.

(6) بهته - كمنعه-: قال عليه ما لم يفعل. ومفتر: اسم فاعل من الافتراء.

(7) الضمير المنصوب لله فمن توحيده أن لا تتوهمه أي لا تصوره بوهمك، فك موهوم محدود، والله لا يحد بوهم. واعتقادك بعدله أن لا تتهمه في أفعاله بظن عدم الحكمة فيها.

الخضاب زينة ونحن قوم في مصيبة (يريد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله)

* وقال: القناعة مال لا ينفد

* وقال: (لزياد بن أبيه، وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقدم الخراج[1]) استعمل العدل واحذر العسف والحيف، فإن العسف يعود بالجلاء[2] والحيف يدعو إلى السيف

* وقال: أشد الذنوب ما استخف به صاحبه

* وقال: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا[3]

* وقال: شر الإخوان من تكلف له [4].

---

(1) تقدم الخراج: الزيادة فيه.

(2) العسف -بالفتح-: الشدة في غير حق. والجلاء- بالفتح-التفرق والتشتت. والحيف: الميل عن العدل إلى الظلم وهو ينزع بالمظلومين إلى القتال لإنقاذ أنفسهم.

(3) كما أوجب الله على الجاهل أن يتعلم أوجب على العالم أن يعلم.

(4) لأن التكليف مستلزم للمشقة وهو شر لازم عن الأخ المتكلف له فهو شر الإخوان.

المصادر والمراجع

1- إتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري ، د/ محمد مصطفى هدارة ط/ دار المعارف مصر ، الطبعة الثانية 1962م.

2- الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ط/ وزارة الثقافة والإرشاد القومي مصر 1960.

3- أدب الكاتب ، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي ط/ القاهرة 1341هـ

3- ادب الخلفاء الراشدين ، جابر قميحة ، بيروت ، دار المعارف ،1984م.

4- الأدب العربي في الجاهلية والإسلام ، د/ عمر رضا كحالة ،ط/ المطبعة التعاونية دمشق 1972م.

5- الأدب في موكب الحضارة الإسلامية ، د/ مصفى الشكعة ، ط/ الانجلو مصرية القاهرة ، 1968م.

6- الأدب العربي وتاريخه ، سليمان الأغاني ومحمد خفاجب وحسن جاد ، ط/ محمد علي صبيح القاهرة 1955م .

7- أدباء العرب في الجاهلية والإسلام ، بطرس البستاني ، ط/ دار مارون عبود بيروت 1979 م .

8- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين أبي الحسن علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير ط المكتبة الإسلامية ،طهران.

9- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد البر ط/ مطبعة السعادة مصر ، 1328هـ

10- الإسلام والشعر ، د/ سامي مكي العاني ، ط/ عالم المعرفة الكويت 1983.

11- الإشتقاق ، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط/ مكتبة الخانجي ، القاهرة 1958.

12- شرح نهج البلاغة ، لإبن أبي حديد ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، بيروت دار الجيل ،1987.

13- الإصابة في تمييز الصحابة لأبي الفضل شهاب الدين المعروف بأبن حجر العسقلاني ، ط/ مطبعة السعادة مصر ، 1328هـ.

14- الاصمعيات لعبد الملك بن قريب الأصمعي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ط/ دار المعارف مصر / الطبعة السادسة 1964.

15- الأصنام ، لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلي ، تحقيق أحمد زكي ، ط/ الأميرية القاهرة 1919م.

16- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ط/ دار الكتب المصرية وأحرى مصورة عن طبعة ساسي أفندي القاهرة .

17- الأمالي ، لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي ، نسخة مصورة عن طبعة القاهرة ، منشورات دار الآفاق بيروت بدون تاريخ .

18- أمالي المرتضى الموسوم بغرر الفوائد ودرر القلائد للشريف المرتضى علي بن الحسين العلوي ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم ،ط/ دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1967م.

19- الامامة والسياسة أو تاريخ الخلفاء لأبي محمد عبد الله بن قتيبة بن مسلم ، ط/ مؤسسة الوفاء بيروت ، الطبعة الثانية 1957م.

20- الانتصار والرد على ابن الروندي الملحد ، لأبي الحسن عبد الرحمن المعروف بأبن الخيّاط ، ط/ الكاثوليكية بيروت 1960م.

21- أيام العرب في الإسلام ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ط/ البابي الحلبي الثانية القاهرة 1961م.

22- أيام العرب في الجاهلية لمحمد أحمد جاد المولى وآخرين ط/ البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1961م.

23- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ، تحقيق فوزي عطوي ، ط/ دار صعب بيروت 1968م.

24- بلوغ الأرب للألوسي ، ط/ الرحمانية 1243هـ

25- تاج العروس للسيد محمد مرتضى الزبيدي ط/ دار ليبيا للتوزيع والنشر بني غازي ، الجماهيرية.

26- تاريخ آداب اللغة العربية جرجي زيدان ط/ دار الحياة بيروت.

27- تاريخ الآداب العربية كارل تالينو ، ط/ دار المعارف مصر الثانية 1970م.

28- تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات ط/ دار الثقافة بيروت 1978م.

29- تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ط/ دار المعارف مصر الثانية 1977م.

30- تاريخ الأدب العربي في مصر الإسلامي السباعي بيومي ط/ الانجلو مصرية الطبعة الثانية 1958م.

31- تاريخ الأدب العربي ،د/ عمر فروخ ، ط/ دار العلم للملايين الطبعة الرابعة 1981م.

32- تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي -د/شوقي ضيف ط/ دار المعارف مصر الثامنة 1963.

33- تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي د/ شوقي ضيف ،ط/ دار المعارف الثالثة 1960.

34- تاريخ الأدب العربي - العصر العباسي الأول - ط/ دار المعارف الخامسة 1975.

35- تاريخ الخلفاء للإمام جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، نسخة مصورة عن طبعة مصر بدون ناشر وبدون تاريخ .

36- تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، د/محمد نجيب البهبيتي ، ط/الخانجي ودار الكاتب العربي بيروت الطبعة الثالثة 1967م.

37- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ،أحمد الشائب ، ط/ مكتبة النهضة المصرية 1966م.

38- تاريخ الطبري المعروف بتاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط/ دار المعارف مصر 1968م.

39- تاريخ النقائض في الشعر العربي ، أحمد الشائب ،ط/ مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثالثة 1966م.

40- تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب بن إسحق بن جعفر بن واضح ، ط/ دار صادر بيروت للطباعة والنشر 1960م.

41- تاريخ دمشق لابن عساكر ط/ دمشق 1329هـ

42- تطور الشعر في بلاد الشام في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، د.عبد الرحمن عطية منشورات جامعة الفاتح طرابلس الجماهيرية 1978م.

43- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام ، د/ شكري الفيصل ، ط/ دار العلم للملايين الطبعة الخامسة .

44- التطور والتجديد في الشعر الأموي ،د/ شوقي ضيف ،ط/ دار المعارف مصر ، الطبعة السادسة 1977م.

45- التنبيه والإشراف لأبي الحسن على بن الحسن المسعودي ط/ الصوي مصر 1938م.

46- التنبيه على أوهام أبي على القالي ، لابي عبيد البكري ، نسخة مصورة ، ط/ منشورات دار الأفاق الجديدة بدون تاريخ .

47- جمهرة خطب العرب ، محمد زكي صفوت ،ط/ البابي الحلبي مصر 1933م.

48- جمهرة رسائل العرب ، محمد زكي صفوت ،ط/ البابي الحلبي مصر .

49- حديث الأربعاء ،د/ طه حسين ،ط/ دار المعارف مصر الطبعة الحادية عشرة 1974م.

50- حماسة البحتري ، لأبي عبادة الوليد بن عبيد البحتري ، تحقيق لويس شيخو ،ط/ دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية 1967م.

51- الحماسة البصرية ، للبصرى ، ط/ عالم الكتب بيروت . بيروت. بدون تاريخ .

52- حياة الشعر في الكوفة إلى نهاية القرن الثاني للهجرة ،د/ يوسف خليف ،ط/ دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة 1968م.

53- الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، د/ أحمد الحوفي ، ط/ نهضة مصر الطبعة الرابعة 1962م.

54- الحيوان ، لأبي عثمان الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط/ البابي الحلبي ، 1965م .

55- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط/ الخانجي مصر 1979م.

56- خطط الكوفة تأليف لويس ماسنون ، ترجمة تقي الدين محمد المصعبي ، ط/ صيدا بيروت 1939م.

57- شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي ، تحقيق د/ فخر الدين قباوة /ط/ دار الآفاق الجديدة ، بيروت 1980م.

58- شرح الهاشميات ، محمد محمود الراقعي ، ط/ التمدن الصناعية القاهرة .

59- الشعر والشعراء لأبي محمد قتيبة ط/ دار الثقافة بيروت الطبعة الرابعة 1982م.

60- الشعر والشعراء في العصر العباسي ، د/ مصطفى الشكعة ، ط/ دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية 1975م.

61- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام ، النعمان عبد المتعال القاضي ، ط/ الدار القومية للطباعة والنشر 1965م.

62- شعر البصرة في العصر الأموي د/ عوف الشريف قاسم ، ط/ دار الثقافة بيروت 1972م.

63- شعراء بني أسد إلى نهاية القرن الثالث الهجري ، للمؤلف ، مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة الخرطوم .

64- طبقات الأمم ، لصاعد بن أحمد ، ط/ المطبعة الكاثوليكية بيروت .

65- طبقات الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، تقديم يوسف هل ط/ دار الكتب العلمية بيروت 1982م.

66- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، عبد الرحمن بن خلدون ، ط/ مكتبة المدرسة ودار الكتاب العربي بيروت 1967م.

67- العصبية القبلية وأثرها في الشعر العربي ، د/ إحسان النص ، ط/ دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بيروت 1963م.

68- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي على الحسن بن رشيق ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط/ دار الجيل بيروت الطبعة الخامسة 1981م.

69- الغزل في العصر الجاهلي . د/ أحمد محمد الحوفي ، ط/ نهضة مصر ، الطبعة الثانية 1961م.

70- الفرق بين الفرق ، لأبي منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي ط/ دار المعارف مصر 1910م.

71- الفهرست لإبن النديم ،ط/ المكتبة التجارية الكبرى القاهرة .

72- في أدب ما قبل الإسلام ، ط/ دار الأوزاعي بيروت الطبعة الثانية 1983م.

73- في الشعر الإسلامي والأموي ،د/ عبد القادر القط ، ط/ دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت 1975م.

74- الكامل في الأدب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد.

75- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ط/ القاهرة 1274م.

76- مالك ومتمم ابنا نويرة ، ابتسام مدهون الصفار ، ط/ مطبعة الإرشاد بغداد 1968م.

77- المحبَّر لأبي جعفر محمد بن حبيب ، رواية أبي الحسن بن الحسن السكري ط/ المكتب التجاري بيروت بدون تاريخ .

78- مختارات ابن الشجري ، لأبي السعادات هبة الله بن الشجري ضبطها وشرحها محمود الزناتي ، ط/ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 1980م .

79- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د/ عبد الله الطيِّب المجذوب ، نسخة مصورة بدون ناشر وبدون تاريخ .

80- مروج الذهب ، لأبي الحسن علي الحسين المسعودي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط/ المكتبة التجارية القاهرة الطبعة الثانية 1948م.

81- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، د/ ناصر الدين الأسد ، ط/ دار المعارف مصر ، الطبعة السادسة 1982م.

82- المعارف لأبي محمد بن قتيبة ، تحقيق ثروت عكاشة ط/ دار المعارف مصر الطبعة الثانية 1969م.

83- معجم البلدان ، ياقوت الحموي ، ط/ دار صادر بيروت 1955م.

84- معجم الشعراء لأبي عبد الله محمد بن عمران المزرباني ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ط/ القدسي القاهرة 1354هـ.

85- الفضَّل في تاريخ الأدب العربي ، للإسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم ط/ مكتبة الآداب القاهرة ، بدون تاريخ .

86- المفضل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،د/ جواد علي ، ط/ دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة بغداد الطبعة الثالثة 1980م.

87- المفضليَّات ، للمفضَّل الضبي ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون / دار المعارف مصر الطبعة السادسة 1964م.

88- مقدمة إبن خلدون ، نسخة مصور عن الطبعة الفرنسية بدون تاريخ.

89- الملل والنحل ، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، ط/ دار المعرفة بيروت 1982م.

90- من حديث الشعر والنثر ، د/ طه حسين ، ط/ دار المعارف مصر ، الطبعة العاشرة 1969م.

91- الموشح لأبي عبد الله محمد بن عمران المرزباني ، ط/ السلفية القاهرة ، الطبعة الثانية 1385م.

92- النثر الفني في القرن الرابع الهجري د. زكي مبارك ،ط/ دار الجيل بيروت 1975م.
93- نقائض جرير والأخطل ، لأبى تمام حبيب بن أوس الطائي ، علّق علبها الأب انطون صالحاني ، المطبعة الكاثوليكية بيروت 1922م.
94- نهج البلاغة ، الشريف المرتضى ، ط/ دار الأندلس بيروت بدون تاريخ .
95- النوادر لأبي على القالي ،ط/ دار الآفاق الجديدة بيروت مصورة ، بدون تاريخ.
96- الوحشيات لأبي تمام حبيب بن أوس تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط/ دار المعارف مصر .
97- الوزراء والكتاب ، لأبى عبد الله محمد بن عبدوس ، تحقيق الأبياري وشلبي والسقاط البابي الحلبي القاهرة .
98- الوسيط في الأدب العربي للإسكندري ومصطفى عناني ، ط/ دار المعارف مصر .
99- وقعة صفين ، نصر بن مزاحم ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، طبعه البابي الحلبي القاهرة 1365هـ
100- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الدين بن خلّكان ، تحقيق إحسان عباس ، ط/ دار الثقافة بيروت .

موسوعة

علي بن أبي طالب

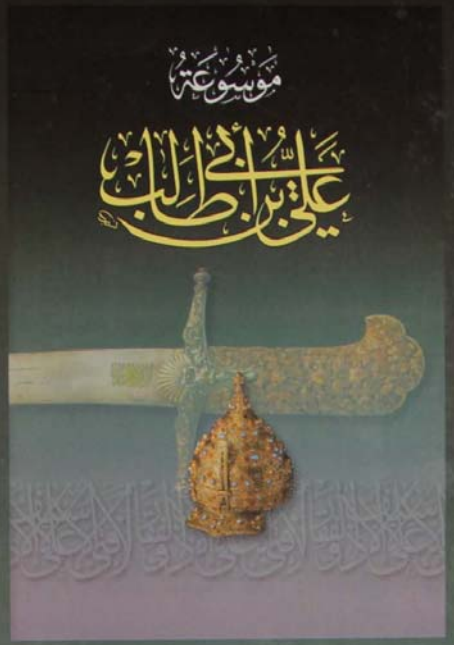

دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع

عمان - شارع السلط - مجمع الفحيص التجاري - تلفاكس 4612190

ص.ب 922762 عمان 11121 الأردن

www. darsafa. com

E-mail : safa @ darsafa. com

مكتبة الرازي العلمية

أبوظبي - هاتف 6678122 فاكس 6678121

ص.ب 42373 أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة